بهجة المجالس وأنس المجالس
ابن عبدالبر رحمه الله

من نوادر الموسوعات الأدبية الأخبارية. أفرغ فيه ابن عبد البر القرطبي خلاصة قراءاته وملاحظاته في ميدان الأدب، أو كما يقول: (وجمعت فيه ما انتهى إليه حفظي ورعايتي، وضمنته روايتي وعنايتي) فحفظ لنا بين دفتيه تراثاً قيماً، ضاعت معظم مصادره الأصلية، وكاد يندثر لولا أن ضم شمله وجمع شتاته.
أما منهج الكتاب، فبسيط لا تعقيد فيه، بناه القرطبي على (132) باباً، يفتتح الباب منها بما تيسر من الآيات والأحاديث، ثم يورد أشعار العرب وحكمها، أو ما أثر عن غيرهم من العجم والروم، من كل ما قيل في معنى الباب، أو ضده، ليكون أبلغ وأشفى وأمتع. ومن نوادره: قصيدة المريمي، وأولها: (تعزّ فإن الحر لا بد يخلق(

الجزء الأول

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللَه على سيدنا محمد وآله وسلم.
أما بَعد: فإن لآولى ما ابتدئ به كتاب وافتتح به خطاب، حمد الله على جزيل آلائه، وشكره لجميل بلائه، ثم الصلاة على خاتم أنبيائه وعاقب رسله، صلوات الله عليهم أجمعين، وسلام عليهم في العالمين وبركاته. والحمد لله الذي هدانا للإسلام، وفضنا على جميع الأنام، وجعلنا من أمة محمد نبيه عليه الصلاة والسلام.
وبعد: فإن أولى ما عني به الطالب، ورغب فيه الراغب، وصرف إليه العاقل همه، وأكد فيه عزمه، بعد الوقوف على معاني السنن والكتاب، مطالعه فنون الآداب، وما اشتملت عليه وجوه الصواب، من أنواع الحكم التي تحيي النفس والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم، وتنهى عن الدنايا والمحارم، ولا شيء أنظم لشمل ذلك كله، وأجمع لفنونه، وأهدى إلى عيونه، وأعقل لشارده، وأثقف لنادره؛ من تقييد الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والفصول الشريفة، والأخبار الظريفة، من حكم الحكماء، وكلام البلغاء العقلاء: من أئمة السلف، وصالحي الخلف، الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم، آداب التنزيل، ومعاني سنن الرسول، ونوادر العرب وأمثالها، وأجوبتها ومقاطعها، ومباديها وفصولها، وما حووه من حكم العجم، وسائر الأمم، ففي تقييد أخبارهم، وحفظ مذاهبهم، ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها، واتباع آثارهم واقتفائها.
وقد جمعت في كتابي هذا من الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والحكم البالغة، والحكايات الممتعة في فنون كثيرة وأنواع جمة، من معاني الدين والدنيا، ما انتهى إليه حفظي ورعايتي، وضمته روايتي وعنايتي، ليكون لمن حفظه ووعاه، وأتقنه وأحصاه زيناً في مجالسه، وأنساً لمجالسه، وشحذاً لذهنه وهاجسه، فلا يمر به معنى في الأغلب مما يذاكر به، إلا أورد فيه بيتاً نادراً، أو مثلاً سائراً، أو حكاية مستطرفة، أو حكمة مستحسنة، يحسن موقع ذلك في الأسماع، ويخفف على النفس والطباع، ويكون لقارئه أنساً في الخلاء، كما هو زين له في الملاء، وصاحباً في الاغتراب، كما هو حلي بين الأصحاب.
وجمعت في الباب به منه المعنى وضده لمن أراد متابعة جليسه فيما يورده في مجلسه ولمن أراد معارضته بضده في ذلك

المعنى بعينه، ليكون أبلغ وأشفى وأمتع.
وقد قربته، وبوبته ليسهل حفظه، وتقرب مطالعته، وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم تبركاً بتذكاره، وتيمناً بآثاره.
وإلى الله أبتهل في حسن العون والتأييد لما يحب، والتسديد، وهو حسبي ونعم الوكيل.
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة واحدة، يزيده الله بها هدىً، ويصرفه بها عن ردى".
ويروى عن عيسى الخياط، عن الشعبي، قال: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره، ما رأيت أن سفره قد ضاع.
قال محمد بن سلام الجمحي، عن ابن جعدبة، قال: ما أبرم عمر بن الخطاب أمراً قط إلا تمثل فيه ببيت شعر.
وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه: كفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل.
وقال أبو الزناد: ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة بن الزبير. فقيل له: ما أرواك للشعر! قال: وما روايتي من رواية عائشة له، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً.
وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا أرواحه، ودعوا ظروفه.
ولقد أحسن القائل، وقيل إنه منصور الفقيه: قالوا خذ العين من كل فقلت لهم في العين فضل ولكن ناظر العين حرفان في ألف طومار مسودة وربما لم تجد في الألف حرفين وروى عن مخلد بن يزيد، عن جابر بن معدان قال: كل حكمة لم ينزل فيها كتاب، ولم يبعث بها نبي، ذخرها الله حتى تنطق بها ألسن الشعراء.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر حكمة".
روى ابن نعيم، عن الحسن بن صالح، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خذ الحكمة ممن سمعتها، فإن الرجل قد يتكلم بالحكمة وليس بحكيم، كما أن الرمية قد تجئ من غير رام.

باب أدب المجالسة وحق الجليس الصالح?

أخبرنا عبد الله بن محمد بن يوسف، وأحمد بن عبد الله بن عمر، وخلف بن سعيد بن أحمد، وسعيد بن سيّد، ومحمد بن عبد

الله بن حكم، وأحمد بن عبد الله بن محمدّ بن عليّ، واللفظ لسعيد بن سيّد، قالوا : حدثنا محّمد بن عمر بن لبانة، وسليمان بن عبد السّلام، قالا: حدثنا محّمد بن أحمد العتيبيّ، عن أبي المصعب الزّهري، عن عبد العزيز بن أبي حازم، وحدّثنا عبد الوارث بن سفيان، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدّثنا بكر بن حمّاد، قال : حدّثنا مسدّد : حدثنا أبو عوانة كلاهما عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : "من قام من مجلسه، ثم رجع فهو أحقّ به" ورواه حّماد بن سلمة عن سهيل، بإسناد مثله.
وحدثنا سعيد بن نصر، وعبد الوارث بن سفيان، وأحمد بن محّمد، وأحمد بن قاسم قالوا : حدّثنا قاسم، قال : حدثنا ابن وضّاح، قال : حدّثنا محمد بن مسعود، قال : حدّثنا يحيى القطّان، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبريّ، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا أتى أحدم المجلس فليسلّم، وإذا قام فليسلم، فليست الأولى بأحقّ من الأخرى".
وحدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال حدثنا أبو بكر محمد بن داسة قال : حدّثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، قال : حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي المولى عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبي سعيد الخدريّ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول : " لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه " قال : وكان ابن عمر إذا قام له رجلٌ من مجلسه، من غير أني يقيمه لم يجلس فيه. ومن حديث أبي بكرة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : مثله.
وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " المجالس بالأمانة، وإنما يتجالس الرّجلان بأمانة الله عزّوجلّ فإذا تفرّقا فليستر كلٌّ منهما حديث صاحبه " وقال أبو البختري : كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرّجل من مجلسه، ولكن ليوسع له.
ومن حديث سعيد المقبري ، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال : " لا يوسّع في المجالس إلاّ لثلاثة :لذي علم لعلمه، ولذي سن لسنّه، أو لذي سلطان لسلطانه".
ومن حديث جابر عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : " المجالس بالأمانة إلا ثلاثة: مجلسٌ سفك فيه دمٌ حرامٌ، ومجلسٌ استحلّ فيه فرجٌ حرام، ومجلسٌ استحلّ فيه مالٌ حرام بغير حقه".

ومن حديث عمر بن عبد العزيز، عن محّمد بن كعب القرظّي، عن ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "لكل شيءٍ شرفٌ، وإنّ شرف المجالس، ما استقبل فيه القبلة".
وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "إذا جلس إليك رجلٌ، فلا تقومنّ حتى تستأذنه".
وقال صلّى الله عليه وسلّم: "إذا قام الرّجل من مجلسه، فهو أحق به حتّى ينصرف إليه، ما لم يودِّع جلساءه بالسَّلام".
وقال صلّى الله عليه وسلّم: "لا يفرِّق واحدٌ منكم بين اثنين متجالسين إلاَّ بإذنهما، ولكن تفسَّحوا وأوسعوا".
وقال أنس بن مالكٍ: ما أخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ركبتيه ولا قدميه بين يدي جليسٍ له قطّ، ولا تناول أحدٌ يده فتركها حتّى يكون هو الّذي يدعها.
وقال ابن شهاب: كان رجل يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان لا يزال يتناول عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلم الشيء، وكأنّ ذلك آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا نزع أحدكم عن أخيه شيئاً فليره إيّاه".
وحدث الحسن البصري : أنّ رجلاً تناول عن رأس عمر بن الخطّاب شيئاً فتركه مرتين، ثم تناول الثالثة، فأخذ عمر بيده، فقال:أرني ما أخذت؟ وإذا هو لم يأخذ شيئاً!! فقال: انظروا إلى هذا، قد صنع هذا ثلاث مراتٍ يريني أنّه يأخذ من رأسي شيئاً ولا يأخذه، فإذا أخذ أحدكم من رأس أخيه شيئاً فليره إيّاه.
قال الحسن: نهاهم أمير المؤمنين عن الملق.
و قال الحسن: لو أنّ إنساناً أخذ من رأسي شيئا، قلت: صرف الله عنك السُّوء.
وكان محّمد بن سيرين: إذا أخذ أحدٌ من لحيته أو رأسه شيئاً، قال:لا عدمت نافعاً.
و روي عن عمر بن الخطّاب أنه قال: إذا أخذ أحدٌ عنك شيئاً، فقل: أخذت بيدك خيراً.

وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أنه قال:لأبي أيّوب الأنصاريّ - وقد نزع عنه أذّى - :"نزع الله عنك ما تكره يا أبا أيّوب".
قال عمر بن الخطّاب: فحسب المرء من العيّ أن يؤذي جليسه بما لا يعنيه أن يجد على النّاس فيما تأتيه، وأن يظهر له من النّاس ما يخفى عليه من نفسه.

وعن عمر رضي الله عنه قال: إن مما يصفّي وداد أخيك، أن تبدأه بالسّلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحبّ الأسماء إليه، وأن توسّع له في المجلس.
قال أيّوب الأنصاريّ:من أراد أن يكثر علمه، فليجالس غير عشيرته.
روى سفيان بن عيينة، عن مالك بن معن،قال: قال عيسى صلى الله عليه وسلّم: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله.
قال المدائني:أوصي يحيى بن خالد ابنه، فقال: يا بنيّ إذا حدّثك جليسك حديثاً، فأقبل عليه وأصغ إليه ، ولا تقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له، وكأنك لم تسمعه إلاّ منه، فإنّ ذلك يكسبك المحبة والميل إليك.
وعن عبد الملك بن عمير، قال:قال سعيد بن العاص:لجليسي عليّ ثلاث خصال:إذا دنا رحّبت به،وإذا جلس وسّعت له وإذا حدث أقبلت عليه.
وذكر ابن مقسم، قال:سمعت المبرِّد يقول : الاستماع بالعين، فإذا رأيت عين من تحدّثه ناظرةً إليك فاعلم أنه يحسن الاستماع. وقد روينا هذا القول عن سهل بن عبادة.
ومن حديث جابر عن النبيّ عليه السلام، أنّه قال:"من كان له أخٌ في الله فأكرمه فإنما يكرم الله".
وروينا عن ثعلب النحوي، أنّه قام لصديق قصده، وأنشده:

لئن قمت ما في ذاك منها غضاضةٌ	**عليّ وإنّي لـلـكـرام مـذلّـل**
على أنّها منّي لـغـيرك هـجـنةً	**ولكنّها بيني وبـيـنـك تـجـمـل**

ولغيره في هذا المعنى:

إذا ما تبدّى لنا طالـعـاً	**حللنا الحبا وابتدرنا القياما**
فلا تنكرنّ قيامـي إلـيه	**فإنّ الكريم يجلُّ الكراما**

وروينا من حديث عائشة، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: "أنزلوا النّاس منازلهم". قال ابن وهب:سمعت مالكاً يقول: إذا الرجل عند رجلٍ جالساً، فجاءه طالب حاجةٍ، فسكت عن عونه فقد أعان عليه.
قال عمرو بن العاص: لا أملُّ جليسي ما فهم عنّي،وإنما الملال لدناءة الرّجال. قال:الشّعبيّ في قومٍ ذكرهم: ما رأيت مثلهم أشدّ تنابذاً في مجلس، ولا أحسن فهماً من محدِّث.
روى الأصمعيّ عن العلاء بن جرير عن أبيه، قال:قال الأحنف بن قيس:لو جلس إليّ مائةٌ لأحببت أن ألتمس رضى كلّ واحدٍ منهم.
وقال عبد الله بن عبّاس: أعز الناس عليّ جليسي الذي يتخطّى النّاس إليّ، أما والله إنّ الذّباب يقع عليه فيشقّ عليّ .قال كشاجم:

?وجليسٍ لي أخي ثقةٍ كأن حديثه خـبـره
يسرّك حسن ظاهره وتحمد منه محتضره
ويستر عيب صاحبـه ويستر أنّه سـتـره

و قال آخر:

جليسٌ لـي لـه أدب رعاية مثله تجـب
لو انتقدت خـلائقـه لبهرج عندها الذّهب

وعن ابن عبّاس، أنه قال: إنّي لأكره أن يطأ الرجل بساطي ثلاثاً فلا يرى عليه أثرى.
وعنه أيضاً رضي الله عنه، أنه سئل: من أكرم الناس عليك؟ قال: جليسي حتّى يفارقني.
قال معاوية لعرابة الأوسي:بأيّ شيءٍ استحققت أن يقول فيك الشّماّخ:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمـو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما رايةٌ رفعت لمـجـدٍ تلقاّها عـرابة بـالـيمـين

فقال:عرابة: سماع هذا من غيري أولى بك وبي يا أمير المؤمنين،فقال: عزمت عليك لتخبرنّي.فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي على صديقي.
فقال معاوية: لقد استحققت.
قال عليّ بن الحسين: ما جلس إليّ أحدٌ قط، إلاّ عرفت له فضله حتى يقوم. قال أبو عبادة: ما جلس رجل بين يديّ، إلا مثّل لي أني جالس بين يديه. روى عن عبد الله بن يزيد، وقد روى ذلك لأبي حازم، أنه قال: وطّن نفسك على الجليس السوء، فإنه لا يكاد يخطئك. وقد روى ذلك عن الأحنف، والله أعلم قال بعض الحكماء: رجلان ظالمان يأخذان غير حقّهما، رجلٌ وسّع له في مجلس ضيّق فتربّع وتفتح، ورجلٌ أهديت إليه نصيحةٌ فجعلها ذنباً.
وقال مسعر بن كدام: رحم الله من أهدى إلىّ عيوبي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع.
قال الأحنف: لأن أدعى من بعدٍ أحبّ إليّ من أن أقصى عن قرب.
وعن الأحنف أيضاً أنه قال: ما جلست مجلساً قطّ، أخاف أن أقام منه لغيري وقال البعيث بن حريث: ?وإنّ مكاني في النّدىّ ومجلسي=له الموضع الأقصى إذا لم أقرّب

ولست وإن قرّبت يومـاً بـبـائعٍ خلاقي ولا ديني ابتغاء التّحبُّـب
ويعتدّه قـومٌ كـثـيرٌ تـجـارةً و يمنعني من ذاك ديني ومنصبي

جلس رجل إلى الحسن بن عليّ رضي الله عنه، فقال: جلست إلينا على حين قيام، أفتأذن؟! كان يقال:إياك وكلّ جليسٍ لا تصيب منه خيراً.

وعن معاذ بن جبل، أنه قال: إيّاك وكلّ جليسٍ لا يفيدك علماً.
كان يقال: من سرّه أن يعظم حلمه ، وينفعه علمه، فليقلّ من مجالسته من كان بين ظهرانيه. وقال الحسن البصريّ: انتقوا الإخوان، والأصحاب، والمجالس.
وروى هشام بن عروة ،عن محّمد بن المنكدر، قال :كان يقال: خياركم ألينكم مناكب في الصلاة، وركناً في المجالس، الموطّئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون.
تباعد كعب الأحبار يوماً في مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال: يا أميرالمؤمنين! إنّ في حكمة لقمان ووصيته لابنه : إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل، فلعلّه يأتيه من هو آثر عنده منك فينحّيك فيكون نقصاً عليك.
وكان يقال: الجليس الصّالح خيرمن الوحدة، والوحدة خيرٌ من الجليس السّوء.
وعن جعفر بن سليمان الضّبعيّ، قال: رأيت مع مالك بن دينار كلباً، فقلت له: ما هذا؟ قال هذا خيرٌ من الجليس السوء.
قال زيادٌ: إنه ليعجبني من الرجال من إذا أتى مجلساً أن يعرف أين يكون مجلسه، وإني لآتي المجلس، فأدع مالي مخافة أن أدفع عمّا ليس لي.
وكان الأحنف إذا أتاه رجلٌ أوسع له، فإن لم يكن له سعة أراه كأنّه يوسع له.
طرح أبو قلابة لجليس له وسادة، فردّها فقال له: أما سمعت الحديث: "لا تردن على أخيك كرامته".
قال ابن شبرمة لابنه: يا بنيّ! إياك وطول المجالسة، فإنّ الأسد إنما يجترىء عليها من أدام النظر إليها.
وهذا عندي مأخوذٌ من قول أردشير لابنه: يابنيّ لا تمكّن الناس من نفسك فإن أجرأ النّاس على السّباع، أكثرهم لها معاينة. ومن هذا - والله أعلم - أخذ ابن المعتزّ قوله:

رأيت حياة المرء ترخص قدره فإن مات أغلته المنايا الطّوائح
كما يخلق الثّوب الجديد ابتذالـه كذا تخلق المرء العيون اللّوامح

ومن سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به خبراً كان أو شعراً، تتمّ له البيت الذي بدأ به، وتريه أنك أحفظ منه. فهذا غايةٌ في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلاّ منه.
قيل لداود الطّائّي: لم تركت مجالسة الناس? قال: ما بقي إلاّ كبيرٌ يتحفّظ عليك، أوصغيرٌ لا يوقّرك.
وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لا تجالس عدوّك، فإنه يحفظ عليك سقطاتك ويماريك في صوابك.
قالت الخنساء:

إنّ الجليس يقول القول تحسـبـه خيراً وهيهات فانظر ما به التمسا

كان يقال: رأس التّواضع، الرّضا بالدُّون من المجلس. وهذا يروى عن ابن مسعود أنّه قال:إنّ من التواضع أن ترضى بالدُّون من المجلس، وأن تبدأ بالسّلام من لقيت.
قال إبراهيم النَّخعيّ إنّ الرجل ليجلس مع القوم فيتكلّم بالكلام، يريد الله به، فتصيبه الرَّحمة فتعمُّ من حوله، وإنّ الرجل يجلس مع القوم فيتكلّم بالكلام يسخط الله به، فتصيبه السَّخطة فتعمُّ من حوله.
كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً في مجلسه، فرفع رأسه إلى السّماء ثم طأطأه ثم رفعه فسئل عن ذلك فقال: "هؤلاء قومٌ كانوا يذكرون الله فنزلت عليهم السّكينة، وغشيتهم الرّحمة، وحفّتهم الملائكة كالقبّة، فلما دنت منهم

تكلّم رجلٌ منهم بباطلٍ فرفعت عنهم ثم تلا: "ويوم تقوم السّاعة يومئذٍ يخسر المبطلون".
وفي حديث أبي هريرة عن النبيّ عليه السلام، أنه قال: "ما جلس قومٌ مجلساً يقرءون فيه القرآن، ويذكرون السُّنن، ويتعلمون العلم ويتدارسونه بينهم، إلاّ حفَّت بهم الملائكة، ونزلت عليهم السّكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، فقيل له يارسول الله الرّجل يجلس إليهم وليس منهم، ولا شأنه شأنهم، أتأخذه الرحمة معهم؟ قال:نعم، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم".
أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، ويقال إنها له: ?إن صحبنا الملوك تاهوا وعقّوا=واستخفّوا كبراً بحقّ الجليس

أو صحبنا االتّجار صرنا إلى البؤ	س وعدنا إلى عداد الفـلـوس
فلزمنا البيوت نستخرج الـعـل	م ونملا به بطون الـطّـروس

كان يقال: ذوو المروءة والدّين، إذا أحرزوا القوت لزموا البيوت. أنشد أبو عبد الله بن الأعرابيّ - صاحب الغريب -: ?لنا جلساءٌ ما نملّ حديثهم=ألّباء مأمونون غيباً ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى	وعقلاً وتأديباً ورأياً مـسـدّدا
بلا فتنةٍ تخشى ولا سوء عشرةٍ	ولا نتّقي منهم لسـانـاً ولا يدا
فإن قلت أمواتٌ فلست بكـاذبٍ	وإن قلت أحياءٌ فلست مفـنّـدا

ولهذا الشعر خبر لابن الأعرابي مع أحمد بن محمد بن شجاع، ذكرناه مع الأبيات في آخر كتاب "بيان العلم وفضله". ولمحمد بن بشير في هذا المعنى من قصيد له: ?فصرت في البيت مسروراً تحدّثني=عن علمٍ ما غاب عنّي في الورى الكتب

فرداً تخبّرني الموتى وتنطق لـي	فليس لي في أناسٍ غيرهـم أرب
لله من جلسـاءٍ لا جـلـيسـهـم	ولا خليطهم للسوء مـرتـقـب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقـهـم	ولا يلاقيه منهم منـطـقٌ ذرب
أبقوا لنا حكماً تبقى منـافـعـهـا	أخرى اللّيالي على الأيّام وانشعبوا
إن شئت من محكم الآثار يرفعهـا	إلى النّبيّ ثقاتٌ خـيرةٌ نـجـب

أو شئت من عربٍ علماً بأوّلـهـم في الجاهلية تنبيني بها الـعـرب
أو شئت من سير الأملاك من عجمٍ تنبي وتخبر كيف الـرّأي والأدب
?حتى كأنّي قد شاهدت عصرهم=وقد مضت دونهم من دهرنا حقب
ما مات قومٌ إذا أبقوا لنا أدبـاً وعلم دينٍ ولا بانوا ولا ذهبوا

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "كفارة ما يكون في المجلس من اللّغط أن تقول: سبحانك اللّهمّ وبحمدك، لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك".
وفي حديث آخر: "كفارة ما يكون في المجلس ألاّ تقوم حتّى تقول: سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، يا ربّ تب عليّ واغفر لي، فإن كان مجلس لغوٍ كان كفّارته، وإن كان مجلس ذكرٍ كان كالطّابع عليه".
وقال حّسان بن عطّية: ما من قوم كانوا في مجلس لغوٍ فختموه بالاستغفار إلاّ كتب لهم مجلسهم ذلك استغفاراً كله.
وروي عن جماعةٍ من أهل العلم بتأويل القرآن، في قول الله عز وجل: "وسبح بحمد ربك حين تقوم"، منهم مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيى بن جعدة قالوا: حين تقوم من كل مجلس تقول فيه: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، قالوا: ومن قالها غفر له ما كان منه في المجلس.
وقال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة.
ومنهم من قال: تقول حين تقوم: سبحان الله وبحمده من كلّ مكانٍ ومن كلّ مجلس.
باب حمد اللّسان وفضل البيان
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظنّ أنها تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة حتّى يلقاه..."الحديث.
قال معاذ:قلت يا رسول الله أيُّ الأعمال أفضل? قال: "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله".
وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنه قال: "أفضل الصدقة صدقة اللسان، تدفع بها الكريهة، وتحقن بها الدم".
وقال عليه الصلاة والسلام: "أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند ذي سلطان جائر".
قال أبو عنبة الخولاني رحمه الله: ربّ كلمةٍ خير من إعطاء

المال. وقال أبان ابن سليم: كلمة حكمة لك من أخيك، خير لك من مالٍ يعطيك? لأنّ المال يطغيك والكلمة تهديك.
قالوا:خير الكلام ما دلّ على هدىً، أو نهى عن ردّى.
ذكر عند الأحنف بن قيس:الصمت والكلام، فقال قومٌ: الصمت أفضل فقال الأحنف: الكلام أفضل لأن الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرّجال تلقيحٌ لعقولها.
وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "رحم الله عبداً تكلّم بخيرٍ فغنم، أو سكت فسلم". قال سعيد بن جبير:رأيت ابن عبّاسٍ رضي الله عنه في الكعبة آخذاً بلسانه وهو يقول: يا لسان قل خيراً تغنم، أو اسكت تسلم.
وقالوا السّكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم.
قال أعرابيّ:من فضل الّلسان، أن الله عزّ وجلّ أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح.
وقال عبد الملك بن مروان: الصمت نومٌ والنُّطق يقظة.
قال خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا اللسان إلاّ صورة ممثَّلة، أو بهيمة مرسلة، أو ضالّةٌ مهملة.
كان يقال: الألسن خدم القرائح.
قال ربيعة الرأي: السّاكت بين النائم والأخرس.
قالو:إنما المرء بأصغريه: لسانه وقلبه.
كان يقال: اللسان ترجمان الفؤاد، واللسان حيّة الفم.
كان يقال: يجد البليغ من ألم السّكوت ما يجد العييُّ من ألم الكلام.
وقالوا: المرء مخبوءٌ تحت لسانه.
وقال حسان بن ثابت: ?لساني وسيفي صارمان كلاهما=ويبلغ ما لا يبلغ السّيف مذودي وقال جرير:

وليس لسيفي في العظام بـقـيَّةٌ	**ولا السّيف أشوى وقعةً من لسانيا**

وقال الخليل بن أحمد:

أيّ شيءٍ من اللّباس على ذي السّرو	**أبهى من الـلّـسـان الـبـهـيّ**

قال ابن سيرين: لا شيء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان، ولا شيء أزين على المرأة من الشحم.
قال الشاعر: ?وكائن ترى من ساكتٍ لك معجبٍ=زيادته أو نقصه في التّكّلم

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده	**فلم يبق إلا صورة اللّحم والدّم**

قال أبو العتاهية:

وللناس خوضٌ في الكلام وألسنٌ وأقربها من كلّ خيرٍ صدوقها

وروى ابن عمر قال:قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا"ـ فتأولت طائفة هذا على الذم لأن السحر مذموم، وذهب الأكثر من أهل العلم، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن، وقد أوضحنا هذا في كتاب التمهيد والحمد لله.

وقد قال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله وقال:هذا -والله- السحر الحلال .

وقال عليّ بن العبّاس الرومي:

وحديثها السِّحر الحلال لو أنَّه لم يجن قتل المسلم المتحرِّز

في أبيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب.

وقال الحسن:الرجال ثلاثةٌ، رجل بنفسه، ورجل بلسانه، ورجل بماله.

وكان يقال: في اللسان عشر خصال:أداةٌ يظهرها البيان، وشاهدٌ يخبر عن الضمير، وحاكمٌ يفصل به القضاء، وناطقٌ يردّ به الجواب، وشافعٌ تقضى به الحاجات، وواصفٌ تعرف به الأشياء، وواعظٌ ينهى به عن القبيح، ومعزٍّ تسكن به الأحزان، وملاطفٌ تذهب به الضغينة ومونقٌ يلهى الأسماع.

ونظر معاوية إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما، فأتبعه بصره ثم قال متمثلا:

إذا قال لم يترك مقـالاً لـقـائلٍ مصيبٍ ولم يثن اللسان على هجر

يصرّف بالقول اللّسان إذا انتحـى وينظر في أعطافه نظر الصّقر

ولحسان بن ثابت في ابن عبّاس:

إذا قال لم يترك مـقـالاً لـقـائلٍ بمنطلقاتٍ لا ترى بينها فـصـلا

شفى وكفى ما في النّفوس فلم يدع لذي إربةٍ في القول جدّاً ولا هزلا

في أبيات قد ذكرتها في باب ابن عباس من كتاب "الصحابة".

كان يقال: الجمال في اللسان.

قيل للأعرابيـ ما الجمال? قال: طول الجسم، وضخم الهامة، ورحب الشّدق، وبعد الصّوت. قال حبيب: " لسان المرء من خدم الفؤاد" وقال آخر: " والقول ينفذ ما لا ينفذ الإبرـ" قال امرؤ القيس: " وجرح اللّسان كجرحـ اليد" قال ابن أبي حازم:

أوجع من وقعة السّنـان لذي الحجا وخزة اللّسان

باب ذمّ العيّ وحشو الكلام

قال أبو هريرة : لا خير في فضول الكلام.

وقال عطاء:كانوا يكرهون فضول الكلام.

وقال: بترك الفضول تكمل العقول.

وقال: فضول الكلام ما ليس في دين ولا دنيا مباحاً.

وقال: الصّمت صيانة اللّسان، وستر العيّ.

وقالوا: العيّ الناطق أعيا من العي الساكت.

وقالوا: أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، وما ظهر

معناه في لفظه.
وروى عبد الله بن عمر، أنّه قيل له: لو دعوت لنا بدعواتٍ.
فقال: اللّهم اهدنا وعافنا وارزقنا.فقال رجلٌ لو زدتنا ياً أبا عبد الرحمن؟ فقال: أعوذ بالله من الإسهاب.
وقال شفيّ بن ماتع: من كثر كلامه كثرت خطاياه.
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:من كثر كلامه كثر سقطه.
قال يعقوب عليه السلام لبنيه:يا بنيَّ إذا دخلتم على السلطان فأقلّوا الكلام.
قال ابن هبيرة: ما من شيء إلاّ وهو محتاجٌ إلى فضوله يوماً، إلاّ فضول الكلام.
قال الحسن: رحم الله عبداً أوجز في كلامه، واقتصر على فصاحته، فإن الله يكره كثرة الكلام.
وكان يقال: أفضل الكلام ما قلّت ألفاظه وكثرت معانيه، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب فقال:

خير الكلام قلـيلٌ — على كثيرٍ دلـيلٌ
والعيّ معنىً قصير — يحويه لفظٌ طويل

وقال أبو العتاهية:

الصّمت أليق بالـفـتـى — من منطقٍ في غير حينه
لا خير في حشو الكـلا — م إذا اهتديت إلى عيونه

وقال منصور الفقيه:

تعمّد لحذف فضول الـكـلام — إذا ما نأيت وعند التّـدانـي
ولا تكثرنّ فخير الكـلام ال — قليل الحروف الكثير المعاني

قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- وقد عزله: لم عزلتني: قال: بلغني أنّ كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين.
تكلّم ربيعة الرأي يوماً فأكثر الكلام، فأعجبته نفسه، وإلى جنبه أعرابيّ فقال له: يا أعرابي ما تعدّون البلاغة فقال: قلة الكلام.قال: ما تعدون العيّ فيكم? فقال: ما كنت فيه منذ اليوم.
وأنشد الخشني -رحمه الله-: ???? وماالعيّ إلا منطقٌ متتابعٌ=سواءٌ عليه حقّ أمرٍ وباطله قالت العرب: لا يجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق.
قال النّمر بن تولب:

أعذني ربّ من حصرٍ وعيٍّ — ومن نفسٍ أعالجها علاجـا
ومن حاجات نفسي فاعصمنيّ — فإن لمضمرات النَّفس حاجا

وقال آخر:

عجبت لإدلال العيّ — وصمت الذي قد كان

بـنـفـسـه بالحقّ أعلما
وفي الصّمت سترٌ للعيّ وإنّـمـا صحيفة لبّ المرء أن يتكلّـمـا

قال بعض الحكماء: ليس شيء إلاّ إذا ثنيته قصر إلا الكلام، فإنك كلّما ثنيته طال.

قالوا:أعيا العيّ بلاغة بعيّ، وأقبح اللّحن لحنٌ بإعراب.

كان مالك بن أنس يعيب كثرة الكلام ويذمّه ويقول: كثرة الكلام لا توجد إلاّ في النّساء والضعفاء.

ذمّ أعرابيّ رجلاً،فقال: هو من يتامى المجالس، أعيا ما يكون عند جلسائه، أبلغ ما يكون عند نفسه.

باب في اجتناب اللّحن وتعلّم الإعراب وذمّ الغريب في الخطاب

كتب عمر إلى أبي موسى: أما بعد، فتفقّهوا في السّنّة،وتعلَّموا العربية.

وروي عنه رحمه الله أنه قال: رحم الله امرأً أصلح من لسانه.

وقال عليّ بن محّمد العلويّ:

رأيت لسان المرء رائد عقله وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعد إصلاح اللّسان فإنّـه يخبّر عمّا عـنـده ويبـيّن
ويعجبني زيّ الفتى وجمالـه فيسقط من عينيّ ساعة يلحن

كان عبد الله بن عمر يضرب ولده على اللّحن.

قال شعبة: مثل الذي يتعلم الحديث،ولا يتعلم النحو مثل البرنس لا رأس له.

قال المأمون لأحد أولاده -وقد سمع منه لحناً-: ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده، ويزين بها مشهده، ويفلَّ بها حجج خصمه بمسكتات حكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه. أو يسرُّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته، فلا يزال الدّهر أسير، كلمته، قاتل الله الذي يقول:

ألم تر مفتاح الـفـؤاد لـسـانـه إذا هو أبدى ما يقول من الـفـم
وكائن ترى من صاحبٍ لك معجبٍ زيادته أو نقصه في الـتّـكـلـم
لسان الفتى نصفٌ و نصفٌ فؤاده فلم يبق إلا صورة اللّحـم والـدَّم

وقال الخليل بن أحمد:

لا يكون السّرى مـثـل الـدّنـيٍّ لاّ ولا ذو الذّكاء مثل الـغـبـيّ
لا يكون الألدّ ذو المقول الـمـر هف عند القياس مثـل الـعـيـيّ

أيّ شيء من اللّباس على ذي السّ
رو أبهى من اللّسان البهيّ
ينظم الحجة السّنيّة في السّل
ك من القول مثل عقد الهديّ
وترى اللّحن بالحسيب أخي الهي
أة مثل الصّدا على المشرفيّ
فاطلب النّحو للحجاج وللشّع
ر مقيماً والمسند المرويّ
والخطاب البليغ عند جواب ال
قول تزهى بمثله في النّديّ
وارفض القول من طغام جفوا عن
ه فقادوا بعضه للتّسيّ
قيمة المرء كلّ ما يحسن المر
ء قضاءً من الإمام عليِّ

قال ثعلب: سمعت محمد بن سلاَّمٍ يقول: ما أحدث الناس مروءةً أفضل من طلب النّحو.
قال عبد الله بن المبارك، اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدريّ في الوجه.
وقال عبد الملك:اللحن هجنة بالشريف.
قال ابن شبرمة:إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً، ويصغر في عينك من كان فيها كبيراً فتعلّم العربية،فإنها تجرّيك وتدنيك من السّلطان. قال الشاعر:

النّحو يصلح من لسان الألكن
والمرء تكرمه إذا لم يلحن
والنّحو مثل الملح إن ألقيته
في كلّ ضدٍّ من طعامك يحسن
وإذا طلبت من العلوم أجلّها
فأجلّها منها مقيم الألسن

رأى أبو الأسود الدُّؤلي أعدالا للتجار مكتوباً عليها: لأبو فلان!! فقال: سبحان الله يلحنون ويربحون.
قال رجل للحسن البصريّ: يا أبو سعيد! فقال: كسب الدّوانيق شغلك أن تقول:يا أبا سعيد.
مر خالد بن صفوانٍ بقوم من الموالي يتكلّمون في العربية،فقال:لئن تكلمتم فيها لأنتم أول من أفسدها.
وقالوا: العربية تزيد في المروءة.
وقالوا: من أحبّ أن يجد في نفسه الكبر فليتعلم النحو.
وقال أبو شمر: قارئ النحو إذا دخله الكبر استفاد السخط من الله، والمقت من الناس.
وقال الخليل يوماً: لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه، إلاّ بما لا يحتاج إليه، فقد صار إذاً ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه.
وروي عنه في هذا الخبر،أنه قال:من لم يصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه، فقد صار محتاجاً

إلى ما لا يحتاج إليه.
وروى أن هذه القصة عرضت مع أبي الهذيل وروي أنها عرضت لأبي عبيدة مع النّظَّام، والذي تقدّم أصحُّ إن شاء الله تعالى.
وقال المأموني:

سأترك النّحو لأصحابه	وأصرف الهمّة في الصّيد
إنّ ذوي النّحو لهم همّةٌ	موسومةٌ بالمكر والكيد
يضرب عبد الله زيداً وما	يريد عبد الله من زيد

كتب غسّان بن رفيع -المعروف بدماذ- إلى أبي عثمان النحوي المازني:

تفكّرت في النّحو حتّى مللت	وأتعبت نفسي به والبدن
فكنت بظاهره عالماً	وكنت بباطنه ذا فطن
خلا أنّ باباً عليه العفا	ء للفاء يا ليته لم يكن
وللواو بابٌ إذا جئته	من المقت أحسبه قد لعن
إذا قلت هاتوا لماذا يقا	ل لست بآتيك أو تأتين
أجيبوا لما قيل هذا كذا	على النّصب? قالوا:بإضمار أن

روينا عن أبي حاتم السّجستاني رحمه الله قيل: إنها له.والله أعلم.
وقال آخر: ??إنّما النّحو قياسٌ يتّبع=وبه في كلّ علمٍ ينتفع

فإذا ما أبصر النّحو الفتى	مرّ في المنطق مرّاً واتّسع
واتّقاه كل من جالسه	من جليسٍ ناطقٍ أو مستمع
وإذا لم يبصر النّحو الفتى	هاب أن ينطق جبناً وانقمع
يقرأ القرآن لا يعرف ما	فعل الإعراب فيه وصنع
يخفض الصّوت إذا يقرؤه	وهو لاعلم له فيما اتّبع
والّذي يقرؤه علماً	إن عراه الشّك في

بـه الحرف رجع
ناظـراً فـيه وفـي إعـرابـه فإذا ما عرف الـحـقّ صـدع
أهما فيه سواءٌ عـنـدكـم ليست السّنّة فينا كالـبـدع
وكذاك الجهل والعلم فخـذ منه ما شئت وما شئت فدع

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان، قد نظر في النحو، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه، وهجا أصحابه فقال:

? قد كان أخذهم في النّحو يعجبني حتّى تعاطوا كلام الزّنج والـرّوم
لّما سمعت كلاماً لست أعـرفـه كأنّه زجل الغـربـان والـبـوم
تركت نحوهم والله يعصـمـنـي من التّقحّم في تلك الـجـراثـيم

وقال عمّار الكلبي:

ماذا لقيت من المستغربـين ومـن قياس نحوهم هذا الّذي ابتـدعـوا
إن قلت قافيةً بكراً يكـون لـهـا معنىً يخالف ما قاسوا وما صنعوا
قالوا لحنت فهذا الحرف منخفضٌ وذاك نصبٌ وهذا ليس يرتـفـع
وحرّشوا بين عبد الله فاجتـهـدوا وبين زيدٍ وطال الضّرب والوجع
فقلت واحدةً فـيهـا جـوابـهـم وكثرة القول بالإيجاز تنـقـطـع
ما كلّ قولي مشروحٌ لكم فخـذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعـوا
حتّى أعود إلى القوم الّذين غـذوا بما غذيت به والـقـول يتّـسـع
فتعرفوا منه معنى ما أفـوه بـه كأنّني وهم فـي قـولـه شـرع
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقـهـم وبين قومٍ على الإعراب قد طبعوا
وبين قـومٍ رأوا أشـيا وبين قومٍ حكوا بعض

مـعـاينةً الّذي سمعوا
إنّي ربيت بأرض لا يشبُّ بـهـا نار المجوس ولا تبنى بها البـيع
ولا يطا القرد والخنزير تربتـهـا لكن بها الرّيم والرّئبال والضّبـع

وقال أبو هفان:

إذا ما شئت أن تحظى وأن تلبس قـوهـيّا
وأن تصبـح ذا مـالٍ فكن علجاً نبـيطـيّا
وإن سرّك أن تشقـى وأن تصبح مقـلـيّا
فكن ذا نسبٍ ضخـمٍ وكن مع ذاك نحويّا

?باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة

قال المفضّل الضّبّي لأعرابي:ما البلاغة؟ قال الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل.
وقيل للأحنف:ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في استحكام الحجج،والوقوف عند ما يكتفى به.
وقال خالد بن صفوان لرجل كثر كلامه:إنّ البلاغة ليست بكثرة الكلام، ولا بخفّة اللسان، ولا كثرة الهذيان.ولكنها إصابة المعنى القصد إلى الحجة.
وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: لمحة دالّة.
وقيل لبشر بن مالك: ما البلاغة؟ قال: التقرّب من المعنى،والتباعد عن حشّو الكلام،ودلالةٌ بقليل على كثير.
سئل عبيد الله بن عتبة: ما البلاغة؟فقال:القصد إلى عين الحجة بتقليل اللفظ.
وقال غيره: البلاغة معروفة الفصل من الوصل، وفرق ما بين المشترك والمفرد وفصل ما بين المقيّد والمطلق، وما يحتمل التأويل ويستغني عن الدليل.
وقيل لبعض اليونانية: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام .
وقيل لرجل من الرّوم:ما البلاغة؟ حسن الاقتصاد عند البديهة، والغزارة يوم الإطالة.
وقيل لرجل: ما البلاغة؟ فقال: حسن الإشارة، وإيضاح الدلالة، والبصر بالحجة، وانتهاز مواضع الفرصة.
وسأل معاوية بن أبي سفيان صحاراً العبديّ? ماالبلاغة عندكم?قال: الإيجاز. قال: ما الإيجاز? قال:أن تقول فلا تخطئ وتسرع فلا تبطئ، فقال معاوية. وكذلك تقول? قال:أقلني يا أمير المؤمنين.أنت لا تخطئ ولا تبطئ.

وقد روي مثل هذا المعنى للحجّاج مع ابن القبعثري. فالله أعلم.
وقالوا: أبلغ النّاس أحسنهم بديهة، وأمثلهم لفظا.
قال خالد بن صفوان: خير الكلام ما ظرفت معانيه،وشرفت مبانيه والتذّت به آذان سامعيه.
?باب من خطب فأريج عليه
قال الحرّ بن جابر،وكان أحد حكماء العرب -فيما أوصى به ابنه: وإياك والخطب فإنّها مشوارٌ كثير العثار.
صعد عثمان بن عفّان رضي الله عنه على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه، فقال:أمّا بعد فإنّ أول كلّ مركبٍ صعب، وما كنا خطباء، وسيعلم الله، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أب حيٌّ لموعوظ.
ويروى أن عثمان بن عفّان رضي الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه، فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا، وأنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال.
وروي في هذا الخبر: أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل.
وروي أنّ عثمان لمّا بويع،قام فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه، فقال:وليناكم وعدلنا فيكم، وعدلنا عليكم خيرٌ من خطبتنا فيكم، فإن أعش يأتكم الكلام على وجهه.
وروي أنّ عبد الرحمن بن جابر بن الوليد، خطب الناس على منبر حمص فأرتج عليه، فقال:يا أهل حمص! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب مصقع،ثم نزل.
وأرتج يوماً على عبد الملك بن مروان،فقال :نحن إلى الفضل في الرأي،أحوج منا إلى الفضل في المنطق.
وأرتج على معن بن زائدة، وهو على المنبر، فضرب بيده ثم قال: فتى حرب لا فتى منابر.
صعد عبد الله بن عامر منبر البصرة، فحصر ،فشقّ ذلك عليه،فقال له زياد: أيّها الأمير! إنك إن أقمت عامّة من ترى أصابهم أكثر مما أصابك.
صعد عليّ بن أرطاة المنبر، فقال: الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم.
أرتج على خالد بن عبد الله القسريّ على منبر الكوفة، فقال: إن هذا الكلام يجيء أحياناً ويعزب أحياناً، ويسهل عند مجيئه، ويعسر عند عزوبه طلبه، وربما طلب فأبى، وكوبر فعصى، فالتأنّي لمجيئه أيسر من التعاطي لأبيّه وهو يخلج من الجريء

جنانه، وينقطع من الذّرب لسانه، فلا ينظره القول إذا اتسع، ولا يكسره النطق إذا امتنع،وسأعود فأقول إن شاء الله.
خطب رجل من الأزد أقامه زيادٌ للخطبة على منبر البصرة، فلما رقي المنبر، وقال الحمد لله، أرتج عليه، فقال: قد والله هممت ألاّ أحضر اليوم، فقالت لي امرأتي: نشدتك الله إن تركت الجمعة وفضلها، فأطعتها، فوقفت هذا الموقف، فاشهدوا أنها طالق. فقالوا له: انزل قبحك الله.وأنزل إنزالا عنيفاً.وقد قيل: إن هذه القصة لوازع اليشكري، وفي ذلك قال الشاعر:

وما ضرّني ألاّ أقوم لـخـطـبةٍ وما رغبتي في مثل ما قال وازع

وذكر القهرميّ عن أبيه قال: قام القلاخ بن حزن يوم عيد خطيباً، فقال: الحمد لله الذي خلق السّموات والأرض في ستّة أشهر.فقيل له:إنّما خلقها في ستة أيام فقال: أقيلوني، فوالله لقد ظننت أنّي أقللت،وكنت أريد أن أقول في ستّ سنين.
صعد روح بن حاتم المنبر، فلما رآهم قد فتحوا أسماعهم وشقّوا أبصارهم، قال: نكّسوا رءوسكم وغضّوا أبصاركم، فإنّ أول كلّ مركب صعب، وإذا يّسر الله فتح قفل يسِّر.
خطب مصعب بن حيّان خطبة نكاح فحصر، فقال لقّنوا موتاكم شهادة ألاّ إله إلا الله، فقالت أمّ الجارية: عجلّ الله موتك، ألهذا دعوناك?! قيل لرجل من الوجوه: قم فاصعد المنبر فتكلم، فقام. فلّما صعد المنبر حصر، فقال: الحمد لله الذي يرزق هؤلاء. وبقي ساكتاً فأنزلوه وأصعدوا آخر، فلما استوى قائماً وقابل وجوه الناس بوجهه، وقعت عينه على رجلٍ أصلع وحصر،فقال اللّهم العن هذه الصّلعة.
صعد عتّاب بن زرقاء منبر أصبهان فحصر، فقال: والله لا أجمع عليكم عيّا وبخلاء ادخلوا سوق الغنم فمن أخذ شاة فهي له وثمنها عليّ. وقد روي أن هذا إنما عرض لعبد الله بن عامر على منبر البصرة، وأن عتّاب بن ورقاء هو الذي قام على المنبر فحمد الله ثم أرتج عليه، فجعل يقول: أمّا بعد أمّا بعد...، وقبالة وجهه شيخ أصلع فقال:أما بعد يا أصلع، فوالله ما غلّطني غيرك، عليّ به، فأتي به فضربه أسواطاً.
وصعد آخر المنبر فقال: إن الله لا يرضى لعباده المعاصي، وقد أهلك أمة من الأمم بعقرهم ناقةً لا تساوي مائتين وخمسين درهما، فسمّى مقوِّم الناقة.
وهذا هو عبد الله بن أبي ثور عامل ابن الزبير على المدينة.

ذكر عمرو بن شبة، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة، قال: ثم عزل ابن الزّبير عبيدة بن الزبير، واستعمل عبد الله بن أبي ثورٍ حليف بني عبد مناف، فلّقبه أهل المدينة مقوّم ناقة الله، وغلت الأسعار فتشاءموا به، فعزله ابن الزبير.
صعد أعرابيٌّ المنبر فقال: أقول لكم ما قال العبد الصّالح: "ما أريكم إلاّ ما أرى وما أهديكم إلاّ سبيل الرّشاد"، فقالوا له: هذا فرعون. فقال: قد والله أحسن القول.
قال بزرجهمر: هيبة الزَّلل تورث حصراً، وهيبة العاقبة تورث جبناً
باب حمد الصّمت وذمِّ المنطق

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من صمت نجا".
وروينا عن عقبة بن عامرٍ، أنه قال:يا رسول الله فيم النّجاة؟ فقال: "يا عقبة أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك".
وروي أنه من كلام لقمان والله أعلم.
وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".
وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ويلٌ لمن يحدِّث الناس فيكذب ليضحكهم، ويلٌ له، ثم ويلٌ له".
وعن عيسى عليه السلام، أنه قال :"لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتفتنوا قلوبكم".
وبلغنا أنّ داود عليه السلام لقي لقمان بعد ما كبرت سنُّه، فقال: ما بقي من عقلك؟ فقال: لا أنطق فيما لا يعنيني، ولا أتكلّف ما كفيته.
وقال ابن مسعود: أنذركم فضول الكلام.
وعن ابن مسعود وسلمان الفارسي، قالا :أكثر النّاس وقوفاً يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل.
وعن عطاء: فضول الكلام ما عدا تلاوة القرآن، والقول بالسنة عند الحاجة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تنطق في أمر لا بدَّ لك منه في معيشتك، أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره أن يرى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه، ثم تلا: "وإنّ عليكم لحافظين. كراماً كاتبين" و " عن اليمين وعن الشِّمال قعيدٌ، ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد".
وعنه عليه السلام أنه قال: "البرّ ثلاثةٌ المنطق والنظر

والصَّمت، فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبارٍ فقد سها، ومن كان صمته في غير تفكّر فقد لها". قال بعض الشعراء: ? لست ممّن ليس يدري=ما هوانٌ من كرامه

إنّ للنّـصـح ولـلـغ	**ش على العين علامـه**
ليس يخفى الحبُّ والبغـ	**ض وإن رمت اكتتامه**
ليس في أخذك بالفـض	**ل وبالحـلـم نـدامـه**
وجواب الجاهل الصَّـم	**ت وفي الصَّمت سلامه**

وعن الأصمعيّ قال، قال أعرابيّ: السّكوت صيانةٌ لّلسان وسترٌ للعيّ.
وقال أعرابيّ في رجل رماه بالعيّ: رأيت عثرات النّاس في أرجلهم، وعثرة فلان بين فكّيه.
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :"إن الرَّجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة".
وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "إن الله يكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال".
وذكر الأصمعيّ قال، قال أعرابيٌ: الكلمة أسيرةٌ في وثاق الرَّجل، فإذا تكلّم بها كان أسيراً في وثاقها.
قيل لبكر بن عبد الله المزنيّ: إنك تطيل الصمت? فقال:إن لساني سبعٌ، إن تركته أكلني.
وأنشد الخشنيّ: ? لسان الفتى سبعٌ عليه مراقبٌ=فإنّ لم يزع من غربه فهو آكله وقال الراجز:?

القول لا تملكه إذا نـمـا	**كالسَّهم لا يرجعه رامٍ رما**

وقال آخر:

فداويته بالحلم والـمـرء قـادرٌ	**على سهمه ما دام في كفِّه الّسهم**

قال هبيرة بن أبي وهب:

وإنَّ مقال المرء في غير كنهه	**لكالّنبل تهوى ليس فيها نصالها**

قال أبو العتاهية: ? من لزم الصَّمت نجا=من قال بالخير غنم اجتمع أربعة حكماء، فقال أحدهم: أنا على ردِّ ما لم أقل، أقدر مني على ردّ ما قلت، وقال الآخر: لأن أندم على ما لم أقل، أحبّ إليّ من أن أندم على ما قلت، وقال الثالث: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، فإذا لم أتكلم بها ملكتها، وقال الرابع: عجبت ممن يتكلم بالكلمة، إن ذكرت عنه ضرته، وإن لم تذكر عنه لم تنفعه.
قال طرفة بن العبد:

?وإنّ لسان المرء ما لم تكن له	**حصاةٌ على عوراته لـدلـيل**

وقال منصور الفقيه:

عليك السُّكوت فإن لم يكن	**من القول بدٌّ فقل أحسنه**
فرَّبتما فارقـت بـالّـذي	**تقول أماكنها الألـسـنة**

وقال آخر:

? أيُّها المرء لا تقولـنّ قـولاً	**لست تدري ماذا يجيئك مـنـه**

واخزن القول، إنّ الصَّمت حكما وإذا أنت قلت قـولاً فـزنـه
وإذا النَّاس أكثروا فـي حـديثٍ ليس ممّا يزينهم فالـه عـنـه
وقال أحيحة بن الجلاح: ? الصَّمت أكرم بالفتى=ما لم يكن عيٌّ يشينه
والقول ذو خطلٍ إذا ما لم يكن لبٌّ يعينه
قال ابن مقسم، سمعت جحظة يقول: سمعت المأمون يقول:السخافة كثرة الكلام، وصحبة الأنذال.
أنشد ابن المبارك أخاً له كان يصحبه:
واغتنم ركعتين زلفى إلى الـل ه إذا كنت فارغاً مستـريحـا
وإذا ما هممت بالمنطق الـبـا طل فاجعل مكانه تسـبـيحـا
إنّ بعض السكوت خيرٌ من النط ق وإن كنت بالكلام فصـيحـا
وقال أبو العتاهية:
? ألا إنّ بعد الذخر ذخراً تنيله وشرُّ كلام القائلين فضـولـه
عليك بما يعنيك من كلّ ما ترى وبالصَّمت إلاّ عن جميلٍ تقوله
وله:
وحسبك مَّمن إن نوى الخير قاله وإن قال خيراً لم يكذِّبه فعلـه
كان يقال: العافية عشرة أجزاء، تسعةٌ منها في الصمت، وجزء في الهرب من النّاس.
كان يقال:من طوَّل صمته، اجتلب من الهيبة ما ينفعه، ومن الوحشة مالا يضرّه. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إن من شرار النَّاس الذين يكرمون اتّقاء ألسنتهم".
وقال الشاعر:
صمتُّ على أشياء لو شئت قلتها ولو قلتها لم أبق للصُّلح موضعا
وقال منصور الفقيه:
خرسٌ إذا سألوا وإن قالوا: عييٌّ أو جبان
فالعيّ ليس بقـاتـل ولربّما قتل اللّسان
كان يقال: اخزن لسانك كما تخزن مالك.
قال امرؤ القيس:
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيءٍ سواه بخزَّان

وقال آخر: ? لعمرك إنّ صمتك ألف عامٍ=لأصلح من كلامك بالفضول

فأمسك أو ترى للقول وجهاً يبين صوابه لذوي العقول

روينا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، أخذ يوماً بطرف لسانه وقال:ها إنّ ذا أوردني الموارد.
وقال ابن مسعود رحمه الله: إن كان الشُّؤم ففي اللّسان، ووالله ما على وجه الأرض شيءٌ أحقّ بطول سجن من اللسان.
أخذه الشاعر فقال:

? وما شيءٌ إذا فكَّرت فيه أحقّ بطول سجنٍ من لسان

كان يقال اللّسان سبع عقور.
قال الشاعر:

? رأيت اللسان على أهله إذا ساسه الجهل ليثاً مغيرا

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "وهل يكبّ النّاس في النّار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم".
قال الله عزّ وجل: "ما يلفظ من قولٍ إلاّ لديه رقيبٌ عتيدٌ"، وقال:"وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون".
وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إن الله عند لسان كلّ قائل، فلينظر كلُّ امرئ ما يقول".
قال عمَّار الكلبي: ????????? وقل الحقّ وإلاّ فاصمتن=إنَّه من لزم الصَّمت سلم

إنّ طول الصّمت زينٌ للفتى من مقالٍ فيه عيٌ وبـكـم

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "رحم الله امرءاً أمسك فضل لسانه، وبذل فضل ماله، وعلم أن كلامه محصيٌ عليه".
قال الأصبحيُّ: من كثر كلامه كثرت خطاياه.
وقال أبو الدَّرداء: من فقه الرَّجل قلَّة كلامه فيما لا يعنيه.
وقال مالك بن دينار : لو كانت الصُّحف من عندنا، لأقللنا الكلام.
قال الشاعر:

? في نبوة الدَّهر لي عذرٌ فلا تلم من أقعدته صروف الدّهر لم يقم
حصرٌ يقصّر بي عن كلِّ مرتبةٍ وما تقصّر عن نيلٍ لها هممـي
إن عابني عائبٌ بالصمت قلت له حبس الفتى نطقه خيرٌ من النَّدم

وقال معقر بن حمارٍ البارقي: ?? الشِّعر لبّ المرء يعرضه=والقول مثل مواقع النَّبل وقال آخر:

والقول ينفذ مالا تنفذ الإبر

لما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت، أطال الصمت، فقيل له: ألا تتكلم؟ فقال: الكلام صيَّرني في بطن الحوت.
قال عمر بن عبد العزيز: المحظوظ التَّقّي يلجم لسانه، أخذه الحسن بن هانئ فقال:

إنَّما العاقـل مـن أل جم فـاه بـلـجـام
مت بداء الصَّمت خيرٌ لك من داء الكـلام

سئل عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- عن قتلة عثمان، فقال: تلك دماء كفّ الله عنها يدي، فأنا أكره أن أغمس فيها لساني.
وقال يزيد بن أبي خبيب المتكلم ينتظر اللعنة، والمتصنَّت ينتظر الرحمة. ويقال: شر ما طبع الله عليه المرء، خلق دنيّ، ولسان بذيّ. وقالوا البذاء من النفاق.
وقال ابن القاسم:سمعت مالكاً يقول:لا خير في كثرة الكلام،واعتبر ذلك بالنساء والصبيان. إنما هم أبداً يتكلمون، لا يصمتون.
وقال الحسن لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلَّم فكَّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الجاهل من وراء لسانه.
قال نصر بن أحمد:

لسان الفتى حتف الفتى حين يجهل	وكلّ امرئ ما بين فكَّيه مقتل
وكم فاتحٍ أبواب شرٍّ لنفسه	إذا لم يكن قفلٌ على فيه مقفل
إذا ما لسان المرء أكثر هذره	فذاك لسانٌ بالبلاء موكّل
إذا شئت أن تحيا سعيداً مسلَّماً	فدبّر وميّز ما تقول وتفعل

قال صالح بن جناح:

أقلل كلامك واستعذ من شرّه	إنّ البلاء ببعضه مقرون
واحفظ لسانك واحتفظ من غيّه	حتّى يكون كأنَّه مسجون
وكِّل فؤادك باللِّسان وقل له	إنّ الكلام عليكما موزون
فزناه وليك محكماً في قلّةٍ	إنّ البلاغة في القليل تكون

قال اللّاحقي:

اخفض الصَّوت إن نطقت بليلٍ	والتفت بالنَّهار قبل الكلام

قال آخر:

أرى الصَّمت خيراً من كلامٍ بمأثمٍ	فكن صامتاً تسلم وإن قلت فاعدل
ولا تكٍ في حقّ الإخاء	وإن أنت أبغضت البغيض

مـفـرّطـاً | فأجمـل
ولا تعجلـن يومـاً بـشـرٍّ تـريده | وإذ ما هممت الدَّهر بالخير فاعجل
ألا إنّ تقوى الـلـه خـير مـغـبّةٍ | وأفضل زاد الظَّاعن المتـحّـمـل

وقال آخر:

عوّد لسانك قول الصِّدق تحظ به | إنّ الِّلسان لما عوّدت معـتـاد

وقال الحكماء:إذا تمَّ العقل نقص الكلام، فضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هجنة.

وقال عمرو بن العاص:زلّة الرجل عظم يجبر، وزلّة اللسان لا تبقي ولا تذر وقال أعرابي:

عثرات الِّلسان لا تسـتـقـال | وبأيدي الرِّجال تجزي الرِّجال
فاجعل العقل للِّسان عـقـالاً | فشراد اللِّسان داءٌ عـضـال
إنَّ ذمَّ اللِّسان مبقٍ على العـر | ض وبالقول تستبان الفعـال

وقال غيره:

يموت الفتى من عثرةٍ بـلـسـانـه | وليس يموت الرَّجل من عثرة الرِّجل
فعثرته من فيه تـرمـي بـرأسـه | وعثرته بالرِّجل تبرا علـى مـهـل

وقال منصور الفقيه:

واخرس إذا خفيت أمـو | ر الحقّ عنك عن الإجابة
فأقلّ ما يجزي الفـتـى | بسكوته عزّ الـمـهـابة

وقال محمود الوراق:

ولفظك حين تلفظ في جميعٍ | ولا تكذب مقدّمةٌ لفعلـك
فزنه إن أردت القول وزناً | وإلاَّ هدّ من أركان نبلـك

وقال آخر:?

ومن لاَّ يملك الشَّفتين يسخو | بسوء الَّلفظ من قيلٍ وقال

كان يونس بن عبد الأعلى ينشد هذه الأبيات:

قد أفلح السَّاكت الصَّموت | كلام واعي الكلام قوت
ما كلّ قولٍ لـه جـوابٌ | جواب ما تكره السكوت

ياعجباً لامرئ ظـلـومٍ   مستيقـنٍ أنّـه يمـوت

?بابٌ من مزدوَّج الكلام
الزوجة أحد الكاسبين، وقيل إصلاح المال أحد الكاسبين.
قلة العيال أحد اليسارين.
القلم أحد اللِّسانين.
الشيب أحد العسرين.
اليأس أحد النّجحين. ويقال: تعجيل اليأس أحد الظَّفرين.
حسن التَّقدير أحد الكسبين.
اللّبن أحد الجبنين.
كثرة العيال أحد الفقرين.
المال أحد الجاهين.
الدُّعاء للسَّائل أحد العطاءين، وقيل: الرّد على السائل بالدّعاء إحدى الصَّدقتين.
العجيزة أحد الوجهين. وقيل: الشِّعر أحد الوجهين.
الشَّحم إحدى الحسنيين.
البياض أحد الجمالين. المرق أحد اللّحمين.
ملك العجين أحد الرَّيعين. قال عمر بن الخطاب: املكوا العجين إنه أحد الرَّيعين.
المبلِّغ أحد الشَّاتمين.
السامع للغيبة أحد المغتابين.
الرَّاوية للهجاء أحد الهجَّائين.
فصلٌ منه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم لرجل أوصاه: "حافظ على العصرين".
والعصران: الصبح والظهر.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى البردين دخل الجنة".
البردان: الغداة والعشي.
وقال بعضهم: الأبردان: الغداة والعشيّ.
الأيهمان: السّيل والحريق.
الأحمران: الذَّهب والزَّعفران.
الأسودان: التَّمر والماء.
الأطيبان: الأكل والجماع.
الأجوفان :الفم والفرج.
الأصغران: القلب واللسان.
الأكبران : الهمَّة واللّب.
الأصمعان: الفهم الذكي والرأي الحازم.

الجديدان: اللَّيل والنَّهار وكذلك الملوان، وكذلك العصران، قال حميد ابن ثور الهلالي:

ولن يلبث العصران يوماً وليلةً إذا طلبا أن يدركا ما تيمَّمـا

وقال أبو بكر بن دريد:

إنَّ الجديدين إذا ما استوليا على جديدٍ أدنياه للبلـى

وقال سليمان بن بطّال:

وتقلُّب الملوين بينهما الرَّدى إن لم يكن هذا يجيء به فذا

العمران: أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- هذا قول الأكثر.
كما قالوا: المكّتان: مكّة والمدينة.
والقمران :الشمس والقمر.
قال الفرزدق:

أخذنا بآفاق السَّماء عليكمـا لنا قمراها والنُّجوم الطَّوالع

لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر.
وقال أبوعبيدة في قول قيس بن زهير.

جزاني الزَّهدمان جزاء سوءٍ وكنت المزء يجزي بالكرامة

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابني محمد بن وهب من بني عبس بن بغيض، وقال أبو عبيدة: الزهدمان: زهدمٌ وكردم.
قال أبو عمر: الحجة في هذا قول الله عزّ وجلّ: "ولأبويه"، فالأبوان الأب والأم.
وقد قال قتادة: العمران: عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز. والأول أشهر وأكثر.

باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط، فقال له:من للصِّبية يا محمد؟ قال: النَّار.
قال الأعمش: احذروا الجواب،فإن عمرو بن العاص قال لعديّ بن حاتم: متى فقئت عينك يا أبا طريف؟ قال: يوم طعنت في استك وأنت مولّ يوم صفين.
شهد أعرابّي بشهادة عند معاوية على شيء، فقال: كذبت.فقال: الكاذب والله مزمل في ثيابك.فتبسم معاوية وقال:هذا جزاء من عجل.
أنشد ابن الرِّقاع قصيدة يذكر فيه الخمر، فقال له معاوية: أما إني قد ارتبت فيك في جودة وصف الشراب، فقال: وأنا قد ارتبت بك في معرفته.

قال تميم بن نصر بن سيَّار لأعرابي: هل أصابتك تخمة قط؟ قال:أما من طعامك وشرابك فلا. قال عبد الملك بن مروان لبثينة: ما رجا منك جميل؟ قالت: ما رجت منك الأمَّة حين ملكتك أمرها.
قيل لبعضهم: صحبت الأمير فلانا إلى اليمن، فما ولاّك؟ قال:قفاه.
قيل لأعرابي: صف لنا النخلة. فقال: صعبة المرتقى، بعيدة المهوى، مهولة المجتنى، رهيبة السِّلاح، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة الملمس، ضئيلة الظل.
دخل معن بن زائدة على المنصور، فأسرع المشي وقارب الخطر، فقال له المنصور: كبرت سنُّك يا معن؟ قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك مع ذلك لجلد. قال:على أعدائك يا أمير المؤمنين.قال: وإن فيك لبقية. قال: هي لك يا أمير المؤمنين.
دخل عديّ بن حاتم على معاوية، وعنده عبد الله بن عمرو، فقال له عبد الله: يا عديّ متى ذهبت عينك؟ قال: يوم مثل أبوك هارباً، وضرب على قفاه مولياً، وأنا يومئذ على الحق، وأنت وأبوك على الباطل.
قال المهديّ لجرير بن زيد: يا جرير إني لأعدُّك لأمر. قال جرير: إن الله قد أعدَّ لك منّي قلباً معقوداً بنصيحتك ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوذاً على عدوك، إذا ما شئت.
قالت جارية ابن السَّمَّاك له: ما أحسن كلامك إلا أنك تردده.قال: أردده حتى يفهمه من لم يكن فهمه. قالت: فإلى أن يفهمه من لم يكن فهمه يمله من فهمه.
قال الحسن لابن سيرين: تعبر الرؤيا كأنك من آل يعقوب. فقال ابن سيرين: وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل.
قال رجل لعمر بن الخطاب :أهلكنا النوم: فقال: بل أهلكتم اليقظة.
مرت أمة بسعيد بن المسيب وقد أقيم ليضرب، فقالت: يا شيخ! لقد أقمت مقام الخزي. فقال : بل من مقام الخزي فررت.
قال رجلٌ لعمرو بن العاص لأتفرغَنَّ لك. فقال: حينئذ تقع في الشغل.
لقي الحسن الفرزدق في حين خروجه إلى العراق، فسأله عن الناس، فقال:القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر من الله.
قال رجل عند الحسن: أهلك الله الفخار. قال :إذا استوحش في الطريق. قيل للأصمعي: لماذا لا تقول الشعر؟ قال: الذي

أريده لا يواتيني، والذي يواتيني لا أريده، أنا كالمسنّ أشحذ ولا أقطع.
قيل لابن المقفع: مالك لا تقول الشعر؟ فقال: الذي يواتيني لا أريده، والذي أريده لا يواتيني. قال: ابن مناذر:

لا تقل شعراً ولا تهمم به وإذا ما قلت شعراً فأجد

قال عبد الله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال: إنك أشبه الناس بإبليس.
قال: وما تنكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن.
قيل لأعرابية من بني عامر: لقد أحسنت العزاء على ابنك. قالت: إن فقده أيأسني من المصائب بعده. ونعى إلى أعرابية ابن لها، فقالت: لقد نعيتموه كريم الجدّين، ضحوكاً إذا أقبل كسوباً إذا أدبر، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد.
قال الأحوص للفرزدق: متى عهدك بالزنا؟ قال: مذ ماتت العجوز أمك.
قال أبو الزناد لابن شبرمة في مناظرته له: من عندنا خرج العلم. فقال ابن شبرمة:ثم لم يعد إليكم.
قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه في نسائكم يا بني عبد شمس أبين.
قال زهير:

"ومن لا يكرَّم نفسه لا يكرَّم" ..ومن لا يتّق الشَّتم يشتم"

قال معاوية لابن عباس: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم. فقال ابن عباس:وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم.
قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: أين ترى عمك أبا لهب؟ قال:في النار، مفترشاً عمتك حمالّة الحطب. وكانت أم جميل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس.
قال الرشيد لشريك القاضي: يا شريك! آية في الكتاب ليس لك ولا لقومك فيها شيء. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال قوله تعالى: "وإنَّه لذكرٌ لك ولقومك"، فقال آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء. قال: وما هي؟ قال: "وكذَّب به قومك وهو الحقُّ".
قال الرشيد لأبي الحارث جمَّيرا: أيسرك أن تخرا الغالية؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: ولم؟ والناس يتمنونها قال: أخاف أن يختم أمير المؤمنين على سراويلي فلا يفتحها.
قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبد الله بن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك، وتعمل لسانك في قومك.
وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص، وكان رجل من قريش يشرب الخمر، فقال له أبو بكر: قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الخمر. فقال: لا أومن به حتى يبرئ الأبرص.

قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية، فأتاه أهل الكوفة يسلمون عليه، وقالوا: ما رأينا بعدك مثلك. فقال خيراً أم شراً؟ قالوا: لم نر بعدك إلا شراً منك. قال: لكني والله ما رأيت بعدكم شرا منكم، والله يا أهل الكوفة، إن حبكم لصلف، وإن بغضكم لتلف.
قال المنذر بن الجارود لعمرو بن العاص:أي رجل أنت لو كانت أمك من عز قريش؟ قال عمرو: أحمد الله إليك، لقد عرضت قبائل العرب على نفسي أتمنى من أيهم تكون أمّي في طول ليلتين، فما خطرت عبد القيس على بالي.
جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص، وهو على المنبر عن أمه، فسأله. فقال: هي سلمى بنت حرملة، تلقب النابغة، من بني عنزة، ثم أحد بنى جلاَّن، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت وأنجبت. فإن كان لك جعل فخذه.
فاخر رجل من ولد أبي البختريَّ بن هشام رجلا من ولد الزبير، فقال: أنا ابن عقير الملائكة. قال ابن الزبير: فنعم العاقر وبئس المعقور، فقال: أنا ابن شداد البطحاء. قال: شدها أبوك بسلحه، وشدها أبي برمحه.
جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من على، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبة، فقال: رجل، فاستوص به خيراً.
ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث، فجلس يضرب أعناقهم، فأتي في آخرهم برجل من تميم، فقال له ياحجاج! لئن كنا أسأنا في الدنيا، فما أحسنت في العقوبة. فقال الحجاج: أفّ لهذه الجيف، ما كان فيهم من يحسن هذا؟ وأمر بتخلية سبيل من بقي.
قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر: أساءتك ولايتنا أم سرتك؟ قال: ساءتني لك وسرتني للمسلمين.
عاتب أعرابي أباه فقال: إن عظيم حقك علي، لا يذهب صغير حقي عليك، والذي تمتُّ به إليّ أمت بمثله إليك، ولست أزعم أنّا سواء، ولكن لا يحل لك الاعتداء.
لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبت ذلك عائشة وركبت بغلة وجمعت الناس، فقال لها ابن عباس: كأنك أردت أن يقال: يوم البغلة كما قيل

يوم الجمل؟! قالت: رحمك الله، ذاك يوم نسي. قال: لا يوم أذكر منه على الدهر.
قيل لمعاوية بن سفيان، يوم صفين: إنك تقدم حتى نقول: إنك تقبل، وإنك أشجع الناس، وتتأخر حتى نقول :إنك تفر، وإنك أجبن الناس. قال: أتقدم إذا كان التقدم غنما، وأتأخر إذا كان التأخرعزما.
سأل ابن الزُّبير معاوية حاجة فلم يقضها، فاستعان عليه بمولاة له، فقضى حاجته، فقال له رجل: استعنت بامرأة! فقال: إذا أعيت الأمور من أعاليها طلبناها من أسافلها.
اشتكىعبد الله بن صفوان ضرسه، فأتاه رجل يعوده، وقال: ما بك؟ قال:وجع الضرس. فقال: أما علمت ما يقول إبليس؟ قال: لا. قال: يقول: دواؤه الكسر. قال :إنما يطيع إبليس أولياؤه.
مرض رجل من الأعراب فعاده جاره فقال: ما تجد؟ قال: أشكو دمَّلاً آلمني وزكاماً أضرَّ بي.فقال :أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسد شيء من الأمراض ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة، فأنشأ الأعرابي يقول:

أيحسدني إبليس دائين أصبحا بجسمي جميعاً دمَّلاً وزكاماً
فليتهما كانا به وأزيده رخاوة فحلٍ ما يطيق قياما

قال أبو جعفر المنصور لأبي جعونة العامريّ من أهل الشام: ألا تحمدون الله بأنا قد ولينا عليكم ورفع عنكم الطاعون؟! قال: لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون.
قيل لبعضهم: أراك تكره الغزو، وما يكرهه إلا جبان أو متهم؟ فقال:والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة.
عرض بعض القواد أصحابه، فمر به رجل معه سيف رديء، فقال له: ويحك ما هذا السيف؟! أما علمت أن الرجل بسيفه؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير,إنها مأمورة. قال هذا مما يقطع شيئاً.
قيل لابن سيرين: من أكل سبع رطبات على الريق سبَّحت في بطنه، فقال ابن سيرين: لئن كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أكل أن يصلي الوتر والتراويح.
قيل لابن السَّمَّاك في زمن يزيد بن معاوية: كيف تركت الناس؟ قال: مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي.
قال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أحمق قومك حين قالوا: "ربنا باعد بين أسفارنا" أما كان جمع الشمل خيراً لهم؟ فقال اليماني: قومك أحمق منهم، حين قالوا: " اللَّهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السَّماء، أوائتنا بعذابٍ إليم"، أفلا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.
قال رجل للرقاشي: ما يجب على المؤمن في حق الله؟ قال: التعظيم له والشكر لنعمه، قال: فما يجب عليه في حق السلطان؟ قال: الطاعة والنصيحة. قال: فما يجب عليه في حق نفسه؟ قال: الاجتهاد في العبادة، واجتناب الذنوب. قال: فما يجب عليه في حق العامة؟ قال: كف الأذى وحسن المعاشرة. قال: فما يجب عليه في حق الخليط؟ قال: الوفاء بالمودة وحسن المعونة.
قال بعض الجلّة لأعرابي من بني تميم يمازحه: يا أعرابيّ! من الذي يقول:

تميمٌ ببطن اللُّؤم أهدى ولو سلكت سبل

من القطا المكارم ضلّت

فقال: لا أعرفه. ولكن أعرف الذي يقول :

أعضّ الله من يهجو تميمـاً ومن يروي لها أبداً هجـاءا

ببطن عجوزةٍ وبإست أخرى وأدخل رأسه من حيث جاءا

دخل طفيليٌّ دار قوم بغير إذن، فاشتدّ عليه صاحب الدار في القول، فأغلظ له الطفيلي في الجواب، وقال له: والله لئن قمت إليك لأدخلنك من حيث خرجت. فقال صاحب المنزل: أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت، وأخذ بيده فأخرجه.

قال الفرزدق لكثير- وقد أنشد: ما أشبه شعرك بشعري! أفكانت أمك أتت البصرة؟ فقال:لا ولكن أبي أتاها، ونزل في بني دارم.

قال المثّقب العبديّ:

وكلمة حاسدٍ من غير جـرمٍ سمعت فقلت مرّي فانفذيني

وعابوها عليَّ ولم تعبـنـي ولم يعرق لها يوماً جبينـي

وما من شيمتي شتم ابن عميِّ ولا أنا مخلفٌ من يرتجيني

وذو الوجهين يلقاني طليقـاً وليس إذا تغّيب يأتـلـينـي

بصرت بعيبه فكففت عنـه محافظةً على حسبي وديني

قال رجلٌ من بني عجل لأبي الرَّوحاء الشاعر، بهمذان: ممن الرجل؟ قال:من العجم. قال العجلي: إنما الشعر للعرب، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى ينزو على أمه رجل من العرب. فقال أبو الروحاء: فكل من لم يقل الشعر من العرب، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس.

قال مسكين الدارمي: ?وإذا الفاحش لاقى فاحشاً=فبهذا وافق الشَّنّ الطبق

إنما الفحش ومـن يعـتـاده كغراب البين ما شاء نعـق

أو حمار السُّوء إن أمسكتـه رمح الناس وإن جاع نهـق

أو غلام السُّوء إن جوّعتـه سرق الجار وإن يشبع فسق

قال رجل لشريح القاضي: لشد ما ارتفعت فقال له شريح: هل ضرك ذلك؟ إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها في نفسك.

قيل لمزيد -وهو يحمل شيئاً تحت إبطه-: يا مزيد! ما هذا الذي تحت حضنك؟ قال: يا أحمق! ولم خبأته؟ قال الفرزدق للحسن: يا أبا سعيد إني قد هجوت إبليس، أفتسمع؟ فقال له الحسن: اسكت، فإنك على لسانه تنطق.
قيل لأعرابي: أتهمز الفارة؟ قال: إنما يهمزها السنور. قال حمزة الكسائي: أتهمز الذيب؟ قال: لو همزته أكلني.
سأل رجل من الشعراء رجلا من المتكلمين بين يدي المأمون، فقال: ما سنك؟ قال:عظم. قال: لم أرد هذا، ولكن كم تعدَّ؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأزيد. قال: لم أرد هذا، ولكن كم أتى عليك؟ قال: لو أتى علي شيء لأهلكني. فضحك المأمون. فقيل له: كيف السؤال عن هذا؟ فقال: أن تقول؟ كم مضى من عمرك.
لقي رجل رجلاً راكباً، فقال له: أين تنزل فقال له: حيث أضع رجلي.
وهب المفضل الضبي لبعض جيرانه أضحية، فلقيه بعد النحر، فقال: كيف وجدت أضحيتك؟ فقال: ما وجدت لها دماً، أراد قول الشاعر: ؟ ولو ذبح الضّبِّي بالسيف لم تجد=من اللؤم للضَّبِّيِّ لحماً ولا دما
اجتمع ناس من الشعراء على باب عدي بن الرِّقاع الشاعر، فخرجت بنت له، فقالت: ما تريدون، قالوا: نريد أباك لنخزيه ونفضحه. فقالت:

تجمّعتم من كلِّ أوبٍ وبـلـدةٍ على واحدٍ لا زلتم قرن واحد

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة، فقال ابن شبرمة -وكان كوفياً-: لنا أحلام ملوك المدائن، وسخاء أهل السواد، وظرف أهل الحيرة، ولكم سفه السند، وبخل الخزر، وحمق أهل غسان.
قال الربيع الحاجب لشريك القاضي بحضرة المهدي: بلغني أنك اختنت أمير المؤمنين. فقال شريك: لا تقل ذلك. لو كنت اختنته لكان قد أتاك نصيبك.
قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له: لحنت. فقال: الجواد يعثر. قال المؤدب: إي والله، ويضرب حتى يستقيم. فقال: نعم، وربما كسر أنف سائسه.
وقف أعرابي على قوم فقال: رحم الله من لم تمج أذنه كلامي، وقدم لنفسه معاذه من سوء مقامي، فإن البلاد مجدبة، والحال مسغبة، والحياء زاجر يمنع من كلامكم، والفقر يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحد الصدقتين، فرحم الله امرءاً أمر بخير. فقيل له: من أنت؟ فقال: اللهم اغفر، سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب.
سمع إياس بن معاوية -رحمه الله- يهوديا يقول: ما أحمق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون. فقال له إياس بن معاوية: أو كل ما تأكله تحدثه؟ قال: لا. لأن الله يجعل أكثره غذاء. قال: فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غذاء.
جمع المأمون بين العتَّابي وبين أبي قرَّة النصراني، فقال لهما: تناظرا وأوجزا. فقال العتابي لأبي قرة: أسألك أم تسألني؟ فقال: سلني. قال: ما تقول في المسيح؟ قال: أقول إنه من

الله عز وجل. فقال العتابي: إن "من" تجيء على أربعة أوجه: فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ، والولد من الوالد على سبيل التناسل، والخل من الحلو على سبيل الاستحالة، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة، فهل عندك خامسة قال: لا، ولكني لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول؟ فقال العتابي: إن قلت: إنه كالبعض من الكل جزّأته، والباري لا يتجزأ، وإن قلت: إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعاً إلى مالا نهاية، وهذا لا يجوز على الباري عز وجل، وإن قلت على سبيل الاستحالة، أوجبت فساداً، والباري لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال، وإن قلت: إنه كالخلق من الخالق، كان قولا حقا، وهو الحق الذي لا شك فيه. وصف إبراهيم النظام لأبي عبيدة معمر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب، فمر به يوماً ومعه قارورة زجاج، فأراد أن يختبره، فقال: يا أبا إسحاق! ما عيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار، بطيئة الانجبار. فأعجب ذلك أبا عبيدة.

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان: أيُّما أحسن، دار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن.

سمع سوارٌ القاضي الحجّاج بن أرطاة يقول?: أهلكني حب الشرف، فقال: اتق الله تشرف.

قال مالك بن أنس: قدم على عمر بن عبد العزيز فتيان، فقالا: إن أبانا توفي فترك مالا عند عمنا حميد، فأمر عمر بإحضاره، فلما دخل عليه، قال له عمر: يا حميد أنت القائل:

حميد الّذي أمــجٌ داره	**أخو الخمر ذو الشَّيبة الأصلع**
أتاني المشيب على شربـهـا	**وكان كريماً فـمـا ينـزع**

فقال: نعم. قال: أما إذ أقررت، فأني سأجلدك؟ قال ولم؟ قال: لأنك أقررت بشرب الخمر، وزعمت أنك تنزع عنها. فقال: هيهات، أين تذهب بك؟ ألم تسمع قول الله يقول: "والشُّعراء يتَّبعهم الغاوون، ألم تر أنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمون وأنَّهم يقولون مالا يفعلون"? قال عمر: أولى لك يا حميد، لقد أفلت. ثم قال: ويحك ياحميد، كان أبوك صالحاً، وأنت رجل سوء. قال: أصلحك الله، وأنت رجل صالح، وكان أبوك رجل سوء، وما كلُّ الناس يشبه أباه، فقال: إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي، وترك عندك مالاً. قال: صدقوا، وأنا أحضره الآن. فأحضره بخواتيم أبيهم، ثم قال: إن هؤلاء توفي أبوهم منذ كذا وكذا، وأنا أنفق عليهم من مالي وهذا مالهم. فقال عمر: ما أحدٌ أحقّ أن يكون عنده منك. قال: ما كان ليعود إليّ وقد خرج من عندي.

دخل الأحنف بن قيس التميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً، فقال: يا أحنف ما الشيء الملَّفف في البجاد? يعرض له بقول الشاعر:

إذا ما مات ميتٌ من	**فسرّك أن يعيش فجيء**

تـمـيم بخبزٍ أو بتمـرٍ أو بـسـمـنٍ
بزاد أو الشيء الملَّفف في البجاد
تراه يطوف في الآفاق حرصاً
ليأكل رأس لقمان بـن عـاد

والشيء الملفف في البجاد: وطب اللبن. فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه، فقال: الشيء الملفف في البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين. وذلك أن قريشاً كانت تعّير بأكل السخينة. وهي حساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة وغلاء السعر.

باب الأدب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منح والدٌ ولده خيراً من أدب حسن" وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال:"ما نحل والدٌ ولده خيراً من أدب حسن".
قال سليمان بن داوود: من أراد أن يغيظ عدوَّه، فلا يرفع العصا عن ولده.
وقال محمد بن سيرين: كانوا يقولون: أكرم ولدك وأحسن أدبه.
كان يقال: من أدّب ولده أرغم أنف عدوه.
قال الحسن: التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر.
قال الشاعر:

خير ما ورَّث الرّجال بنيهـم
أدبٌ صالحٌ وحسن الثّـنـاء
هو خيرٌ من الدَّنـانـير والأو
راق في يوم شدَّةٍ أو رخـاء
تلك تفنى والدِّين والأدب الصَّ
الح لا تفنيان حتَّى البـقـاء
إن تأدَّبت يا بنـيّ صـغـيراً
كنت يوماً تعدّ في الكبـراء
وإذا ما أضعت نفسـك ألـفـي
ت كبيراً في زمرة الغـوغـاء
ليس عطف القضيب إن كان رط
باً وإذا كان يابـسـاً بـسـواء

قال لقمان : ضرب الوالد للولد كالّسماد للزرع.
قال بعض الحكماء: لا أدب إلاّ بعقل، ولا عقل إلا بأدب.
كان يقال: التجربة علم، والأدب عون، وتركه مضرّة بالعقل.
كان يقال: العون لمن لا عون له الأدب.
قال الأحنف: الأدب نور العقل، كما أنّ النار في الظلمة نورالبصر.

قال الأصمعيّ: ما مطيةٌ أبلغ دركاً وهي وادعة من الأدب.
قال بزرجمهر: أرفع منازل الشَّرف لأهله العلم والأدب.
وقيل: من قعد به حسبه نهض به أدبه.
وقال ابن أبي دؤاد لرجل تخطّى أعناق الرّجال إليه: إنّ الأدب المترادف خير من النَّسب المتلاحف.
كان يقال: الأدب من الآباء، والصّلاح من الله.
كان يقال: من أدّب ابنه صغيراً قرّت به عينه كبيراً.
وقال الحجاج لابن القرِّيَّة: ما الأدب؟ قال: تجرُّع الغصّة حتى تمكن الفرصة.
ووصف أعرابيٌّ الأدب في مجلس معمر بن سليمان، فقال: الأدب أدب الدّين، وهو داعيةٌ إلى التوفيق، وسببٌ إلى السعادة وزادٌ من التقوى، وهو أن تعلم شرائع الإسلام، وأداء الفرائض، وأن تأخذ لنفسك بحظّها من النافلة، وتزيد ذلك بصحّة النية، وإخلاص النفس، وحبّ الخير، منافساً فيه، مبغضاً للشرّ نازعاً عنه، ويكون طلبك للخير، رغبةً في ثوابه، ومجانبتك للّشِّر رهبةٌ من عقابه، فتفوز بالثواب، وتسلم من العقاب، ذلك إذا اعتزلت ركوب الموبقات، وآثرت الحسنات المنجيات.
وقال أعرابيٌ: الأديب من اعتصم بعزّ الأدب من ذلّة الجهل، ولم يتورط في هفوة، وكان أدبه زلفى إلى الحظوة في دنياه وأخراه.
قال منصور الفقيه:

ليس الأديب أخا الـرِّوا	**ية للنّوادر والغـريب**
ولشعر شيخ المحدثـين	**أبي نواسٍ أو حـبـيب**
بل ذو التَّفضل والمـرو	**ءة والعفاف هو الأديب**

كان يقال: من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه.
الحطيئة:

إذا نكبات الدَّهر لم تعظ الفتـى	**عن الجهل يوماً لم تعظه أنامله**
ومن لـم يؤدّبـه أبـوه وأمّـه	**تؤدِّبه روعات الرَّدى وزلازله**
فدع عنك ما لا تستطيع ولا تطع	**هواك ولا يذهب بحقّك باطلـه**

وقال آخر:

من لم يؤدِّبه والداه	**أدَّبه الَّليل والنَّهار**

وقال محمد بن جعفر: الأدب رياسة، والحزم كياسة، والغضب نار، والصَّخب عارٌ.
قال ابن القرِّيَّة: تأدبوا فإن كنتم ملوكاً سدتم، وإن كنتم أوساطاً رفعتم، وإن كنتم فقراء استغنيتم.
قال شبيب بن شبية: اطلبوا الأدب فإنّه عونٌ على المروءة، وزيادةٌ في العقل، وصاحبٌ في الغربة،

وحليةٌ في المجالس.
قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله عزّ وجل: "يا أيُّها الَّذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا"، قال: أدّبوهم وعلّموهم.
قال الشاعر:

يقوِّم من ميل الغلام المؤدِّب ... ولا ينفع التّأديب والرَّأس أشيب

وقال آخر:

إنّ الحداثة لا تقصر بالفتى المرزوق ذهنا
لكن تزكِّى عقله فيفوق أكبر منه سنَّاً

وقال آخر:

رأيت الفهم لم يكن انتهابا ... ولم يقسم على مرِّ السِّنين
ولوأنَّ السِّنين تقاسمته ... حوى الآباء أنصبة البنين

قال مصعب بن عبد الله الزُّبيري: قال لي رجل من أهل الأدب فارسيّ النسب: إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غربة، ولم يقصروا عن مكرمة: الشجاع حيث كان، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه، والعالم فبالناس حاجة إلىعلمه، والحلواللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه، فإن لم تعط رباطة الجأش، وجرأة الصدر، فلا يفوتنك العلم وقراءة الكتب، فإن بها أدباً وعلماً قد قيَّدته لك العلماء قبلك، تزداد بها في أدبك وعلمك.
قال سابق البربريّ:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهلٍ ... وليس ينفع بعد الكبرة الأدب
إنَّ الغصون إذا قوَّمتها اعتدلت ... ولن تلين إذا قوّمتها الخشب

قيل لعيسى عليه السلام: من أدَّبك؟ قال: ما أدَّبني أحدٌ، رأيت جهل الجاهل فاجتنبته.
قال بعض الحكماء: أفضل ما يورِّث الآباء الأبناء: الثناء الحسن، والأدب النافع، والإخوان الصالحون، وأنشدوا:؟

ويعدم عاقلٌ أدباً فيجفو ... وتنسبه إلى غلظ الطِّباع
ومنزلة التَّأدب من أديبٍ ... بمنزلة السِّلاح من الشُّجاع

قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بنيّ لوعداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعوّلون عليه؟ فقال الوليد:أما أنا ففارس حرب، وقال سليمان: أما أنا فكاتب سلطان، وقال ليزيد: فأنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين!؟ ما تركاغاية لمختار. فقال عبد الملك: فأين أنتم يا بنيّ من التجارة التي هي أصلكم ونسبتكم؟ فقالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة، ولا ينجوصاحبها من

الدخول في جملة الدّهماء والرعية، قال: فعليكم إذاً بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكاً سدتم، و إن كنتم أوساطاً رأستم، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم.
باب ترويح القلوب وتنبيهها
قال عبد الله بن مسعود: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتخوَّلنا بالموعظة مخافة السّآمة علينا.
وكان عليُّ بن أبي طالب يقول: إنّ هذه القلوب تملّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.
وقال عليٌّ رضي الله عنه: نبّه بالتفكّر قلبك، وجاف عن النوم جنبك، واتق الله ربّك.
قال أبو الدّرداء: إني لأستجمُّ قلبي بشيءٍ من اللّهو، ليكون أقوى لي على الحقّ.
قال عبد الله بن مسعود: أريحوا القلوب، فإن القلب إذا أكره عمى.
وقال أيضاً: إنّ للقلوب شهوةً وإقبالا، وفترة وإدباراً، فخذوها عند شهواتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها.
كان يقال: الملالة تفسخ المودّة، وتولّد البغضة، وتنغّص اللّذة.
قال أرسطو طاليس: ينبغي للرّجل أن يعطي نفسه لذّتها في النهار ليكون ذلك عوناً لها على سائر يومه.
في صحف إبراهيم عليه السّلام: وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعةٌ يناجي فيها ربّه، وساعةٌ يحاسب فيها نفسه، وساعةٌ يخلّي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويجمل، فإنّ هذه الساعة عونٌ له على سائر السّاعات.
قال عمر بن عبد العزيز: تحدثوا بكتاب الله تعالى، وتجالسوا عليه، وإذا مللتم فحديثٌ من أحاديث الرّجال حسنٌ جميل.
وقال بعض الحكماء من السَّلف:القلوب تحتاج إلى قوتها من الحكمة كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء.
دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه، وهو في نوم الضّحى، فقال: يا أبت إنّك لنائم، وإنّ أصحاب الحوائج لراكدون ببابك فقال: يا بنيَّ إن نفسي مطيّتي، وإن حملت عليها فوق الجهد قطعتها.
قال الحسن البصريُّ رضي الله عنه: حادثوا هذه القلوب، فإنّها سريعة الدُّثور، وأفزعواهذه النفوس فإنها طلعة، وإن لم تفعلوا هوت بكم إلى شرّ غاية.
وقال غيره من العلماء: حادثوا هذه القلوب فإنّها تصدأ كما يصدأ الحديد، وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم، أنه

قال: "إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد". قالوا: فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: "تلاوة القرآن".
كان يقال: الفكرة مرآة المؤمن، تريه حسنه من قبيحه.
كان يقال: التفكر نورٌ، والغفلة ظلمة.

باب قولهم في وصف العيش وما تتمنَّاه الَّنفس

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافىً في جسمه، معه قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا".
كان عمر بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب:

المرء ساعٍ لأمرٍ ليس يدركه والعيش شحٌ وإشفاقٌ وتأميل

قال أبو يعلى: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا محمد بن حرب الزِّيادي، قال: حدثني أبي قال: قال زيادٌ لجلسائه: من أغبط الناس عيشاً؟ قالوا: الأمير وجلساؤه.فقال :ما صنعتم شيئاً، إنّ لأعواد المنابر هيبة،و إنّ لفرع لجام البريد لفزعة، ولكن أغبط النّاس عندي: رجل له دارٌ لا يجري عليه كراؤها، وله زوجة صالحة، قد رضيته ورضيها فهما راضيان بعيشهما، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإنّه إن عرفنا وعرفناه أتعبنا ليله ونهاره، وأفسدنا دينه ودنياه.
قال عمر: لما فتح الله على رسوله بني النضير وغيرهما، كان يتخذ منها لنفسه وعياله قوت سنة، ثم يجعل الباقي في الكراع والسّلاح في سبيل الله.
وقال سليمان: إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت.
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إذا تمنّى أحدكم فليكثر، فإنّما يسأل ربّه".
وليس في هذا معارضة لقول الله: "ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعضٍ" لأن معنى هذا عند العلماء أن يتمنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه، ليصرفه الله عنه إليه فذلك التمني المكروه.
قال محمد بن سيرين: نهيتم عن الأمانيّ، ودللتم على ما هو خير منها لكم، سلوا الله من فضله.
وقد ذكرنا في كتاب "التمهيد" معنى قوله عليه والسلام:"لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرٍّ نزل به "، عند قوله عليه السلام: "لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر أخيه فيقول: يا ليتني مكانه". قال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي: ما بقي من لذاتك؟ قال جليس يقصر به طول ليلي، وزائر أشتهي من أجله طول السهر.

وقال غيره: زائر أشتهي به طول السهر ودابة أشتهي من أجلها طول السفر.
قال مسلمة بن عبد الملك: العيش في ثلاثٍ: سعة المنزل، وموافقة المرأة، وكثرة الخدم.
قال عباية الجعفيّ: ما يسرُّني بنصيبي من التمني حمر النَّعم.
قال عبد الرحمن بن أم الحكم: لذة العيش في زحف الأحرار إلى طعامك، وبذل الأشراف وجوههم إليك فيما تجد السبيل إليه، وقول المنادي: الصلاة أيها الأمير.
قال قتيبة بن مسلم لوكيع بن أبي سود: ما السرور? قال: لواءٌ منشور،و جلوسٌ على السّرير، والسّلام عليك أيّها الأمير.
قيل لأمّ البنين: ما أحسن شيءٍ رأيت? قالت: نعم الله مقبلةً عليّ.
سأل قتيبة رجلاً: ما السّرور? قال: الولد الصالح والمال الواسع.
قال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله -: لذّة العيش ظفرك بمن تحبّ بعد امتناع، ولذة لا توجب عليك إثماً، وحقٌ وافق هوىً.
قيل لأبي حازم: ما اللّذة? قال: الموافقة، ولا أنيس كالصاحب المواتي.
وروى الرِّياشي عن الأصمعي قال: قال شبيب بن شيبة: عيش الدنيا في ثلاث: محادثة الإخوان، ومباشرة النسوان، وشم الصبيان.
قال بعض الحكماء: كثرة الالتفات سخف، ومجالسة الحمقى تورث النّوك، وكثرة المنى تخلق العقل، وتفسد الدين، وتنفي القناعة.
قال أبو العتاهية: ?لله أصدق والآمال كاذبةٌ=وجلّ هذي المنى في القلب وسواس ذكر عمرو بن بحر عن الأصمعي قال: قال بعضهم: الاحتلام أطيب من الغشيان، وتمنِّيك الشيء أوفر حظاً للّذة من قدرتك عليه.
قال عمرو بن بحر: كأنه ذهب إلى أن المال إذا ملك وجبت فيه حقوق، وخاف مالكه عليه الزوال، واحتاج إلى الحفظ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه.
ذكر المدائني قال: قيل لامرئ القيس: ما أطيب عيش الدّنيا? فقال :بيضاء رعبوبة، بالطّيب مشبوبة، باللحم مكروبة.
وسئل الأعشى: أيّ العيش ألّذ? فقال: صهباء صافية، تمزجها ساقية، من صوب غادية.

وسئل طرفة، فقال: مطعمٌ شهيّ، وملبس زهيّ ومركب وطيّ.
وقال غيره:

أطيب الطَّيِّبات قتل الأعادي ... واختيالٌ على متون الجـياد
وأيادٍ حبوتـهـنَّ كـريمـاً ... إنّ عند الكريم تزكوا الأيادي

لبعض الحكماء: أسوأ الناس حالاً من اتسعت أمنيَّته وضاقت مقدرته، وبعدت همّته.
قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة: أيّ الأمور أمتع؟ فقال: ممازحة حبيب، ومحادثة خدين، وأمانٍ تقطع بها أيامك. وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قيل له: أيُّ شيءٍ أكثر إمتاعاً؟ قال: المنى.
قال بعض الأعراب، ويروي لأبي بكر العرزمي: ?منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى=وإلاَّ فقد عشنا بها زمناً رغدا

أمانيّ من سلمى عذابٌ كأنَّمـا ... سقتك بها سلمى على ظمإٍ بردا

اجتمع عبد الله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام، عند الكعبة، فقال عبد الله:أحب ألا أموت حتى تجيء إليّ الأموال وأكون خليفة.
وقال مصعب: أحب أن أليَ العراقين -يعني الكوفة والبصرة- وأزوّج سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة.
وقال عروة: لكني أسأل الله الجنة. فصار عبد الله ومصعب إلى ما تمنيا، ويرون أن عروة صار إلى الجنة.
كان المتمني بالكوفة إذا تمنى يقول: أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة، وحفظ سفيان، وورع مسعر بن كدام، وجواب شريك.
قال الأصمعيّ: قال لي بن أبي الزناد :المني والحلم أخوان.
قال مالك بن أسماء: ??ولمَّا نزلنا منزلاً طلَّه النّدى=أنيقاً وبستاناً من النَّور حاليا

أجدَّ لنا طيب المكان وحسنه ... منىً فتمنَّينا فكنت الأمانـيا

قال سلم الخاسر:

لولا منى العاشقين ماتـوا ... أسىً وبعض المنى غرور
من راقب الناس مات غمّاً ... وفاز باللَّذة الـجـسـور

وقال منصور الفقيه:

لوأنَّ ليتاً نـفـعـت ... مع ترك ما ينفعني
ما كان لي قولٌ سوى ... يا ليتنـي لـم أكـن

وقال آخر:

ذهب الـبـرد وآبـا ... فاستوى العيش وطابا

وقال آخر:

ولي من تمنِّي النَّفس دنيا عريضةٌ ... ومصطبحٌ يغدو علـيَّ ويطـرق
تملِّكني الأموال لا فقر ... وعرساً غيوراً فاحشاً

بـعـدهـا وتطّـلـق

فقدت المنى لا نحن نلهو عن المنى لتجربةٍ منّا ولا هـي تـصـدق

وقال آخر:

وأكثر أفعال الليالـي إسـاءةٌ وأكثر ما تلقى الأماني كواذبا

وأنشد نفطويه: ? الدهر يصدقنا وتكذبنا المنى=بعداتها وتغرُّنا الآمال

وإذا المنيَّة أقبلت لم تثنها خيلٌ مطهّمةٌ ولا أموال

وقال آخر:

إنّ القناعة والـعـفـا ف ليغنيان عن الغنى

فإذا صبرت على المنى فاشكر فقد نلت المنى

وقال عبد الملك بن حبيب:

صلاح أمري والّذي أبتغـي هينٌ على الرَّحمن في قدرته

ألفٌ من البيض وأقلل بـهـا لعالمٍ أزرى على بـغـيتـه

زرياب قد يأخذهـا جـمـلـةً وصنعتي أشرف من صنعته

قال آخر: ?مسيئات أيّام الزَّمان كثيرةٌ=ومحسنة الأيام في الدَّهر أعلام

وعيشك فيما تستخصّ وتصطفي قصيرٌ وإن طالـت لـيالٍ وأيّام

فصل بسرور النَّفس عيشك إنَّـه مضى مثل ما مرّت بعينك أحلام

قال بشار بن برد:?

ذكرنا أحاديث الزَّمان الَّذي مضى فلذَّ لنا محمودهـا وذمـيـمـهـا

وقال آخر: ?

من راقب الموت لم تكثر أمانيه ولم يكن طالباً ما ليس يعنـيـه

قيل لرقبة بن مصقلة: أنت بعيد الدار من المسجد، وتنصرف بلا مؤنس? قال: إني حين أخرج من المسجد أبتدئ أمنية فما تنقضي حتى أدخل المنزل.

قال لبيد بن أبي ربيعة:

?واكذب الّنفس إذا حدَّثتـهـا إنّ صدق النَّفس يزري بالأمل

وقال آخر:

ربّ من بات يمنِّي نفسه حال من دون مناه أجله

قال يزيد على المنبر: ثلاث يخلقن العقل، وفيها دليلٌ على الضعف: سرعة الجواب، وطول المنى، والاستغراق في الضحك.
وقال الأحنف بن قيس: كثرة الأماني من غرور الشيطان.
قال حبيب:

من كان مرتع عزمه وهمومه روض الأماني لم يزل مهزولا

وقال آخر:

إذا تمنيت بت الليل مغتبـطـاً إن المنى رأس أموال المفاليس

وقال آخر: ?إذا حدَّثتك النَّفس أنك قادرٌ=على ما حوت أيدي الرِّجال فكذّب

فإن أنت لم تفعل ومال بك الهوى إلى بعض ما منّتك يوماً فجرِّب

قال أبو العتاهية:

إنما الفقر فضول التَّمنِّـي فانسها واستوهب الله ذكرا

قيل لسليمان بن عبد الملك: ما اللّذة؟ قال:جليس ممتع أضع بيني وبينه التّحفُّظ.
قال الحجاج بن يوسف لخريم -وهو خريم بن خليفة بن سنان بن أبي حارثة المرّي- ما العيش؟ قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش. قال: زدني قال: والشّباب، فإني رأيت الشّيخ لا ينتفع بعيش. قال: زدني. قال: والصّحة، فإني رأيت السّقيم لا ينتفع بعيشٍ. قال زدني. قال: لا أجد مزيداً.
قال أعرابيّ:

وما العيش إلاّ في الخمول مع المنى وعافيةٍ تـغـدو بـهـا وتـروح

وقال آخر:

إنّ الفتى يصبح لـلأسـقـام كالغرض المنصوب للسِّهام

أخـطـأ رامٍ وأصـاب رام يقول: إنِّي مدركٌ أمـامـي

في قابل ما فاتني في العام

قيل لرجل من الحكماء: من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من كفى همَّ الدنيا، ولم يهتم بالآخرة.
قال الشاعر:

لا تمنّ المنى فتغترّ جهـلاً طالما اغترَّ بالمنى الجهلاء

قال آخر:?

ليت شعري وأين منَّي ليت إنّ ليتاً وإنَّ لواً عـنـاء

باب اختلاف الهمم في أنواع المال

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "خير المال عينٌ

ساهرةٌ لعين نائمة".
وروي عنه عليه السّلام أنه كان يأمر الأغنياء باتّخاذ الغنم، ويأمر المساكين باتّخاذ الدَّجاج. قال مالك بن أنس -رحمه الله- : لما خرج مروان من المدينة مرّ بماله بذي خشب، فلما نظر إليه قال: ليس المال إلا ما أسرجت عليه المناطق.
قيل لابنة الخس:ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت:قنىً.
قيل: فمائة من الضأن? قالت:غنىً قيل فمائة من الإبل? قالت: منىً.
وأما قول امرئ القيس: ?لنا غنمٌ نسوِّقها غزارٌ=كأنّ قرون جلَّتها العصيُّ فإنه أراد أنها كانت معزى، لوصفه قرونها بالعصي، وأما قوله:

فتملأ بيتنا إقطاً وسمناً وحسبك من غنىً شبعٌ وريُّ

فإنه زعم بعضهم أن، الإقط لا يكون إلا من لبن البقر، وقالوا: المعزى أكثر لبنا، وأكثر سمناً وزبداً.
قال المستورد: الذَّهب والورق حجران، إن تركتهما لم يزيدا، وإن أخذت منهما نفدا، والحيوان كالبقل إن أصابته الشمس ذوى، ولكن المال الأرض والماء.
قال ابن شهاب الزهريّ -رحمه الله- يخاطب أخاه عبد الله:

تتبّع خبايا الأرض وادع مليكها لعلّك يوماً أن تجاب فترزقا

وروى النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال: "تسعة أعشار الرزق في التجارة، والعشر في السَّابياء".
لما بلغ عمر بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمروا الأرضين، كتب إليهم: لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمها في وجهها.
ولمابلغه أن عتبة بن غزوان وأصحابه بنوا باللَّبن كتب إليهم: وقد كنت أكره لكم ذلك، فإذا فعلتم فعرّضوا الحيطان، وأرفعوا السُّمك، وقاربوا بين الخشب.
باع رجل رجلاً أرضاً، فقال البائع: أما والله لقد أخذتها شديدة المؤونة قليلة المعونة -يعني الأرض-.
فقال المبتاع: والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق -يعني الدراهم.
قالوا إذا بعد المال عن موضع ربّه قلت فوائده.
قال الشاعر:

سأبغيك مالاً بالمدينة إنَّني أرى عازب الأموال قلت فوائده

أوصى سهل بن حينف، أحد بني عبد الرحمن بن عوف، وكانت أمُّه أنصارية فقال له: إنك احبّ إخوتك إليّ، وإني موصيك بوصية: اعلم أنه لا عيلة على مصلح، ولا مال مع الخرق، واعلم أن خير المال العقل، وخير المال ما أطعمك ولم تطعمه وإن قلّ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال، ولكنهم جمال، واعلم أن الماشية إنما هي مال أهلها، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فمزرعة إن زرعتها انتفعت بها، وإلا لم ترزءك شيئاً. قال: فحفظت نصيحته، فكانت لي أنفع مما ورثت.
ذكر النخل والزّرع عند بعض الأشراف العقلاء فقال: شرينا النخل من فضول غلات الزرع، ولم نشتر الزرع من فضول غلات النخل.
قال الّليث بن سعد: لما فتتحت إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا فيها من الأموال، فسألوا بعض من كان معهم من الأسرى، فبدر إلى شجرة زيتون كانت بين يديه، فأخذ منها عوداً وأراهم إياه، وقال: من هذا جمعنا هذه الأموال نصيب الزيتون فيأتينا أهل البحر والبر، والصحراء والرمل، يبتاعون منا الزيتون، فمن ثمَّ كثرت أموالنا.
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعمرو بن العاص: "هل لك يا عمرو أن أبعثك في جيشٍ

يسلّمك الله ويغنمك وأرغب لك رغبة صالحة".
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلّم من حديث المقداد بن معدي كرب، وهو حديث صحيح، أنه قال صلّى الله عليه وسلّم: "ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً له من أن يأكل من عمل يده، وكان داود عليه السلام يأكل من عمل يده".
وكان داود عليه السلام يعمل القفاف الخوص، وقيل كان نوح نجاراً، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلَّم.
وأجمع العلماء أنّ أشرف الكسب: الغنائم، وما أوجف الله عليه بالخيل والرِّكاب، إذا سلم من الغلول. وقد سمّى الله الجهاد تجارة منجية من عذابٍ أليم.
قال بعض لصوص همدان:

ومن يطلب المال الممنّع بالقنـا يعيش مثرياً أو تخترمه المخارم
متى تجمع القلب الذكيّ وصارماً وأنفاً حميّاً تجتنبك المـظـالـم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهـم فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالـم

باب التجارة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الكسب عمل اليد، وكلّ بيع مبرور".
وعنه عليه السلام أنه قال: "أفضل الكسب كسب الصَّانع إذا صحّح".
وقال عليه السلام: "التجار هم الفجّار إلا من برّ وصدق".
وقال عليه السلام: "التاجر الأمين الصدوق مع الشّهداء يوم القيامة".
وقال صلى الله عليه وسلم: "يا معشر التجار???????????????????????!?? ????إن بيعكم هذا يشوبه الحلف، فشوبوه بالصّدقة". وقال صلى الله عليه وسلّم: "الجالب مرزوقٌ والمحتكر ملعون".
أو قال"..مذموم".
وقال صلّى الله عليه وسلّم: "تسعة أعشار الرّزق في التجارة، والعشر في السَّابياء".
وقال عليه السّلام: "اللّهم بارك لأمّتي في بكورها".
وروي عنه عليه السّلام أنه قال: "من أشراط السّاعة، أن يرفع العلم، ويقبض المال ، ويظهر القلم، وتكثر التجار".
وقال صلّى الله عليه وسلّم: "من استقالة أخوه المسلم في بيع باعه منه، فأقاله أقالّه الله من عثرته يوم القيامة".
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :فرّقوا بين المنايا، واجعلوا الرَّأس رأسين.
وقال عمر: بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك.

وقال ابن شهاب:مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابيّ وهو يبيع مسوّمة فقال: "عليك بأول سومة، أو بأول سوم، فإن الرّبح مع السَّماح".
قيل للزبير رحمه الله: بم بلغت هذا المال؟ قال: إني لم أرد ربحاً، ولم أشتر عيباً.
كان يقال: الأسواق موائد الله في الأرض ، فمن أتاها أصاب منها.
قال خالد بن صفوان: في التِّجار لؤم الطبائع، وعيّ اللّسان، وموت القلب، وسوء الأدب، وقصر الهمة، والاشتمال على كل بليّة.
اشترى أعرابيٌ جملاً فندم عليه في شرائه، فجعل يصعِّد النظر فيه،ويصوبه ليجد ما يتوصّل به إلى ردّه فقال البائع: من طلب عيباً وجده.
يقال: الغبن في شيئين، في الرَّداءة أو الغلاء، فإذا استجدت فقد سلمت من أحدهما.
قال الراجز:

ما أرخص الغالي إذا كان حسن

وقال محمود الورَّاق:

وإذا غلا شيءٌ عليّ تـركـتـه ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

قال معاوية- رحمه الله -لقوم: ما تجارتكم؟قالوا: بيع الرقيق قال: بئس التجارة ضمان نفس، ومئونة ضرس.
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا اشتريت بعيراً فاشتره ضخماً، فإن لم توافق كرماً، وافقت لحماً.
ودخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قومٍ يحدثهم، فقال: كيف سوقكم؟ قالوا: كاسدة. قال:غششتم. قال: وكيف متاعكم؟ قالوا:رديٌء قال: كذبتم. قال:وكيف كثرته؟ قالوا:قليل. قال:حلفتم.
كان عبد الله بن مسعود يقول: عجباً للتاجر كيف يسلم إن باع مدح، وإن اشترى ذمّ.
قال سعيد بن المسيّب: إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصِّياح.يعني -والله أعلم -من لا صناعة له إلاّ النداء لغير صلاة محترساً بالليل وبراحاً بالنهار. ونحو هذا عن الفضيل بن عياض، وزاد كالملاحين ودونهم، ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل.
قال ابن عباس: من اشترى ما لا يحتاج إليه يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه.
قال المغيرة بن حبناء:

وما كلُّ حينٍ يصدق المرء ظنُّه ... ولا كلُّ أصحاب التِّجارة يربح

ولابن شهاب الزُّهري:

ألا كلُّ من يهدي له البيع يرزق ... وقد يصلح المال اليسير الموفَّق

ولمنصور الفقيه:

بنيَّتي لا تجزعي ... عساك بصبرك أن

واصبري	تظفري
فلو نال يوماً أبوك الغنـى	كسِاك الدَّبيقيَّ والتُّسـتـري
ولكن أبوك ابتلي بالعلـوم	فما إن يبيع ولا يشتـري

باب الرِّزق

قال الله عزَّ وجل: "نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدُّنيا" الآية.

وقال: "والله فضَّل بعضكم على بعضٍ في الرِّزق".

سمع رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أمَّ حبيبة تقول: اللَّهم متِّعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم:"دعوت الله لآجالٍ معلومةٍ وأرزاقٍ مقسومة".

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: "أبى الله أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون".

وقال عليه السلام:"استنزلوا الرِّزق بالصدقة".

وقال عليه السلام: "ولا يحملنَّكم استبطاء الرِّزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا ينال ما عنده بما يكره، اتَّقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلّ، ودعوا ما حرم".

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود: "لا تكثر همَّك يا عبد الله، ما يقدَّر يكن، وما ترزق يأتك".

قال الشاعر:

فإنَّك ما يقدر لك الله تلـقـه	كفاحاً وتجلبه عليك الجوالب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن روح القدس نفث في روعي، أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب".

أنشد ابن أبي الدنيا:

ومن ظنّ أنَّ الرِّزق يأتـي بـحـيلةٍ	فقد كذَّبتـه نـفـسـه وهـو آثـم
يفوت الغنى من لا ينام عن السُّـرى	وآخـر يأتـي رزقـه وهـو نـائم
فما الفقر في ضعف احتيالٍ ولا الغنى	بكدٍّ وللأرزاق في النَّـاس قـاسـم
سأصبرُ إن دهرٌ أنـاخ بـكـلـكـلٍ	وأرضى بحكم الله ما الله حـاكـم
لقد عشت في ضيقٍ من	وفي سعةٍ والعرض

الدَّهر مـدَّةً **منِّـي سـالـم**

وقال جعفر بن محمَّد: إني لأملق فأتاجر الله بالصدقة فأربح.
وقال عروة بن الزبير: العاقل من إذا رزق ما لا نظر فيه، فإنه لا يدري لعله يكون آخر رزقه.
ومما يروي لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه نظر:

لو كان صخرةٍ في البحر راسيةٍ **صمَّاء ململمةٍ ملسٍ نواحـيهـا**
رزقٌ لعبدٍ يراه الله لانفـلـقـت **حتَّى يؤدَّي إليه كلُّ مـا فـيهـا**
أو كان تحت طباق السَّبع مطلبها **لسهَّل الله في المرقى مراقيهـا**
حتَّى تؤدَّي الَّذي في الَّلوح خطَّ له **إن هي أتته وإلاَّ سوف يأتـيهـا**

وأنشد ابن الأعرابي:

الحمد لله ليس الرِّزق بالـطَّـلـب **ولا العطايا لذي عـقـلٍ ولا أدب**
إن قدّر الله شيئاً أنـت طـالـبـه **يوماً وجدت إليه أقرب الـسـبـب**
وإن أبى الله ما تهوى فلا طـلـبٌ **يجدي عليك ولو حاولت من كثب**
وقد أقول لنفسـي وهـي ضـيِّقةٌ **وقد أناخ عليها الدَّهر بالعـجـب**
صبراً على ضيقة الأيَّام إنّ لـهـا **فتحاً وما الصَّبر إلاّ عند ذي الأدب**
سيفتح الله أبواب العطـاء بـمـا **فيه لنفسك راحاتٌ من التّـعـب**
ولو يكون كلامي حـين أنـشـره **من الَّلجين لكان الصَّمت من ذهب**

وقيل لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم؟ قال:كما قسَّم بينهم أرزاقهم.
ولسريج بن يونس المحدث:

يا طالب الرِّزق في الآفاق مجتهداً **أتعبت نفسك حتَّى شفَّك التَّـعـب**
تسعى لرزق كفاك الله مـؤنـتـه **أقصر فرزقك لا يأتي به الطَّلـب**
كم من سخيفٍ ضعيف العقل نعرفه **له الـولاية والأرزاق والـذَّهـب**

ومن حصيفٍ له عقلٌ ومعرفةٌ
باديِ الخصاصة لم يعرف له نشب
فاسترزق الله مما في خزائنه
فالله يرزق لا عقلٌ ولا حسب

وقال آخر:

كم من قويٍّ قويٍ في تقلّبه
مهذّب الرأي عنه الرِّزق منحرف
وكم ضعيفٍ ضعيف الرأي تبصره
كأنه من خليج البحر يغترف

أنشد أبو حاتم عن الأصمعي:

يا أيُّها المضمر همَّاً لا تهمّ
إنك إن تقدر لك الحمَّى تحم
ولو علوت شاهقاً من العلم
كيف توقّيك وقد جفّ القلم

قالوا: المقادير تبطل التقدير،وتنقض التدبير.

قال الشاعر:

إذا عقد القضاء عليك عقداً
فليس يحلُّه إلا القضاء

وقال ابن المعتز:

يا مكلَّ العيس في ديمومةٍ
يتبع الآمال كالباغي المضلّ
إنَّ مفتاح الذي تطلبه
بيد المقدار فاصبر واتكل
فرغ الله من الرزق ومن
مدَّة العمر ومن وقت الأجل

وقال أبو العتاهية:

وفدت إلى الله في وفده
لألتمس الرِّزق من عنده
إذا ما قضى الله أمراً مضى
ولم يقو حيٌّ على ردِّه

قال المفضَّل الضَّبِّي: قيل لأعرابيّ من أين معاشكم؟ قال: من أزواد الحاجّ. قلت: فإذا صدروا فبكى، ثم قال: لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش.ثم قال: أتفهم؟ قلت:نعم،فقال:

هل الدَّهر إلاَّ ضيقةٌ فتفرَّج
وإلا جديدٌ ناضرٌ ثم ينهج
أرى النَّاس في الدُّنيا
على منهج ثم استقلُّوا

كسفرٍ تتابعوا فأدلـجـوا

فقال البربري:

يا أيُّها الظَّاعن في حظِّـه إنَّما الظاعن مثل المـقـيـم
كم من لبيبٍ عاقلٍ قـلّـبٍ مصحَّح الجسم مقلٌ عـديم
ومن جهولٍ مكثرٌ مـالـه ذلك تقدير العزيز العلـيم
حظك يأتيك وإن لـم تـرم ما ضرّ من يرزق ألاَّ يريم

كان يقال: بكّروا في طلب الرزق، فإن النَّجاح في التبكير.
قال أبو هريرة:إذا سأل أحدكم الله الرزق فلينظر كيف يسأل، فإن الله يرزق الحلال والحرام، ولكن ليقل اللّهم ارزقني ما ينفعني ولا يضرني.
قالوا: الرزق رزقان رزق لا يأتيك إلا بالتسبّب ورزق يأتيك به الله من حيث لا تحتسب. وقلت أنا الرزق رزقان.فرزق تطلبه، ورزق يأتيك عفواً.
قال عروة بن أذينة أو بكر بن أذينة، وهو الصحيح:

إنِّي لأعلـم والأقـدار نـافـذةٌ أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعييني تـطـلّـبـه ولو قعدت أتاني لا يعـنِّـيـنـي

وقال آخر:

توكَّل على الرَّحمن في كلِّ حـاجةٍ ولا تؤثرنّ العجز يوماً على الطّلب
ألم تـر أن الـلـه قـال لـمـريم إليك فهزِّي الجذع يسَّاقط الرُّطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزِّهـا جنته ولكن كلُّ شيءٍ له سـبـب

وقال آخر:

ما يغلق الله باب الرِّزق عن أحدٍ إلاَّ سيفتح دون الباب أبـوابـا

وقال بكر بن حماد:

النَّاس حرصى على الدُّنيا وقد فسدت فصفوها لك ممزوج بـتـكـدير
فمن مكبٍ علـيهـا لا تـسـاعـده وعاجزٍ نال دنـياه بـتـقـصـير
لم يدركوها بعقلٍ عندما قـسـمـت وإنما أدركـوهـا بـالـمـقـادير

لو كان عن قدرةٍ أو عن مغالـبةٍ طار البزاة بأرزاق العـصـافـير

وقال آخر:

قد يرزق المرء لم تتعب رواحلـه ويحرم الرِّزق من لم يؤت من تعب

وإنني واجدٌ فـي الـنَّـاس واحـدةً الرِّزق أروغ شيءٍ عن ذوي الأدب

ولعلي بن هشام:

المرء يسعى ويسعى الرِّزق يطلبه وربّما اختلفا في السَّعي والطلب

حتَّى إذا قدَّر الرَّحمن جمعهـمـا للإتّفاق أتاك الرزق عن كـثـب

وقال آخر:

يخيب الفتى من حـيث يرزق غـيره ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

قال بعض الحكماء: الحلال يقطر قطراً والحرام يسيل سيلا.

قال الغزال:

طالب الرِّزق الحلال لا يقـر نهاره وليله عـلـى سـفـر

في الحرِّ والبرد وأوقات المطر وماله في ذاك نزرٌ محتـقـر

إنّ الحلال وحده لا يختـمـر أين ترى مالاً حلالاً قد ثمـر

ما إن رأينا صافياً منه كثـر

قال الناشئ:

إذا المرء أحمى نفسه كلّ شهوةٍ لصحَّة أيّامٍ تـبـيـد وتـنـفـد

فما باله لا يحتمي عن حرامها لصحّة ما يبقى لـه ويخـلَّـد

وقال آخر:

إنَّ الحرام غزيرةٌ حلبـاتـه ووجدت حالبة الحلال نزورا

قال أكثم بن صيفي: من فاته الرزق فبالعاقبة ظفر.

قال منصور الفقيه:

أرزاقنا مقسومةٌ وهكذا آجالنا فما تحول بيننا وبينها أحوالنا

وله أيضا:

ما ضيّع الله خلقـاً فأتَّقي أن أضيعـا
الله يرزق مـن لا يطيعه والمطيعـا
فاجعل سكوتك لله ونجواك جميعـا
وكلُّ بؤسي ونعمي سيفنيان سريعـا

وقال آخر:

يا ربَّما جـاءنـي مـالا أؤمِّـلـه وربَّما خاب مأمولٌ ومـنـتـظـر
لو زاد في الرزق حرصٌ أو مطالبةٌ ما كان من قد يطيل الكدّ يفتـقـر

ولأبي يعقوب إسحاق بن حسَّان الخريمي:

أقلِّى عـلـيّ الّـلـوم يا أمَّ مـالـكٍ فلم يؤت من حرصٍ على المال طالبه
فوالله ما قصَّرت في وجه مطلبٍ أرى أن فيه مطلباً فـأطـالـبـه
ولكن لهذا الرزق وقتٌ مـوقَّـتٌ يقسّمه بـين الـبـريَّة واهـبـه
وأسهرني طول التَّفكـر إنَّـنـي عجبت لأمرٍ ما تقضَّي عجـائبـه
أرى فاجراً يدعى جليداً لظـلـمـه ولو كلِّف التَّقوى لكلَّت مضاربـه
وعّفاً يسمَّى عاجزاً لـعـفـافـه ولولا التُّقى ما أعجزته مذاهبـه
وأحمق مصنوعاً له فـي أمـوره يسـوِّده إخـوانـه وأقـاربـــه
على غير حزمٍ في الأمور ولا تقىً ولا نائلٍ جزلٍ تعـدّ مـواهـبـه
فليس لعجز المرء أخطأه الغنـى ولا باحتيال أدرك المال كاسـبـه
ولكنَّه قبـض الإلـه وبـسـطـه فمن ذا يجاريه ومن ذا يغالـبـه

أنشدني خلف بن قاسم، قال: أنشدنا محمد بن عبيد الله الصَّيدلانّي، قال: أنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش:

قد يرزق الخافض المقيم وما شدّ بعنسٍ رحلاً ولا قـتـبـا

ويحرم الرزق ذو المطية والرَّ حل ومن لا يزال مغتربا

وقال محمود الوراق:

قيامة من مات في موته وإخمال ما شاع من صوته
ترى المرء يجزع من فوت ما لعلَّ السَّلامة في فوته
ويفنى ولم تفن آماله وإعمال سوف إلى ليته
وكم أزعج الحرص من راغب إلى الصِّين والرِّزق في بيته

ولأبي الأسود الدؤلي أو المرزمي:

وعجبت للدُّنيا وحرفة أهلها والرِّزق فيما بينهم مقسوم
والأحمق المرزوق أعجب ما أرى من أهلها والعاجز المحزوم
ثم انقضى عجبي لعلمي أنَّه رزقٌ موافٍ وقته معلوم

وقال آخر:

ليس بالعقل يطلب المرء رزقاً كم رأينا من أحمقٍ مرزوق
وأصيل من الرجال نبيلٍ سدَّ عنه الحرمان كل طريق

وقال آخر:

الرّزق يأتي قدراً على مهل والمرء مطبوعٌ على حبّ العجل

وقال آخر:

يا راكب الهول والآفات والهلكة لا تعجلنَّ فليس الرِّزق بالحركة
من غير ربِّك في السَّبع العلى ملكاً ومن أدار على أرجائها فلكه
أما ترى البحر والصَّيَّاد تضربه أمواجه ونجوم الَّليل مشتبكة
يجرّ أذياله والموج يلطمه وعقله بين عينه كلكل السَّمكة
حتَّى إذا راح مسروراً والحوت قد شكّ سفُّود

بها فرحـاً الرَّدى حنكة
أتى إليك به رزقـاً بـلا تـعـب فصرت تملك منه مثل ما ملكـه
لطفاً من الله يعطي ذا بحـيـلـتـه هذا يصيد وهذا يأكل الـسَّـمـكة

وقال أبو العتاهية:

طال همِّي بغير ما يعنينـي وطلابي فوق الَّذي يكفيني
ولو أني كففت لم أبغ رزقي كان رزقي هو الذي يبغيني
أحمد الله ذا المعارج شكراً ما عليها إلاَّ ضعيف اليقين

وقال آخر:

لعمرك ما كلُّ التـعـطُّـل ضـائرٌ ولا كل شغلٍ فيه للمرء منـفـعـه
إذا كانت الأرزاق في القرب والنَّوى عليك سواءٌ فاغتنـم لـذَّة الـدَّعـه
وإن ضقت فاصبر يكشف الله ما ترى فياربَّ ضيقٍ في جوانبـه سـعـه

وقال آخر:

هوِّن عليك فإن الأمـر مـقـدور وكلّ شيءٍ من الأشياء مسطـور
والرِّزق والخلق والآجال قد قسمت وأحكمتها وزمَّتهـا الـمـقـادير
فليس يقدر مرءٌ صـرف واحـدةٍ منها ولو كثرت منه الـتَّـدابـير
كم من رأيناه ذا مـالٍ وذا سـعةٍ وذا غضارة عيشٍ وهو محبـور
لا يعرف الله جهلاً خاطئاً حمـقـاً لولا غناه لعافتـه الـخـنـازير
لم يركب الهول في قفرٍ ولا لجـجٍ ولا تكلَّف أمـراً فـيه تـغـيير
لكن أتاه الغنى حـتَّـى أنـاخ بـه وما تقدَّم مـنـه فـيه تـفـكـير
وآخرٌ رجلٌ نـاهـيك علاَّمةٌ بأمور

مـن رجـلٍ   الـنَّـاس تـحـرير
قد جال في الأرض   شرقاً وغرباً وما
حتَّى لم يدع أفقاً   في ذاك تقصـر
وقد تكمَّلت الآداب   فيه العلوم وما
واجـتـمـعـت   تحوي القمـاطـير
ولم تفـتـه مـن   يحظى بها رجـلٌ
الأشـياء واحـدةٌ   إلاَّ الـدَّنـانـير

كان يقال:إذا لم يرزق الإنسان ببلدة فليتحوَّل إلى أخرى.
قال ابن القاسم: سمعت مالكاً :يقول بلغني أنَّ عمر بن الخطاب قال: من كان له رزقٌ في شيء فليلزمه.
قال وقال مالك: سمعت أهل مكَّة يقولون: ما من أهل بيت فيهم اسم محمَّدٍ إلا رزقوا ورزق خيراً.
قال العكّي:

يا ربّ فتـيانٍ ذوي غـربةٍ   أبناء أسفـارٍ مـقـلِّـيـنـا
ما أدركوا في طول تطوافهم   خفضاً من العيش ولا لينـا
وسهَّل الله بـتـوفـيقـه   ما أمَّلوه لـلـمـقـيمـينـا
وإذا الأرزاق مـقـسـومةٌ   يقسمها الله فـيعـطـينـا

ولسهل الورَّاق:

أرى اثـنـين فـي الـدنـيا وشـتَّـان مـا هـمـا   ومـا مـنـهـمـا إلاَّ عـجـيـبٌ شـؤونـه
أخـو حـركـاتٍ فـي الـمـكـاسـب معـدمٍ   علـى أنَّـه فـيهـا قـلـيلٌ سـكـونـه
وآخـر مـثـرٍ ذو سـكـونٍ كـأنَّـمـا   علـى رزقـه ذاك الـسُّـكـون يعـيـنـه
ألا ربَّـمـا يأسـى الـلـبـيب لـمـا يرى   ويكـمـد حـتَّـى تـسـتـهـلّ جـفـونـه
كريمٌ جـفـاه دهـره فـهـو ضـائعٌ   ولا ريب إلاَّ أنَّ دهـراً يخـونـه
ووغـدٌ لـئيم الـطَّـبـع تـحـوي يمـينـه   مكـاسـب مـا خـفـت بـهـنَّ يمـيـنـه
فذاك عـلـى إقـتـاره ذو تـجـمّـل   وذا مـقـرفٌ جـعـد الـبـنـان ضـنـيـنـه
إذا غـاص فـي ذا مـفـكـرٌ ولـم يدر مـا أسـبـابـه

طاش عقله وفنونه
جدودٌ وفيها للمفكر عبرةٌ طويلٌ بها وسواسه وشجونه
ولولا اعتصام المرء بالعلم إنه نجاةٌ لأهليه لساءت ظنونه
وما كان ربِّي عزَّ ربَّيبجائرٍولكنَّه علم عجيبٌ يصونه
شهدت بأن الله عدلٌ قضاؤه وإني بدين الموقنين أدنيه

وقال آخر:

وقد يحرم الله الفتى وهو عاقلٌ ويعطي الفتى مالاً وليس بذي عقل
وذلك عدلٌ من حكومة ربِّنا يجود ويعطي وهو ذو النائل الجزل

وقال آخر:

لا تعذلي لم أقصِّر ويك في الطّلب أيّ البلاد وأيّ الأرض لم أجب
هذا وفيّ خلالٌ كلُّها سببٌ إلى الغنى غير أن الرِّزق لم يجب
والله أحمد في رزقي فما صرفت عنِّي المكاسب إلاَّ حرفة الأدب

وقال الوليد بن عبيد البحتريّ:

وآيسني علمي بألاّ تقدُّمي مفيدي ولا مزرٍ عليَّ تأخُّري
ولو فاتني المقدور مما أرومه بسعيٍ لأدركت الذي لم يقدَّر

باب الحرص والأمل

الحرص على أكل الشجرة أخرج آدم من الجنة.
كان يقال: شدة الحرص من سبل المتالف.
وقال الأحنف : آفة الحرص الحرمان، ولا ينال الحريص إلاّحظّه.
كان الحسن البصريّ يقول: ما بعد أملٌ إلاّ ملَّ عمل.
كان يقال: من أطال الأمل أمات العمل.
قال بعض الحكماء : الإنسان لا ينفكُّ من الأمل، فإن فاته الأمل قوي على المنى.
قال: والأمل يقع بسبب، وباب المنى مفتوح لمن أراد الدخول فيه.
من كلام الحكماء: الرزق مقسوم، والحريص محرومٌ، والحسود مغمومٌ، والبخيل مذموم.
قال الخليل بن أحمد: ?الحرص من شرّ أذاة الفتى=لا خير في الحرص على حال

من بات محتاجاً إلى هان على ابن العمِّ

أهله والخال

وقال غيره: الحرص مفسدة، والبخل مبغضة، والعجلة خطأ، والرفق يمن، والبذاء شؤم.

وقال آخر:

أيُّها الدَّائب الحريص المعنَّى لك رزقٌ وسوف تستوفيه
فاسأل الله وحده ودع النّـا س وأسخطهم بما يرضـيه
لا ينال الحريص شيئاً فيكفي ه وإن كان فوق ما يكفـيه

وقال محمود الوراق:

غنى النَّفس يغنيها إذا كنت قانعـاً وليس بمغنيك الكثير مع الحرص
وإن اعتقاد الهمِّ للخـير جـامـعٌ وقلَّة همِّ المرء تدعو إلى النغص

وقال أيضاً:

لا تحمدنَّ أخا حرصٍ على سعةٍ وانظر إليه بعين الماقت القالي
إنّ الحريص لمشغول بشوقـتـه عن السُّرور بما يحوي من المال

وقال محمود الوراق أيضاً:

علام يشقى الحريص في طلب الرِّز ق بـطـول الـرَّواح والـدَّلـج
يا قارع البـاب ربّ مـجـتـهـدٍ قد أدمـن الـقـرع ثـم لـم يلـج
وربّ مستـولـجٍ عـلـى مـهـلٍ لم يشق من قـرعـه ولـم يهـج
فاطو على الهمِّ كشح مصـطـبـرٍ فآخـر الـهـمِّ أول الـفـــرج

وقال آخر :

يا أيها النَّاس كان لي أملٌ أعجلني عن بلوغه الأجل
فليتَّق الله ربَّـه رجـلٌ أمكنه في حياته العمـل

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل:

وبالغ أمر كان يأمـل دونـه ومختلجٍ من دون ما كان يأمل

وكان يتمثل أيضا:

لا يغرَّنك عشاءٌ ساكـنٌ	قد يوافى بالمنيَّات السَّحر

كان المأمون يعجبه قول أبي العتاهية:

تعالى الله يا سلم بن عمـرٍو	أذلَّ الحرص أعناق الرِّجال

أخذه أبو الفتح الملقب بكشاجم فقال:

بالحرص في الرِّزق يذّل الفتى	وفي القنوع الشَّرف الشَّامـخ

قال أبو عمر: وشعر أبي العتاهية الذي فيه هذا البيت الذي أعجب المأمون:

نعى نفسي إليّ من الَّليالـي	تصرُّفهنَّ حالاً بعـد حـال
فما لي لست مشغولاً بنفسي	ومالي لا أخاف الموت مالي
لقد أيقنت أنِّـي غـير بـاقٍ	ولكنِّي أرانـي لا أبـالـي
تعالى الله يا سلم بن عمـرٍو	أذلّ الحرص أعناق الرِّجال
هب الدُّنيا تساق إليك عفـواً	أليس مصير ذاك إلى زوال
فما ترجو بشيءٍ ليس يبقـى	وشيكاً ما تغيِّره الَّـلـيالـي

قال:فلما بلغ سلماً الخاسر قول أبي العتاهية، قال:

ماأقبح التَّزهيد مـن واعـظٍ	يزهِّد الـنَّـاس ولا يزهـد
لو كان في تزهيده صادقـاً	أصحى وأمسى بيته المسجد
إن رفض الدنيا فما بـالـه	يكتنز المال ويسـتـرفـد
يخاف أن تنـفـد أرزاقـه	والرزق عند الله لا تنـفـد
الرزق مقسومٌ على من ترى	يسعى له الأبيض والأسـود

ولأبي العتاهية شعر في عروض شعره هذا وقافيته أوله:

أتدري أيّ ذلٍّ في الـسُّـؤال	وفي بذل الوجوه إلى الرِّجال

شعر حسن جيد في معناه قد ذكرته في باب القناعة من هذا الكتاب.
قال زياد بن أبي سفيان: اثنان يتعجلان النَّصب ولا يظفران بالبغية: الحريص في حرصه، ومعلِّم البليد ينبو عنه فهمه.
قال داود الطائي: يا ابن آدم ارتحلك الحرص فأنساك أجلك، ونصب لك أملك ورب حريص محروم، وواجد مذموم.
قال مسلم بن قتيبة: في إفراط الحرص مذلّة قبل إدراك الطلبة.
كانوا يقولون: أول دناءة الحرص ، تأميل البخل.
قال محمود الوراق: ?أراك يزيدك الإثراء حرصاً=على الدُّنيا كأنَّك لا تموت

فهل لك غايةٌ إن صرت يوماً إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال آخر:

الحرص داءٌ قد أضـرَّ بمن تـرى إلاَّ قـلـيلا
كم من عزيز قـد رأي ت الحرص صيَّره ذليلا
فتجنَّب الشَّـهـوات واح ذر أن تكون لها قتـيلا
فلربّ شـهـوة ساعةٍ قد أورثت حزناً طويلا

وقال آخر:

كم إلى كم انت لـلـحـر ص ولـلآمـال عـبـد
ليس يجدي الحرص والشّغ ل إذا لـم يك جــدُّ
ما لمـا قـد قـدّر الّـل ه مـن الأمـر مـردّ

وقال محمود الوراق:

لا ينفع الجدّ والتَّشمير والحـذر خطّ الكتاب فلا ورد ولا صدر
تستعجل النَّفس آمالاً لتبلغهـا كأنَّها لا ترى ما يصنع القدر

وقال آخر:??

كلُّنا نأمل مداً في الأجل والمنايا هنَّ آفات الأمل

وقال آخر:

لقد غرَّت الدُّنيا رجالاً فأصبحوا بمنزلةٍ ما بعدها مـتـحـوَّل
فساخط أمرٍ لا يبـدَّل غـيره وراضٍ بعيشٍ غيره سيبـدَّل
وبالغ أمرٍ كان يأمـل غـيره ومختلجٍ من دون ما كان يأمل

وقال محمود الوراق:

الحرص عونٌ للزّمان على الفتى والصَّبر نعم العون لـلأزمـان
لا تخضعنَّ فإنّ دهـرك منك الخضوع أمـدَّه

إن رأى بـهـوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم :"احرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، وإياك واللّو، فإن اللَّوَّ يفتح عمل الشيطان".

ولأبي عبد الله الصُّوري:

لمَّا رأيت النَّاس قد أصبحوا وهمَّة الإنسان ما يجمـع
قنعت بالقوت فنلت المنـى والفاضل العاقل من يقنع
ولم أنافس في طلاب الغنى علماً بأنَّ الحرص لا ينفع

ولبكر بن حمَّاد:

الناس حرصى على الدُّنيا وقد فسدت فصفوها لك ممزوج بـتـكـدير

في أبيات ذكرتها في باب" ذكر الدُّنيا" من هذا الكتاب.

باب الطَّمع واليأس

كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يستعيذ بالله من طمعٍ في غير مطمع، ومن طمعٍ يقود إلى طبع.

قال عمر بن الخطاب : ما شيء أذهب لعقول الرجال من الطمع.

وفي حديث آخر أن عمراً وابن الزبير قالا لكعب: ما يذهب العلم من صدور الرجال بعد أن علموه? قال: الطمع، وطلب الحاجات إلى الناس.

وقال كعب: الصَّفا الزَّلاَّل الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء : الطمع.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: في اليأس الغنى، وفي الطمع الفقر، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء.

قال عمرو بن عبيد: في المؤمن ثلاث خلال: يسمع الكلمة التي تؤذيه فيضرب عنها صفحاً كأن لم يسمعها، ويحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه، ويقطع أسباب الطمع من الخلق.

قال أبو العتاهية:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أنَّي قنعت لكنت حرّا

ولإسحاق الموصلي: اللُّؤم والذُّلّ والضَّراعة والفا-قة في أصل أذن من طمعا قال ابن المبارك رضي الله عنه: ما الذلُّ إلاّ في الطمع.

وقال غيره:ويح من غرّه الطمع، وتمادى به الولع.

وقال أبو العتاهية:

أذلَّ الحرص والطَّمع الرِّقابا

وله أيضاً:

إنّ المطامع ما علمت مذلَّةٌ للطّامعين وأين من لا يطمع

وقال محمود الوراق:

وما زلت أسمع أنَّ النُّفوس مصارعها بين أيدي الطَّمع

وقال بعض الحكماء: قلوب الجَّهال تستعبد بالأطماع، وتسترقُّ بالمنى، وتنال بالخدائع.

قال محمد بن أبي حازم:

جعلت غنيمة الأطماع يأساً فآوتني إلى كنـفٍ وديع
فتلك مطيَّة الإقبال غفـلاً بلا رحلٍ يشدُّ ولا نسـوع

وقال آخر:

اليأس عمَّا بأيدي الناس مكـرمةٌ والرِّزق يصحب والأرزاق تتَّسع

?لا تجزعنَّ على ما فات مطلبه=ها قد جزعت فماذا ينفع الجزع

إنَّ السَّعادة يأسٌ إن ظفرت بـه بعض المراد وإنَّ الشَّقوة الطمع

أتى رجلٌ إلى خالد بن عبد الله القسريّ، فقال: أتكلم بجرأة اليأس، أم بهيبة الأمل؟ قال بل بهيبة الأمل. فسأله حاجةً فقضاها.

وقال الهمداني:?

فلا الحرص يغنيني ولا اليأس ما نعى نصيبي من الشَّيء الَّذي أنا آمـلـه

وقال محمود الوراق:

حدَّثت باليأس عنك النَّفس فانصرفت واليأس أحمد مرجوٍّ من الطَّمـع
فكن على ثقةٍ أنِّـي عـلـى ثـقةٍ ألاَّ أعلِّل نفسي منـك بـالـخـدع
محوت ذكرك من قلبي ومن أذنـي ومن لساني فصل إن شئت أو فدع
إنَّ الَّذي ببلاد الصِّين أقـرب لـي وساء منتجعاً لو رمت منتجـعـي
إذا تباعد قلبي عنك مـنـصـرفـاً فليس يدنيك منِّي أن تكون معـي

وقال آخر:

ولا تلبث الأطماع من ليس عنـده من الدِّين شيءٌ أن تميل به النّفس

كان بشر بن الحارث ينشد هذه الأبيات كثيراً متمثلاً بها:

المرء يزرى بلبِّه طمـعـه والدَّهر فاعلم كثيرةٌ خدعه
والنَّاس إخوان كلِّ ذي نشبٍ قد جاع عبدٌ إليهم ضرعـه
وكلُّ من كان مسلماً ورعـاً يشغله عن عيوبهم ورعـه

كما المريض السَّقيم يشغلـه **عن وجع النَّاس كلِّهم وجعه**

وقال آخر:

الله أحمـد شـاكـراً **فبلاؤه حسنٌ جمـيل**
أصبحت مسروراً معا **فًى بين أنعمه أجـول**
خلواً من الأخزان خفّ **الظهر يغنبني القلـيل**
ونفيت باليأس المنـى **عنِّي فطاب لي المقيل**
والنَّاس كلهـم لـمـن **خفَّت مؤونته خلـيل**

باب ذمِّ السُّؤال
وحمد ما جاء عن غير مسألة من النَّوال

روى ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عمر بن الخطاب عطاءً، فقال عمر: يا رسول الله أعطه من هو أفقر مني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"خذه فتموله أو تصدق به، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف إليه، ولا سائل له فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك".
قال سالم: فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحداً ولا يردّ شيئاً أعطيه.
قال ثوبان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تسألوا الناس" قال: فما سألت أحداً شيئاً بعدها، فكان سوطه يسقط من يده، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه.
ومن حديث مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطائه فردّه، فقال له:" لم رددته ؟ فقال: يا رسول الله! أليس أخبرتنا أن خيراً لأحدنا ألاّ يأخذ من أحد شيئاً؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "إنما ذلك عن المسألة، فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله إليك". فقال عمر: والذي نفسي بيده لا أسأل أحداً شيئاً ولا يأتيني شيءٌ من غير مسألة إلا أخذته.
قال أبو الدَّرداء: إنّ أحدكم يقول: اللهم ارزقني،و قد علم أنَّ الله لا يخلق له ديناراً ولا درهماً،وإنما يرزق بعضكم من بعض، فإذا أعطي أحدكم شيئاً فليقبله، فإن كان غنياً فليضعه في أهل الحاجة من إخوانه، وإن كان إليه فقيراً فليستعن به على حاجته ولا يردّ على الله رزقه الذي رزقه.
قال عبد الله بن عمر: ما يمنع أحدكم إذا أتاه الله برزق لم يسأله أن يقبله، فإن كان غنياً عاد به على أخيه، وإن كان محتاجاً كان رزقاً قسمه الله له.
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:"من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم". وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "للسائل خدوشٌ أو كدوحٌ يكدح بها الرّجل وجهه إلاّ أن يسأل ذا سلطان".
وروي عنه عليه السلام، من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال "إذا دخل السّائل بغير إذن فلا تطعموه".
وقال عليه السلام: "من كان لا بدّ سائلا فليسأل الصّالحين، أو ذا سلطان، أو في أمر لا يجد منه بداً".
وقد أشبعنا هذا الباب وأوضحنا معانيه في كتاب "التمهيد" والحمد لله.
رفع الواقديُّ -رحمه الله- إلى المأمون رقعة، فوقع فيها المأمون: إنك رجلٌ فيك خلّتان:سخاءٌ وحياءٌ، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي منعك من أن تطلعنا على ما أنت عليه، وقد أمرنا لك بثلاثة آلاف درهم. فان كنا أصبنا إرادتك فذاك، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك، وأنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد، عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهري، عن أنس، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال للزُّبير"يا زبير! إن مفاتيح الرزق، بإزاء العرش، ينزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثَّر كثِّر له، ومن قلَّل قلِّل له". قال الواقديّ: فقلت له: يا أمير المؤمنين! قد نسيت هذا الحديث،فكان تذكارك إياي له أعجب إليّ من الجائزة.
قال أبو العتاهية:

إذا ما المرء صرت إلى سؤاله **فما تعطيه أكثر من نـوالـه**

ومن عرف المحامد جدّ فيهـا وحنَّ إلى المكارم باحتـيالـه
ولم يستغل محمدةً بمـالٍ ولو كانت تحيط بكلِّ ماله
عيال الله أكرمهم علـيه أبثُّهم المكارم في عيالـه

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر رضي الله عنه:

تعفُّف المرء عن سؤالـه وكسبه الحلّ باحتـيالـه
وسعيه في الصلاح عيشٍ لمن يواريه من عيالـه
مروءةٌ وبـالـغٌ بـهـا من يبلغها منتهى كماله
ومن يصن وجهه يزنـه صيانة الوجه من جماله
رضي الفتى بالقضاء عزٌّ وذلَّة الوجه في ابتذالـه

ولأبي دلف العجلي:

بلوت مرارة الأشـياء طـرّاً فما شيءٌ أمرّ من السُّـؤال
ولم أر في الخطوب أشدّ هولاً وأصعب من معاداة الرِّجال

وقال أعرابي:

علام سؤال الـنَّـاس والـرِّزق واسـع وأنت صحيحٌ لم تـخـنـك الأصـابـع
وفي العيش أوطارٌ وفي الأرض مذهبٌ عريضٌ وباب الرِّزق في الأرض واسع
فكن طالباً للرِّزق من رازق الـغـنـى وخلِّ سؤال النَّاس فـالـلـه صـانـع

وحج هارون الرشيد، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه، فقال يا أمير المؤمنين قد سألني الناس فامتنعت عليهم، ولكني أجلس لبنيك وللناس، فقال: نعم. فلما جلس صاح به الناس: سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا،فلما جاءك المال والجائزة جلست.فقال للمستملي: أنصتهم لي.فصاح المستملي: صه صه. فسكت الناس، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم،وقال: حدثني الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما شيءٌ أحل وأطيب من ثلاثة :صداق الزوجة، والميراث،وما أتاك الله به من غير مسألة، فإنه رزق ساقه الله إليك".والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله،ولو وجّه إليّ شطر ماله لقبلته،ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء.

أشخص المنصور سواراً القاضي من البصرة إلى بغداد في شيء أراد أن يشافهه فيه، فمر بواسط، وفيها يحيى بن سعيد الأنصاري يتولى القضاء،فدلَّ عليه، فقال له:ألك حاجة إلى أمير المؤمنين؟ قال: نعم يعفيني من القضاء. فقال سوار للمنصور إذ قدم عليه، وكلمه فيما أراد: يا أمير المؤمنين! الأنصار تعلم ما يجب في حقهم. قال:هيه. قال: يحيى بن سعيد تعفيه من القضاء. قال :قد أعفيته.فلما انحدر سوار مرّ بواسط، فقال ليحيى بن سعيد: قد أعفاك أمير المؤمنين. فقال: لا جزاك

الله خيراً عن صبية من الأنصار كانوا يقتاتون هذه الست مائة درهم في كلّ شهر.
كأنه أراد أن يعرّض ولا يحقّق.
كان الحسن البصريّ رحمه الله يقول: لا يردّ جوائزهم إلاّ أحمق أو مراءٍ، وقد ذكرنا من رأى قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم، ومن تورع عن ذلك منهم في كتاب " التمهيد" والحمد لله.
قال مطرِّف بن الشِّخير: إذا كانت لأحدكم إليّ حاجة فليرفعها في رقعة ولا يواجهني بها، فإني أكره أن أرى في وجه أحدكم ذل المسألة.
وقد روي عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك، وتمثل: ? ماااعتاض باذل وجهه بسؤاله=عوضاً ولو نال الغنى بسؤال

وإذا السُّؤال مع النوال وزنته رجح السُّؤال وخفّ كلُّ نوال

لبعض الكتاب إلى عبد الله بن طاهر:

ولقد علمت وإن نصبت لي المنى أنّ الخصاصة لا تداوى بالمنـى
فلئن وفيت لأنهضنَّ بشكـركـم ولئن أبيت لأحملنَّ على القضـا

فأنجز له عبد الله بن طاهر عدته.
قال الحسن بن عبيد البغدادي:

صن الوجه الّذي إن لم تصنه بقيت وأنت في الدُّنيا ذلـيل
وعش حراً ولا يحملك ضرٌ على مرعىً له غبٌّ وبـيل
فليس الرّأي إلاَّ الصَّبر حتّى يديل اليسر من عسرٍ مديل
أليس لكـلِّ آفـلةٍ طـلـوعٌ بلى ولكل طالـعةٍ أفـول

وكان أبان بن عثمان رحمه الله يتمثل:

مالي تلادٌ ولا استطرفت من نشبٍ وما أؤمِّل غير الـلـه مـن أحـد
إني لأكرم وجهـي أن أوجِّهـه عند السُّؤال لغير الواحد الصَّمـد
عزّ القناعة والإيمان يمنـعـنـي من التَّعرُّض للمنَّـانة الـنَّـكـد
رضيت بالله في يومي وفي غده والله أكرم مأمولٍ لبعـد غـد

قال أبو العتاهية:

أتدري أيَّ ذلٍّ في الـسُّؤال وفي بذل الوجوه إلى الرِّجال
يعزُّ على التَّنزّه مـن ويستغني العفيف بغير

رعـاه مـال
إذا كان السُّؤال ببذل وجهـي فلا قرِّبت من ذاك النَّـوال
معاذ الله من خـلـقٍ دنـيٍّ يكون الفضل فيه عليَّ لالي

وقال أيضاً:

لو رأى النَّاس نبياً سائلاً ما رحموه

ولأبي دلف أو لعبد الله بن طاهر:

أعجلتنا فأتاك عاجل برِّنا قلاً ولو أمهلتنا لم يقلل

وقال عبد الصمد بن المعذَّل في حين قدوم يحيى بن أكثم البصرة، قالت له امرأته لو أتيته فسألته، فقال:

تكلِّفني إذلال نفسـي لـعـزِّهـا وهان عليها أن أهان لتـكـرمـا
تقول: سل المعروف يحيى بن أكثمٍ فقلت سليه ربَّ يحيى بن أكثمـا

وقال مسلم بن الوليد:

أقول لمـأفـون الـبـديهة طـائر مع الحرص لم يغنم ولم يتـمـوَّل
سل الناس إنِّي سائل الـلـه وحـده وصائن عرضي عن فلانٍ وعن فل

قال حبيب:

وما أبالي وخير القـول أصـدقـه حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

قال محمود الوراق:

يا أيُّها الطَّالب من مـثـلـه رزقاً له جرت عن الحكمه
لا تطلب الرِّزق إلى طالبٍ مثلك محتاجٍ إلى الرَّحمـه
وارغب إلى الله الذي لم يزل في يده النعمة والنِّـقـمـه

وقال يونس:

إنّ الوقوف على الأبواب حرمان والعجز أن يرجو الإنسان إنسان
حتى تأمل مخلوقـاً وتـقـصـده إن كان عندك بالرحمـن إيمـان
عطاؤه لك إن أعطاكـه فكيف إن كان بعد

ضـعةٌ المطل حرمان
ثق بالذي هو يعطي ذا ويمنـع ذا في كلِّ يومٍ له في خلقـه شـانُ

قال محمود الوراق:

إنَّ السُّؤال فعِدَّ عنه قليلهثمنٌ لكلِّ عطيَّةٍ أو مال
والحال تقعد بالكريم فما ترى فيه لـعـزِّتـــه تــغـــيُّر حـــال

وقال أيضاً:

شاد الملوك قصورهم وتحصَّنوا من كلِّ طالب حاجةٍ أو راغب
غالوا بأبواب الحديد تمـنـعـاً قد بالغوا في قبح وجه الحاجب
فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن بادي الضَّراعة طالباً من طالب

وقال النمر بن تولب:

لا تغضبنَّ على امرئٍ في مـالـه وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

وقال عبيد بن الأبرص:

من يسأل الناس يحرموه وسائل اللـه لا يخـيب

وقال النمر بن تولب

ومتى تصبك خصاصةٌ فارج الغنى وإلى الَّذي يهب الرَّغائب فارغب

وقال أبو الأسود الدؤلي:

وإنَّ أحقَّ النَّاس إن كنت مـادحـاً لمدحك من أعطاك والعرض وافر

وقال سلم الخاسر:

وفتى خلا من مـالـه ومن المرؤة غير خال
أعطاك قبل سـؤالـه وكفاك مكروه السُّؤال

قال قيس بن عاصم: إياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل.
دخل أعرابيٌّ على داود بن مزيد المهلَّبي، فقال: إني لم أصن وجهي عن مسألتك، فصن وجهك عن ردِّي، وضعني من كرمك بحيث وضعتك من أملي فيك، قال:قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وهي أكثر من قدرك. قال:والله لئن جاوزت قدري فما بلغت قدرك.
قال أبو الفرج الببغاء:

ما الذُّلّ إلاَّ تحمّل الـمـنـن فكن عزيزاً إن شئت أو فهن

وقال آخر:

أمن بيت الكلاب طلبت عظماً لقد حدَّثت نفسك بالمحـال

وقال آخر:

لعن الـلـه نـائلاً تـرتـجـيه من يدي من تريد أن تقتـضـيه

أيّ فضلٍ لصاحب الفضل من بع د تقاضيه وابتـذال الـوجـوه

إنما الفضل والسَّماح لـمـن يع طيك عفواً وماء وجهـك فـيـه

أيُّها الدَّائب الحريص المعنَّـى لك رزقٌ وسوف تسـتـوفـيه

فسل الـلـه وحـده ودع الـنَّـا س وأسخطهم بـمـا يرضـيه

أن ترى معطياً لما منع الل ه ولا مانعاً لما يعـطـيه

وقال آخر:

إذا ما كنت متخذاً خلـيلاً فخالل مثل حسان بن سعد

فتىً لا يرزأ الإخوان شيئاً ويرزؤه الخليل بغير كـدّ

وقال آخر:

ولست بسائل الأعراب شيئاً حمدت الله إذ لم يأكلونـي

وقال أعرابي:

إنَّ المسائل للرِّجال مـذلَّةٌ تفنى منافعها ويخلد عارها

وقال آخر:

ويمسي ليس يملـك درهـمـا

يبيت يراعي النَّجم من سوء حاله ويصبح ضاحكاً متـبـسِّـمـا

ولا يسأل المثرين ما في رحالهم ولو مات هزلاً عفَّةً وتكرُّمـا

ولا يسألن من كان يسأل مـرَّةً وإن كثرت أمواله وتدرهـمـا

وقال ربيعة الرَّقِّي:

ولا تسأل الناس ما يملكـون ... ولكن سل الله واستكـفـه
ولا تخضعنَّ إلـى سـفـلةٍ ... وإن كانت الأرض في كفِّه
فإنَّ اللَّـئيم وإن خـلـتـه ... كريماً يذودك عن عرفـه
ويرجع محصول أخلاقـه ... إلى أصله وإلى صنـفـه
وكل مـقـلٍّ وذي ثـروةٍ ... فإنّ المنيَّة من خـلـفـه

وقال محمود الوراق:

اسأل العرف إن سألت كريماً ... لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فقليل الشَّريف يكسب مجـداً ... وكثير الوضيع يكسب عـارا
وإذا لم يكن مـن الـذُّلِّ بـدٌّ ... فالق بالذُّلِّ إن لقيت الكبـارا
ليس إجلالك الكـبـير بـذلٍّ ... إنَّما الذُّلُّ أن تجلَّ الصِّغـارا

وقال أيضاً:

يا أيها المتعب بزل الجـمـال ... وطالب الحاجات من ذي النَّوال
لا تحسبنّ الموت موت البـلـى ... فإنَّما الموت سؤال الـرِّجـال
كلاهـمـا مـوتٌ ولـكـنّ ذا ... أشدُّ من ذاك لـذلِّ الـسُّـؤال

وقال محمود بن الحسن النحاس الوراق:

بخلت وليس البخل منِّي سجـيَّةً ... ولكن رأيت الفقر شرَّ سـبـيـل
لموت الفتى خيرٌ من البخل للفتى ... وللبخل خيرٌ من سؤال بـخـيـل
فلا تسألن من كان يسـأل مـرَّةً ... فللموت خيرٌ من سؤال سـؤل
لعمرك ما شيءٌ لوجهك قـيمةٌ ... فلا تلق إنساناً بـوجـه ذلـيل

وقال ابن المعتز:

يا ربَّ جودٍ جرّ فقر امـرئٍ ... فقام للنَّاس مقـام الـذَّلـيل

فاشدد عرى مالك واستبـقـه فالبخل خيرٌ من سؤال البخيل

وقال أعرابي لص:

وإنِّي لأستحيى من الله أن أرى أطوف بحبلٍ ليس فيه بعـير
وأن أسأل المرء اللَّئيم بعـيره وبعران ربِّي في البلاد كثير

وفي التمهيد أبيات في هذا المعنى ذوات عدد حسان لم أذكرها ها هنا.

باب انتظار الفرج

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"انتظارالفرج بالصبر عبادة".

ويروى لأبي محجن الثقفي:

عسى فرجٌ يأتي به الـلـه إنَّـه له كلَّ يومٍ في خليقـتـه أمـر
عسى ما ترى ألاَّ يدوم وأن ترى له فرجاً ممَّا ألحّ به الـدَّهـر
إذا اشتدَّ عسرٌ فارج يسراً فإنَّـه قضى الله أنَّ العسر يتبعه اليسر

وقال الأضبط بن قريع:

لكلِّ ضيقٍ من الأمور سعـه والمسى والصُّبح لا بقاء معه

وقال آخر:

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضا
وابشر بخـيرٍ عـاجـلٍ تنسى به ما قد مضـى
فلربَّ أمرٍ مـسـخـطٍ لك في عواقبه الرِّضـا

كان يقال: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو.

قال الشاعر:

كن لما لا ترجو من الأمر أرجى منك يوماً لمـا لـه أنـت راج
إنَّ موسى مضى ليطلـب نـاراً من ضـياء رآه والَّـلـيل داج
فأتى أهلـه وقـد كـلَّـم الـل ه وناجاه وهـو خـير مـنـاج
وكذا الأمر كلَّما ضاق بـالـنَّـا س أتى الله فيه ساعةً بالانفراج

وقال منصور الفقيه:
"وما عسرٌ لمنتظر الفرج" وقال بشار:

خليليّ إنَّ الصَّبر سوف يفيق وإنّ يساراً في غدٍ لخليق
وما خاب بين الله والنَّاس عاملٌ له في التُّقى أو في المحامد سوق
ولا ضاق فضل الله عن متعفِّفٍ ولكنّ أخلاق الرِّجال تضيق

وقال آخر:

روِّح فؤادك بالرِّضا ترجع إلى روحٍ رطيب
لا تيأسنّ وإن ألحّ الدَّهر من فرجٍ قريب

وقال آخر:

لعمرك ما كلُّ التَّعطل ضائرٌ ولا كلُّ مسعىً فيه للمرء منفعه
إذا كانت الأرزاق في القرب والنَّوى عليك سواءً فاغتنم لذَّة الدَّعه
وإن ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ألا ربّ ضيقٍ في عواقبه سعه

وقال آخر:

ربَّما خير لامرئٍ وهو للأمر كاره
ربَّ خيرٍ أتاك من حيث تأتي المكاره

وقال أحمد بن محمود، وقيل إنها لأحمد بن صالح:

إذا اشتملت على النَّاس الخطوب وضاق لما به الصَّدر الرَّحيب
وأوطنت المكاره واطمأنَّت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانفراج الضِّيق وجهاً وقد أعيى بحيلته الأريب
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ يمنّ به اللَّطيف المستجيب
وكلُّ الحادثات إذا تناهت فموصولٌ بها الفرج القريب
ومولانا الإله فخير مولى له إحسانه ولنا الذُّنوب

وقال الشاعر:

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتَّقي نوائب هذا الدَّهر أم كيف يحذر
يرى الشَّيء ممَّا يتَّقي وما لا يرى ممَّا يقي

فيخـافـه **الله أكبـر**

وقال منصور الفقيه:

إذا الحادثات بلغن المـدى **وكادت لهنَّ تذوب المهج**

وحلّ البلاء وقلّ الـوفـا **فعند التَّناهي يكون الفرج**

وقال آخر:

واصبر على الدَّهر إن أصبحت منغمراً **بالضِّيق في لججٍ تهوى إلـى لـجـج**

فما تجرَّع كأس الصَّبر مـعـتـصـمٌ **بالـلـه إلاَّ أتـاه الـلـه بـالـفـرج**

لا تيأسن إذا ما ضـقـت مـن فـرجٍ **يأتي به الله في الرَّوحـات والـدُّلـج**

وإن تضايق بابٌ عـنـك مـرتـتـجٌ **فاطلب لنفسك باباً غـير مـرتـتـج**

قال أبو العتاهية في نفيع حاجب موسى الهادي:

ما ترى عند نفيعٍ منفعـه **فسل الرَّحمن رزقاً في دعه**

إن يكن أمسك عنَّـا نـيلـه **فسيغني الله كلاً من سعـه**

وقال أبو العتاهية:

النَّاس في الدِّين والدُّنـيا ذوو درجٍ **والمال ما بين موقوفٍ ومختلـج**

من صاق عنك فأرض الله واسعةٌ **في كلّ وجه مضيقٍ وجه منفرج**

قد يدرك الرَّاقد الهادي برقـدتـه **وقد يخيب أبو الرَّوحات والدُّلـج**

خير المذاهب في الحاجات أنجحها **وأضيق الأمر أدناه من الفـرج**

وقال آخر:

سأصبر للزَّمان وإن رماني **بأحداثٍ تضيق بها الصُّدور**

وأعلم أنَّ بعد العسر يسـراً **يدور به القضاء المستدير**

ومما ينسب إلى الشافعي رضي الله عنه، وقيل إنها لسهل الوراق، والله أعلم:

سيفتـح بـابٌ إذا سـدّ **نعم وتهون الأمور**

باب الضِّعاب
ويتَّسع الحال من بعد ما تضيق المذاهب فيها الرِّحاب
مع الهمّ يسران هوّن عليك فلا الهمّ يجدي ولا الإكتئاب
فكم ضقت ذرعاً بما هبته فلم ير من ذاك قدرٌ يهاب
وكم بردٍ خفته من سحابٍ فعوفيت وانجاب عنك السّحاب
ورزقٌ أتاك ولم تأته ولا أرّق العين منه الطِّلاب
وناءٍ عن الأهل ذي غربةٍ أتيح له بعد يأسٍ إياب
وناجٍ من البحر من بعد ما علاه من الموج طامٍ عباب
إذا احتجب النَّاس عن سائلٍ فما دون سائل ربِّي حجاب
يعود بفضلٍ على من رجاه وراجيه في كلِّ حين يجاب
فلا تأس يوماً على فائتٍ وعندك منه رضاً واحتساب
فلا بدّ من كون ما خطّ في كتابك تحبى به أو تصاب
فمن حائلٌ دون ما في الكتاب ومن مرسلٌ ما أباه الكتاب
في أبيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب.
وقال محمد بن يسير:
إنّ الأمور إذا انسدّت مسالكها فالصَّبر يفتق منها كلَّ ما ارتتجا
لا تيأسنَّ وإن طالت مطالبةٌ إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فرجا
أخلق بذي الصَّبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
وقال محمد بن حازم الباهلي:
هوِّن عليك فكلّ الأمر وخلّ عنك عنان الهمّ

ينقطـع ينـدفـع

فكلُّ همٍّ له من بـعـده فـرجٌ وكل أمرٍ إذا ما ضاق يتّسـع

إنَّ البلاء وإن طال الزَّمان بـه فالموت يقطعه أو سوف ينقطع

وقال آخر:

رأيت الأمر يبعد بعد قـربٍ ويدنو الأمر بالقدر المسوق

فلا تفرح بأمرٍ إن تـدانـى ولا تيأس من الأمر السَّحيق

وقال ابن المبارك:

ما أقرب الأشياء حين يسوقها قدرٌ وأبعدها إذا لم تـقـدر

وقال آخر:

إن يكن يومي تولّى سعـده وتداعى لي بنحسٍ ونكـد

فلعلّ الله يقضـي فـرجـاً في غدٍ من عنده أو بعد غد

وقال آخر:

أحسن الظَّنّ بمن قد عوّدك حسناً أمس وسـوَّى أودك

إنّ رباً كان يكفيك الَّـذي كان بالأمس سيكفيك غدك

قال العبسي:خرجت حاجاً فضاق صدري، فجعلت أقول:

أرى الموت لمن أمسى على الذُّلِّ له أصلـح

فإذا هاتف من ورائي يقول:

يا أيُّها المرء الَّـذي يرى الهمّ به بـرَّح

إذا ضاق بك الصَّدر ففكِّر في ألم نشرح

وقال آخر:

رأيت العسر يتبعـه يسـار وقول الله أصدق كلِّ قـيـل

فلا تجزع وقد أعسرت يوماً فقد أيسرت في دهرٍ طويل

ولا تظنن بربِّك ظنّ سـوءٍ فإنّ الله يأتي بالـجـمـيـل

ذكر الطحاوي قال: حدثنا أحمد بن أبي عمران، قال:حدثنا أبو النصر أحمد بن حاتم، قال: حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، قال:استعمل الحجّاج أبي علي بعض أعماله فنقم عليه فتوارى أبي عنه في بادية قومه وأنا معه، فبينا أنا في سحر من الأسحار إذ مرّ راكب وهو يقول:

صبِّر الّنفس عند كلّ ملمٍّ ... إنّ في الصَّبر حيلة المحتال
لا تضق في الأمور ذرعاً فقد ... يكشف غمَّاؤها بغير احتيال
ربَّما تجزع الُّنفوس من الأم ... ر له فرجةٌ كحلّ العقال

قال: فقلت: ما ذاك؟ قال: مات الحجاج. فوالله ما أدري بأيهما كنت أشد فرحا، أبقوله مات الحجاج أم بقوله :فرجة.
قال العطوي:

مستشعر الصّبر مقرونٌ به الفرج ... يبلى ويصبر والأشياء تنتهج
حتَّى إذا بلغت مقدور غايتها ... جاءتك تضحك عن ظلمائها السُّرج
فاصبر ودم واقرع الباب الّذي طلعت ... منه المطامع فالمغرى به يلج
يقدِّر الله فارج الله وارض به ... ففي إرادته الغمَّاء تنفرج

وقال هلال بن العلاء الرَّقّي:

هوِّن عليك مصائر الدُّ ... نيا تكن سبلاً فجاجا
لا تضجرنَّ بضيقةٍ ... يوماً فإنَّ لها انفراجا

وقال آخر:

كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا ... فإنّ على الرحمن رزقكم غدا

وقال منصور الفقيه:

يامن يخاف أن يكو ... ن ما يخاف سرمدا
أما سمعت قولهم ... إنّ مع اليوم غدا

وقال أبو العتاهية:

هي الأيَّام والغير ... وأمر الله منتظر
أتيأس أن ترى فرجاً ... فأين الله والقدر

باب الجدِّ والحدّ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجدِّ منه الجدّ".
قال أكثم بن صيفي:جدُّك لا كدُّك.
قال أشجع السُّلمي:

سبق القضاء بكلِّ ما هو كائنٌ فليجهد المتقلِّب المحتـال

قالوا: أسعد الناس: من كان القضاء له مساعداً، وكان لذلك أهلا، وأشقى الناس: من كان مشغولاً بلا دين ولا دنيا، ولم يثق بأحد لسوء ظنه، ولا وثق به أحدٌ لسوء فعله.

قال أبو الأسود الدُّؤلي:

المرء يحمد سعيه من جـدِّه حتَّى يزيَّن بالَّذي لم يعمـل

وترى الشَّقيَّ إذا تكامل حدُّه يرمي ويقذف بالَّذي لم يفعل

أنشد ابن الأعرابي:

الجدُّ أنهض بالفتى من عقـلـه فانهض بجدٍّ في الحوادث أو ذر

فلقد يجد المرء وهو مقـصـرٌ ويجدُّ ثم يحدُّ غير مـقـصِّـر

وقال يزيد بن محمَّد المهلَّبيّ:

وإذ جددت فكلّ شيءٍ نافـعٌ وإذا حددت فكلُّ شيءٍ ضائر

وإذا أتاك مهلَّبيٌ في الوغـى والسَّيف في يده فنعم النَّاصر

قال أبو يعقوب الخزيمي، وإسمه إسحاق بن حسَّان:

لا تنظرنّ إلى عقلٍ ولا أدب إن الجدود قرينات الحماقات

وقال خراش بن زهير:

وكانت قريشٌ يفلق الصَّخر جدُّها إذا أوهن النَّاس الجدود العواثر

وقال الحارث بن حلِّزة:

عش بـخـيرٍ لا يضـر ك النَّوك ما لاقيت جـدَّا

والنَّوك خيرٌ فـي ظـلا ل الرّزق ممَّن عاش كدَّا

وقال آخر:

فعش في ظلّ أنوك حالفته مقاديرٌ يساعدها الصَّواب

ذهاب المال في حمدٍ وأجرٍ ذهابٌ لا يقال له ذهـاب

قيل لزياد:ما الحظّ؟ قال: من طال عمره، ورأى في عدوه ما يسره فهو ذو حظ.

وكان يقال لا حظّ إلا ما أشخص عنك ما تكره، وجلب إليك ما تحب.

قال محمد بن أبي حازم الباهلي:

لا تعجبـنّ لأحـمـقٍ نال الغنى من غير كدِّه

ولعاقلٍ ما يسـتـقـلّ فكلّهم يسعى بـجـدِّه

وقال امرؤ القيس:

وقاهم جدَّهم ببني أبيهـم وبالأشقين ما كان العقاب

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابيّ:

وما لبّ الَّلبيب بـغـير حـظٍّ بأغنى في المعيشة من فتيل

رأيت الحظّ يستر عيب قـوم وهيهات الحظوظ من العقول

ولحسان أو لابنه عبد الرحمن:

وإنَّ امرءاً يمسي ويصبح سالماً من النَّاس إلاَّ ما جنى لسعـيد

وقال أعرابيّ:

وإنّ الَّذي ينجو من النَّار بعدما تزوَّد من أعمالها لسـعـيد

ولبعض أهل عصرنا:

أرى همم المرء ما لم يكـن يساعده السَّعد همَّاً عـلـيه

وقد يعجز المرء ذو الإحتيال إذا الله لم يقض رزقاً إلـيه

وقال صالح بن عبد القدوس:

وليس رزق الفتى من حسن حيلته لكن جدودٌ بـأرزاقٍ وأقـسـام

كالصَّيد يحرمه الرَّامي المجيد وقد يرمي فيرزقه من ليس بالرَّامي

ولرجل من بني قريع أو للمعلوط، وقيل: إنها لحاتم الطائي:

متى مايرالنَّاس الغـنـيَّ وجـاره فقيرٌ يقولـوا عـاجـزٌ وبـلـيد

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاظٍ قسِّـمـت وجـدود

وكائن رأينا من غـنـيٍّ مـذمَّـمٍ وصعلوك قومٍ باد وهو حـمـيد

ومعطى ثراء المال من غير قوَّةٍ ومحروم جمع المال وهو جلـيد

وقال حبيب الطائي:

أبا جعفرٍ إنّ الجهالة أمُّها ولودٌ وأمّ العلم جذَّاء حائل

وله أيضاً:

فإنِّي ما حورفت في طلب الغنى ... ولكنَّكم حورفتم في المـكـارم

إحتاج أبو الأسود الدؤلي إلى جار له يستقرض منه، وكان حسن الظَّنِّ به، فاعتلَّ عليه ودفعه، فقال أبو الأسود :

فلا تطمعن في مال جارٍ لقربه ... فكلّ قريبٍ لا ينـال بـعـيد

وفوِّض إلى الله الأمور فإنَّمـا ... تروح بأرزاقٍ علـيك جـدود

ولا تشعرنَّ النَّفس يأساً فإنَّمـا ... يعيش بجدٍّ عـاجـزٌ وبـلـيد

وفي نحو هذا لبعض أهل عصرنا:

تجشَّم جسيم الهول في طلب المجـد ... فنيل الغنى بين التَّجـشُّـم والـكـدِّ

ودع قول ذي جهلٍ يرى العجز راحةً ... ذر الكدّ فيما رمته المنع بـالـجـدِّ

وقال آخر:

تطلَّبت حتَّى لم أجد متطـلَّـبـاً ... وبالجدِّ يسعى المرء لا بالتَّطلَّب

كتب كسرى إلى بزرجمهر وهو في الحبس: جنت لك ثمرة العلم أن صرت به أهلا للقتل.فكتب إليه بزرجمهر: أما ما كان معي الجد فقد كنت أنتفع بثمرة العلم، والآن إذ ولَّى عني الجدّ، فقد أنتفع بثمرة الصبر.

قال سابق البربري:

والنَّاس في طلب المعاش وإنَّمـا ... بالجدِّ يرزق منهم مـن يرزق

ولو أنَّهم رزقوا على أقدارهـم ... ألفيت أكثر ما ترى يتـصـدَّق

ما النَّاس إلاَّ عاملان فعـامـلٌ ... قد مات من عطشٍ وآخر يغرق

وقال البحتري:

ألا ليت المقادر لم تـقـدَّر ... ولم تكن الأحاظي والجدود

فتعلم أيُّنا يغدو ويمـسـي ... له هذي المواكب والعبيد

وقال حبيب الطائي:

ينال الفتى من عيشه وهو جاهـل ... ويكدى الفتى في دهره وهو عالم

وقال ابن دريد:

لا ينفع العلم بـلا جـدٍّ ولا **يحبطك الجهل إذا الجدُّ علا**

وقال الحسين بن أحمد:

بالجدِّ أجدى على امرئٍ طلبه **ومن يطل حرصه يطل تعبه**

وقال آخر:

عش بجدٍّ وكن هبنَّقة القـي **ي نوكاً أو شيبة بن الولـيد**

عش بجدٍّ ولا يضرك نـوكٌ **إنما عيش من ترى بالجدود**

هبنقة القيسي اسمه يزيد بن ثروان، وكنيته أبو نافع، أحد بني قيس بن ثعلبة، وهو الذي شرد له بعير فجعل لمن جاء به بعيرين، فقيل له: لم هذا? قال: فأين فرحة الوجدان? وأنشدني محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه:

لا تشرهنّ إلى دنيا تمـلـكـهـا **قومٌ كثيرٌ بـلا عـقـلٍ ولا أدب**

ولا تقل إنَّني أبصرت ما جهلـوا **من الإرادة في مرٍّ ومنقـلـب**

فبالجدود هم نالوا الَّذي ملـكـوا **لا بالعقول ولا بالعلم والحسـب**

وأيسر الجدُّ نحوي كلَّ ممتـنـع **على التَّمكُّن عند البغي والطَّلب**

وإن تأمَّلت أحوال الَّذين مضـوا **رأيت من ذا وهذا أعجب العجب**

وقال إبراهيم بن المهدي:

قد يرزق المرء لم تتعب رواحلـه **ويحرم الرِّزق من لم يؤت من تعب**

مع أنَّني واجدٌ في النَّاس واحـدةً **الرِّزق أروغ شيءٍ عن ذوي الأدب**

وخلَّةٍ قلّ فيها مـن يخـالـفـنـي **الرِّزق والنَّوك مقرونان في سبـب**

يا ثابت العقل كم عانيت ذا حـمـقٍ **الرِّزق أولى به من لازم الجـرب**

وقال آخر:

ما ازددت في أدبي حرفاً أسر به **إلا تزيدت حرفاً فيه لي شـوم**

إن المقدم في حذف **أنى توجه فيها فهو**

بصنعته محروم

وقال آخر:

كفى حزناً أنَّ الغنى متعذِّرٌ عليَّ وأنِّي بالمكارم مغرم
فوالله ما قصَّرت في نيل غايةٍ ولكنَّني أسعى إليها فأحرم

وقال آخر:

ليس عن حيلة الرِّجال أصابوا ال مال بل قسمةٌ لهم وجدود
منهم العاجز المرجَّى له الرِّ زق ومنهم محارفٌ مجدود

قال بشار بن برد:

ما ضر أهل النَّوك ضعف الكدِّ صادف حظاً من سعي بجدِّ

وقال البحتري:

وآيسني علمي بألاَّ تقدُّمي مفيدي ولا مزرٍ على تأخُّري
ولو فاتني المقدور ممَّا أرومه بسعيٍ لأدركت الَّذي لم يقدَّر

وقال الصابي:

إذا جمعت بين امرأين صناعةٌ وأحببت أن تدري الَّذي هو أحذق
فلا تتأمَّل منهما غير ما به جرت لهما الأرزاق حين تفرَّق
فحيث يكون النَّوك فالرِّزق واسعٌ وحيث يكون الحذق فالرِّزق ضيِّق

باب المال حمداً وذمّاً

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "قلب الشَّيخ شابٌ في حب اثنتين: طول الحياة وكثرة المال".

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "نعم المال الصَّالح للرجل الصالح".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الدِّينار والدِّرهم أهلكا من كان قبلكم وإنهما مهلكاكم".

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "لكلّ أمةٍ فتنة، وفتنة أمتي المال".

وقال أيضاً: "إنَّ أحساب أهل الدُّنيا التي إليها ينتمون: المال".

وقال عليه السلام: "ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حب المال، والسَّرف لدين المؤمن".
قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة: يا بني عليكم بالمال واصطناعه، فإنه منبهةٌ للكريم، ويستغنى به عن اللئيم.
قال الحسن البصري: لكل أمة وثن يعبدونه، وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم.
وقال الحسن:إذا أردت أن تعلم من أين أصاب الرجل ماله، فانظر فيم أنفقه ، فإن الخبيث ينفق في السرف.
قال أبو ذرّ أموال الناس تشبه الناس، وعن أبي ذر أيضا: إنما مالك لك، أو للوارث أو للجائحة، فلا تكن أعجز الثلاثة.
قال أكثم بن صيفي: من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره.
قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يكسب المال ليكفَّ به وجهه، ويؤدِّي به أمانته، ويصل به رحمه.
قالوا للمسيح: يا روح الله أخبرنا عن المال، فقال المال لا يخلو صاحبه من ثلاث خلال: إما أن يكسبه من غير حله، وإما أن يمنعه حقه، وإما أن يشغله إصلاحه عن عبادة ربه.
قال الحطيئة: ?ولست أرى السَّعادة جمع مالٍ=ولكنَّ التَّقيَّ هو السَّعيد وأنشد ابن الأعرابي:?

المال يغشى رجالاً لا طباخ لهـم	كالسَّيل يغشى أصول الدِّندن البالي

وهذا البيت في شعر لعمار الكلبي أوله:

قف بالعوير على أبلاء أطلال	كأنَّها حللٌ أو خطُّ تـمـثـال
الفقر يزري بأقوامٍ ذوي حسبٍ	وربَّما ساد جبس القوم بالمال

وفيه يقول:

أصون عرضي بمالي لا أدنِّـسـه	لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأجـمـعـه	ولست للعرض إن أودى بمحتـال

الجبس: اللئيم. وقوله: لا طباخ لهم: أي لا قوة ولا طاقة، قاله الخليل.
وقال فضالة بن زيد العدواني: ?ومالعيش إلاَّ المال فاحمد فضوله=ولا تهلكنه في الضَّلال فتندم

إذا جلّ خطبٌ صلت بالمال حيثما	توجَّهت من أرضٍ فصيح وأعجم
وهابك أقوامٌ وإن لم تصـبـهـم	بنفعٍ ومن يستغن يحمد ويكـرم

ويعطي الذي يبغي وإن كان باخلاً بما في يديه من متـاعٍ ودرهـم

وقال لبيد:

ومالبرُّ إلاَّ مضمراتٌ من التُّقى وما المال إلاَّ مضمرات ودائع

وقال حاتم الطائي:

لعمرك ما يغني الثَّراء عن الفـتـى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصَّدر

أمـاويّ إنَّ الـمـال غــادٍ ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذِّكـر

وقال الشماخ:

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أعفُّ من القنوع

وقال المتلمس:

لحفظ المال أيسر من بغـاه وضربك في البلاد بغير زاد

قليل المال تصلحه فيبـقـى ولا يبقى الكثير مع الفسـاد

وقال آخر:

واطلب المال بحرصٍ واسرع المشي إلـيه

كلُّ من كان غـنـيَّاً سلَّم الناس عـلـيه

وإذا كـان فـقـيراً فقـد الـبـرُّ لـديه

وثياب المرء أعـوانٌ له بـــــين يديه

وقال آخر:

إذا قلَّ مال المرء قلَّ صـفـاؤه وضاقت عليه أرضه وسمـاؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقـدَّامـه خـيرٌ لـه أم وراؤه

إذا قلَّ مال المرء لم يرض عقله بنوه ولم يغضب لـه أولـياؤه

فإن مات لم يفقد ولم يحزنوا لـه وإن عاش لم يسرر صديقاً بقاؤه

وقال أبو اليقظان: ما ساد في الجاهلية مملق إلا عتبة بن ربيعة.

وقال محمد بن مناذر:

رضينا قسمة الجبَّار فينا لنا حسبٌ وللثَّقفيِّ مال

وقال المعلوط:

وماسوَّد المال الدَّنيء لذاك ولكنَّ الكـريم

ولا دنا يسـود

وقال عروة بن الورد:

ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومقـتـراً من المال يطرح نفسه كلّ مطرح

ليبلغ عذراً أو يصـيب غـنـيمةً ومبلغ نفسٍ عذرها مثل منجـح

هذان البيتان أنشدهما ابن قتيبة لأوس بن حجر، وخالفه حبيب وغيره فأنشدهما لعروة.

وقال عروة بن الورد:

إذاالمرء لم يطلب معاشاً لنفسـه شكا الفقر أو لام الصَّديق فأكثرا

وصار على الأذنين كلاً وأوشكت صلات ذوي القربى له أن تنكَّرا

وقال منصور الفقيه:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسـه وهي نعله أو باع في السُّوق خفَّه

ولم يك مأموناً على مـال جـاره إذا مـا رآه خـالـياً أن يلـفَّـه

وقال الفرزدق:؟

والمال بعد ذهاب المال يكتسب

قال إبراهيم النخعي: إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال.

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي الفقيه:

أعاذل عاجل ما أشتـهـي أحبُّ إليَّ مـن الـرَّائث

سأحبس مالي على حاجتي وأوثر نفسي على الوارث

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

أرى نفسي تتوق إلى أمورٍ ويقصر دون مبلغهنَّ مالي

فنفسي لا تطاوعني لبخـلٍ ومالي لا يبلِّغني فعالـي

وقال أعرابي:

إذا ما الفتى لم يبلغ إلاَّ لباسـه ومطعمه فالخير منه بـعـيد

يذكِّرني صرف الزَّمان ولم أكن لأهرب ممَّا ليس منه مـحـيد

فلو كنت ذا مالٍ لقرِّب مجلسي **وقيل إذا أخطأت أنت رشـيـد**
فذرني أجوِّل في البلاد لعـلّـه **يسرُّ صديقٌ أو يساء حـسـود**

وقال آخر:?

أنت للمال إذا أمسكته **فإذا أنفقته فالمال لك**

وقال قيس بن عاصم:

سأودع مالي الحمد والأجر كلّـه **فلا أجر في الدُّنيا ولا الحمد دائم**
فرحت بما قدَّمت منه وإنَّـنـي **على حسن ما أخَّرت منه لنـادم**

كان يقال: شر مالك ما لزمك إثم مكسبه، وحرمت لذة إنفاقه.
قال الشاعر:

ذهاب المال في حمدٍ وأجرٍ **ذهابٌ لايقال لـه ذهـاب**

وقال آخر:

وحفظك مالاً قد عنيت بجمعه **أشدُّ من المال الَّذي أنت طالبه**

قال جعفر من محمد رحمهما الله: من نقله الله من ذل المعصية إلى عز الطاعة أغناه بلا مال، وآنسه بلا أنيس، وأعزّه بلا عشيرة.
قال محمود الوراق:

هاك الدّلـيل لـمـن أرا **د غنىً يدوم بغـير مـال**
وأراد عـزّاً لـم تـوطِّ **ده العشائر بـالـقـتـال**
ومهابةً مـن غـير سـل **لطانٍ وجاهاً في الرِّجال**
فليعـتـصـم دخـولـه **في عزِّ طاعة ذي الجلال**
وخـروجـه مـن ذلَّة ال **معاصي له في كلِّ حال**

وقال النمر بن تولب:

خاطر بنفسك كي تصيب رغيبةً **إنَّ الجلوس مع النِّساء قـبـيح**
فالمال فيه تـجـلَّةٌ ومـهـابةٌ **والفقر فيه مذلَّةٌ وفـضـوح**

وقال آخر:

ويزري بعقل المرء قلَّة ماله **تحمقِّه الأقوام وهو لبـيـب**

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

ربّ حلمٍ أضاعه عدم المـا ... ل وجهلٍ غطَّى عليه النَّعيم

وقال الخريمي وهو أبو يعقوب:

العيش لا عيش إلاَّ ما قنعت به ... قد يكثر المال والإنسان مفتقر

وقال أمية بن أبي الصَّلت:

إذا اكتسب المال الفتى من وجوهه ... وأحسن تدبيراً له حـين يجـمـع

وميَّز في إنفاقه ما بين مصـلـحٍ ... معيشته فـيمـا يضـرّ وينـفـع

وأرضى به أهل الحقوق ولم يضع ... به الذُّخر زاداً لَّلتي هي أنـفـع

فذاك الفتى لا جامع المال ذاخـراً ... لأولاد سوءٍ حيث جاءوا وأرضعوا

وقال كثير:

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه ... صنيعة نعمى أو خليلٌ توامقه

بخلت وبعض البخل حزمٌ وقوَّةٌ ... فلم يفتلتك المال إلاَّ حقـائقـه

وقال محمود الوراق:

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى ... ولم أر مثل المال أرفع للنَّذل

ولم أر عزَّاً لامرئٍ كـعـشـيرةٍ ... ولـم أر ذلاً نـأيٍ عـن الأهـل

ولم أر من عدمٍ أضَّر على الفتـى ... إذا عاش بين النَّاس من عدم العقل

وقال آخر:

الفقر يزري بأقوامٍ ذوي حسبٍ ... وقد يسوِّد غير السَّيِّد المـال

وقال محمود الوراق:

أرى دهرنا فـيه عـجـائب جـمَّةٌ ... إذا استعرضت بالعقل ضلَّ لها العقل

أرى كلَّ ذي مالٍ يسـود بـمـالـه ... وإن كان لا أصلٌ هناك ولا فصـل

وآخر منسوباً إلى الـرَّأي خـامـلاً ... وأنوك مخبولاً له الجاه والـنُّـبـل

وما الفضل في هذا الزمان لأهلـه ... ولكنَّ ذا المال الكثير له الفـضـل
فشرِّف ذوي الأموال حيث لقيتـهـم ... فقولهم قولٌ وفـعـلـهـم فـعـل

ومما ينسب إلى محمود، وأظنها لغيره وهو أبو عبد الرحمن العطوي:

دع الرِّياء لـمـن لـجّ الـرِّياء بـه ... في الأمر بالبذل واذكر ذلّة الـعـدم
ومت على الدِّرهم المنقوش موت فتىً ... رأى الممات عليه أكـرم الـكـرم
وعدِّ عن ذا وعن هـذا وقـولـهـم ... الذكر يبقى وتفنـى لـذَّة الـنِّـعـم
لولا غناك لكنت الكلـب عـنـدهـم ... فإن أبيت فجرِّب واشـق بـالـنَّـدم

وقال أبو العتاهية:

والنَّاس حيث يكون المال والجاه

باب جامع القول في الغنى والفقر

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: "ارض بما قسم الله لك تكن أغنى النَّاس،واعمل بما افترض الله عليك تكن أعبد النَّاس، واجتنب ما حرَّم الله عليك تكن أورع النّاس".
وقال عليه السلام: "ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النَّفس".
وفي الحديث المرفوع: "الفقر أزين للمؤمن من الغدار، وعلى خدِّ الفرس".
وقد أتينا معنى الفقروالغنى، والمقدار المحمود في ذلك عند العلماء بدلائل السنن، وأقاويل السلف، بما فيه كفايةٌ وتبصرة وشفاءٌ لما في الصدور في موضعه من كتاب "بيان العلم" والحمد لله.
قال أوس بن حارثة: خير الغنى القناعة، وشرُّ الفقر الضَّراعة.
قال فضيل بن عياض: إنما الفقر والغنى بعد العرض على الله.
أنشدنا الرياشي:

ما شقوة المرء بالإقتار تقـتـره ... ولا سعادته يومـاً بـإكـثـار
إنَّ الشَّقيَّ الذي في النَّار منزلـه ... والفوز فوز الذي ينجو من النَّار

قال جعفر بن محمد: العز والغنى يجولان في الأرض، فإذا أصابا موضعاً يدخله التَّوكُّل أوطناه.
كان يقال: الشكر زينة الغنى، والعفاف زينة الفقر.
وقالوا: حقُّ الله واجب في الغنى والفقر، ففي الغنى العطف والشكر، وفي الفقر العفاف والصبر.
كان يقال: سوء حمل الغنى يورث مقتاً، وسوء حمل الفاقة يضع شرفاً.
كان يقال:الغنى في النفس، والشرف في التواضع، والكرم في التقوى.
أنشدنا الرياشي:

وبينا الفتى في الفقر إذ صار في الغـنـى ... وبينا الفتى في البؤس إذ صار في الخفض
كذاك صروف الدَّهر تلعب بـالـفـتـى ... فنبرم أحياناً وتسـرع فـي الـنَّـقـض

وقال آخر:

قد أنطقت الدَّراهم بعد عـيٍّ أناساً طالما كانوا سكـوتـا
فما عادوا على جارٍ بـخـيرٍ ولا رفعوا لمكرمةٍ بـيوتـاً
كذاك المال ينطق كلَّ عـيٍّ ويترك كلَّ ذي حسبٍ صموتا

وقال آخر:

نطقت مذ استفدت المال حتَّى كأنَّك عالمٌ ذلق الـلِّـسـان
وشجَّعك الَّذي قد كان قدمـاً يسمِّيك الجبان ابن الجبـان

وقال محمود الوراق:

الفقر في النَّفس وفيها الغنـى وفي غنى النَّفس الغنى الأكبر

وقال حماد الراوية: أفضل بيت من الشعر قيل في الأمثال:

يقولون يستغني ووالله ما الغنـى من المال إلاَّ ما يعفُّ وما يكفي

ولمحمود الوراق أيضاً:

صاحب اليسر يرقب العسر والمع سر في دهـره يراقـب يسـرا
ليس خلقٌ له عـلـى الـلـه حـقٌ إنَّما حقُّه على الـنَّـاس طـرَّا
لا يحابي الغـنـيَّ فـيمـا أتـاه لا ولا يظلم الذي مـات فـقـرا
يمنع الله عبـده نـظـراً مـن ه ويسنى له العطـيَّة مـكـرا
ليس من بخله ينقِّص ذا الـفـقـ ر ولم يعط ذا الغنى المال قسرا

قال عبد الله بن الأهتم: من ولد في الفقر أبطره الغنى.

كان يقال: خصلتان مذمومتان: الاستطالة مع السّخاء والبطر مع الغناء.

كان يقال: لا تدع على ولدك بالموت، فإنَّه يورث الفقر.

قال أعرابيٌ من باهلة:

سأعمل نصّ العيس حتَّى يكفَّني غنى المال يوماً أو غنى الحدثان

فللموت خيرٌ من الحياةٍ يرى لها على الحرِّ بالإقلال وسم هوان
كأنَّ الغنى في أهله بورك الغنى بغير لسانٍ ناطـقٌ بـلـسـان
وقال يحيى بن حكم الغزال، وتروى لغيره ابن المعتز، أو غيره:
إذا كنت ذا ثروةٍ من غنًى فأنت المسوَّد في العالـم
وحسبك من نسب صورةٌ تخبِّـر أنَّـك مـن آدم
وللغزال أيضاً:
إنِّى حلبت الدَّهرأصناف الدِّرر فمرَّةً حلوٌ وأحيانـاً مـقـر
وعلقماً حيناً وأحياناً صـبـر وجلُّ ما يسقيكه الدَّهر كـدر
فلم أجد شيئاً من الفقـر أمـرّ ألا ترى أكثر من فيها يفـرّ
مخافة الفقر إلى نارٍ سقر وقال آخر:
لعمرك إنَّ القبر خيرٌ من الفقـر لمن كان ذا يسرٍ وعاد إلى عسر
ولعروة بن الورد:
دعيني للغنى أسمى فإنِّـي رأيت النَّاس شرُّهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهـم وإن أمسى له كرمٌ وخير
يباعده الخلـيل وتـزدريه حليلته وينهره الصَّغـير
وتلقي ذا الغنى وله جلالٌ يكاد فؤاد صاحبه يطـير
قليلٌ عيبه والعـيب جـمٌ ولكن للغنى ربٌّ غفـور
وقال آخر:
رأيت الـنَّـاس لـمَّـا قـلَّ مـالـي وأكـثـرت الـغـرامة ودَّعـونـي
فلمَّا أن غنيت وثاب وفرياإذا هم لا أب لك راجعني
وقالوا: بقدر ما يعطى الغنيُّ من الإيسار، يعطى من الإجلال، وبقدر ما ينزل بالفقير من فقر يذهب بهاؤه وتتضع منزلته، حتى يتهمه من كان يأمنه، ويسيء به الظن من كان يثق به. ومحاسن الغني مساوىء الفقير، إذا كان جواداً قالوا:مبذر، وإن كان لسناً قالوا: مهذار، وإن كان شجاعاً، قالوا:

أهوج، وإن كان حليماً صموتاً، قالوا: عيّ بليد، وكل شيء هو للغنىّ مدح هو للفقير ذم.
قال الشاعر:

لعمرك إنَّ المال قد يجعل الفتى سنيَّاً وإنَّ الفقر بلمرء قد يزري
فما رفع النَّفس الدَّنيئة كالغـنـى ولا وضع النَّفِس الكريمة كالفقر

وقال حبيب:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسَّيل حربٌ للمكان العـالـي

وللمغيرة بن حبناء:

ومماالفقر يزري بالرَّجال ولا الغنى ولكن قلوب القوم للقوم تـقـدح

وقال امرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدَّرب دونه وأيقن أنَّا لاحقـان بـقـيصـرا
فقلت له: لا تبك عـينـك إنَّـمـا نحاول ملكاً أو نموت فنعـذرا

وقال أبو العتاهية:

أجلَّك قومٌ حين صرت إلى الغنى فكلُّ غنيٍّ في العيون جـلـيل
إذا مالت الدُّنيا إلى المرء رغَّبت إليه ومال النَّاس حـيث يمـيل
وليس الغنى إلاَّ غنىً زيَّن الفتـى عشيَّة يقـرى أو غـداة ينـيل

وقال الصَّلتان العبديّ:

إذا قلت يوماً لمن قد تـرى أروني السّرىَّ أورك الغنى

وقال ابن سعدان:

تقنَّع بما يكفيك والتمس الـرِّضـا فإنَّك لا تدري أتصبح أم تمسـي
فليس الغنى عن كثرة المال إنَّمـا يكون الغنى والفقر من قبل النَّفس

وقال بكر بن أذينة:

كم من فقيرٍ غني النَّفس نعرفه ومن غنيٍّ فقير النَّفس مسكين

وقال محمود الوراق:

لبست صروف الدَّهر وجرَّبت حالي على

كهلاً وناشئاً العسر واليسر
فلم أر بعد الدِّين خيراً من الغنـى ولم أر بعد الكفر شراً من الفقـر

ولمحمود الوراق:

ياعائب الفـقـر ألا تـزدجـر عيب الغنى أكثر لو تعتـبـر
من شرف الفقر ومن فضـلـه على الغنى إن صحَّ منك النَّظر
أنَّك تعصي كي تنال الغـنـى ولست تعصي الله كي تفتقـر

وفي رواية أخرى:

أنَّك تعصي الله ترجو الغنى ولست تعصي الله كي تفتقر

وقال آخر:

ولا تعدني الفقر ياأمّ مالكٍ فإنَّ الغنى للمنفقين قريب

وهذا مأخوذ والله أعلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:"يقول الله ياابن آدم أنفق أنفق عليك".

وقال بعض الحكماء في ذم الغنى: طالب الغنى طويل العناء، دائم النَّصب، كثير التعب، قليل منه حظِّه، خسيس منه نصيبه، شديد من الأيام حذره، ثم هو بين سلطان يرعاه، ويفغر عليه فاه، وبين حقوق تجب عليه، يضعف عن منعها، وبين أكفاء وأعداء ينالونه ويحسدونه ويبغون عليه، وأولاد يمُّلونه ويودون موته، ونوائب تعتريه وتحزنه.

وقال بشر بن المعتمر المتكلم:

وإذاالجهول رأيته مستغنـياً أعيا الطَّبيب وحيلة المحتال

وقال الخليل بن أحمد:

ماأسمج النُّسـك بـسـأل وأقبح البخل بذي المـال
من كان محتاجاً إلى أهله هان على ابن العمِّ والخال
ماوقع الإنسان في ورطةٍ أزرى به من رقَّة الحال

قيل لبعض الحكماء: مابالنا نجد من يطلب المال من العلماء أكثر ممن يطلب العلم من ذوي الأموال؟ قال: لمعرفة العلماء بمنافع المال، وجهل ذوي الأموال بمنافع العلم.

قال الشاعر:

ألم تر أنَّ الفقر يزرى بأهله وإنَّ الغنى فيه العلا والتَّجمُّل

قال أحيحة بن الجلاح:

استغن عن كلِّ ذي إنَّ الغنىَّ من استغنى

قربى وذي رحمٍ عن النَّـاس

والبس عدوَّك في رفقٍ وفـي دعةٍ لباس ذي إربة للـدَّهـر لـبَّـاس

باب الدَّين

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله مقبلا غير مدبر، أيكفّر الله عنّي خطاياي? قال: "نعم. إلاّالدَّين، بذلك أخبرني جبريل".
وعنه عليه السلام أنه قال: "صاحب الدَّين محبوسٌ عن الجنة بدينه".
وقال عليه السلام-" بعد أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين"-:" من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً فعليّ".
كان يقال: لا همّ إلاّهمّ الدَّين، ولا وجع إلاّوجع العين. وقد روى هذا القول عن النبي صلّى الله عليه وسلم من وجه ضعيف.
قال عمر بن الخطاب: إياكم والدَّين، فإنّ أوله همٌّ وآخره حرب.
قال جعفر بن محمد: المستدين تاجر الله في الأرض.
قال عمر بن عبد العزيز: الدَّين وقرٌ طالما حمله الكرام.
قال عمرو بن العاص: من كثر صديقه كثر دينه.
قيل لمحمد بن المنكدر:أتحجُّ وعليك الدين? قال: الحج أقضى للدين. يريد الدعاء فيه والله أعلم.
كان يقال: الدَّين رقّ، فلينظر أحدكم أين يضع رقّه.
كان يقال: الأذلة أربعة: النَّمَّام، والكذّاب ، والفقير، والمديان.
كان يقال: حرّيّة المسلم كرامته، وذلّه دينه، وعذابه سوء خلقه.
كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يعامل الناس بالعينة، فإذا حلت دراهمه ركب حماراً يقال له شارب الريح، فيقف على غرمائه فيقول:

بنو عمِّنا أدُّوا الدَّراهم إنَّـمـا يفرِّق بين النَّاس حبُّ الدَّراهم

وقال آخر:

فما شأن ديـنـي إذ يحـلُّ عـلـيكـم أرى النَّاس يقضون الدُّيون ولا يقضى

لقد كان ذاك الدَّين نقـداً وبـعـضـه لمرضٍ فما أدَّيت نقداً ولا عـرضـا

ولكنَّما هـذا الَّـذي كـان مـنـكـم أمانيّ ما لاقت سـمـاءً ولا أرضـا

فلو كنت تنوين القـضـاء لـدينـنـا لأنسأت لي بعضاً وعجَّلت لي بعضا

قال أبو عثمان المازني:سمعت معاذ بن معاذ، وبشر بن المفضل ينشدان هذين البيتين لمجنون عامر:

طمعت بليلى أن تريع وإنَّـمـا تقطِّع أعناق الرِّجال المطامع

وداينت ليلى في خلاءٍ ولم يكن شهودٌ على ليلى عدولٌ مقانع

وقال آخر أنشده ابن الزبير:

ألا ليت النَّهار يعود ليلاً فإنَّ الصُّبح يأتي

بالهموم
حوائج ما نطيق لها قضاءً ولادفعاً وروعات الغريم

كان يقال: الدَّين همٌّ بالليل وذل بالنهار، وإذا أراد الله أن يذل عبده جعل في عنقه ديناً.
وقال آخر:

إنَّ القضاء سيأتـي دونـه زمـنٌ فاطو الصَّحيفة واحفظها من الفار

قال كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة:

قضى كلُّ ذي دينٍ فوفىَّ غريمه وعزَّةٌ ممطولٌ معنىً غريمهـا

أنشدنا الصولي لسليمان بن وهب متمثلا:

من النَّاس إنسانان ديني عليهما مليَّان لو شاءا لقد قضيانـي
خليليّ أمَّا أمُّ عمرو فمنهمـا وأمَّا عن الأخرى فلا تسلاني

باب الاقتصاد والرفق

قال الله عزّ وجلّ: "ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط"وقال:"والَّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً".
فهذا أدب الله تعالى.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "ماعال من اقتصد".
كان يقال: ثلاثٌ من حقائق الإيمان:الاقتصاد في الإنفاق، والإنصاف من نفسك، والابتداء بالسلام.
كتب بعض الصالحين إلى بعض إخوانه: كل مارده العقل، وناله الفضل فجميلٌ حسن.
قال عبد الله بن عباس الهدي الصّالح، والسَّمت الحسن، والاقتصاد،جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة.
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "إن الله يحبُّ الرفق في الأمر كله".
قال عليه السلام: "ما كان أرفق قط في شيءٍ إلاّزانه، ومن حرم الرفق حرم الخير".
وقال صلى الله عليه وسلّم: "ماأراد الله بأهل بيت خيراً إلا أدخل عليهم الرفق ولا أراد بهم شرَّاً إلاّ أدخل عليهم الخرق".
قال عمر بن الخطاب: لا يقل مع الإصلاح شيء،ولا يبقى مع الفساد شيء.
قال المتلمِّس:

وإصلاح القليل يزيد فـيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"الرفق يمن، والخرق شؤم".
سئل بعض العلماء عن السكينة، فقال: هي السكون عما الحركة فيه، والعجلة لا يحمدها الله ولا يرضاها.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأناة من الله، والعجلة من الشيطان".
لسهل بن هارون في يحيى بن خالد:

عدوٌّ تلاد المال فيما ينـوبـه منوعٌ إذا ما منعه كان أحزما

وقال آخر:

عليك بأوساط الأمور فـإنَّـهـا **نجاةٌ ولا تركب ذلولاً ولا صعبا**

وقال آخر:

لا تذهبنَّ في الأمور فرطـا **لا تسألنَّ إن سألت شطـطـا**

وكن من النَّاس جميعاً وسطا

قال أعرابي للحسن: ياأباسعيد?? علمني ديناً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً. قال له الحسن:أحسنت، خير الأمور أوسطها.

قال محمود الوراق:

إنِّي رأيت الصَّبر خير مـعـوَّلٍ **في النَّائبات لمن أراد مـعـوَّلا**

ورأيت أسباب القنوع مـنـوطةً **بعرى الغنى فجعلتها لي معقلا**

فإذا نبا بي منزلٌ لا يرتـضـي **جاوزته واخترت عنه مـنـزلا**

وإذا غلا شيءٌ عليَّ تـركـتـه **فيكون أرخص ما يكون إذا غلا**

لبعض المتأخرين من البخلاء يوصي ابنه:

إذا ما كنت في بلدٍ غـريبـاً **وخفت من أن تبوء بغير مال**

فلا تبسط يديك وكل قـلـيلاً **يفوتك كلُّ يومٍ في اعتـدال**

وذبَّ عن الدَّراهم كلَّ حـينٍ **وكثِّرها وقلِّل في الـعـيال**

وقلٍ في كل شيءٍ تشتـهـيه **من الأشياء هذا الشَّيء غال**

فترك المال للأعـداء خـيرٌ **لربِّ المال من ذلِّ السُّـؤال**

روينا عن نصر بن علي الجهضمي،قال: دخلت على أمير المؤمنين المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأطنب، فقلت: ياأميرالمؤمنين أنشدني الأصمعي في الرفق. فقال هاته يا نصر، فقلت :

لم أر مثل الرِّفق في لينـه **أخرج للعذراء من خدرها**

من يستعن بالرِّفق في أمره **قد يخرج الحيَّة من جحرها**

قال سابق:

إنَّ التَّرفُّق للمقيم **وإذا يسافر فالتَّرفُّق**

مـوافـقٌ أوفـق
لو سار ألف مدجَّجٍ في حاجةٍ لم يلقها إلاَّالَّـذي يتـرفَّـق

باب السَّفر والاغتراب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "السفر قطعةٌ من العذاب، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجِّل الرجوع إلى أهله".
وزاد بعضهم في هذا الحديث"السفر قطعة من العذاب، فاقطعوه بالدُّلجة".
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:تلقَّوا الحاجَّ ولا تشّيعوهم.
قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم:"سافروا تصحّوا وتغنموا".
وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "مامات ميت بأرض غربةٍ إلا قيس له من مسقط رأسه إلى منقطع أثره في الجنة".
ومن حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلَّم، قال: "موت الغريب شهادة".
ومن حديث أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: "من مات غريباً مات شهيداً".
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "العباد عباد الله، والبلاد بلاد الله، فأينما وجدت الخير فأقم واتق الله".
وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه -ومنهم من يرفعه - قال: من سعادة المرء أن تكون زوجته موافقة، وأولاده أبراراً، وإخوانه صالحين، ورزقه في بلده الذي فيه أهله. مكتوبٌ في التوراة: ابن آدم? أحدث سفراً أحدث لك رزقاً.
قالت العرب: من أجدب انتجع.
قيل لأعرابيّ أين منزلك? قال: بحيث ينزل الغيث.
من أمثال العامة: البركات مع الحركات.
وقالوا: ربما أسفر السَّفر عن الظَّفر.
قال البحتري: ??وإذا الزَّمان كساك حلَّة معدمٍ=فالبس لها حلل النَّوى وتغرَّب وقال زهير:

ومن يغترب يحسب عدوَّاً صديقه ومن لا يكرِّم نفسـه لا يكـرَّم

وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى مصارع مظلومٍ مجرّاً ومسحبـا
وتدفن منه الصَّالحات وإن يسـيء يكن ماأساء النَّار في رأس كبكبـا

وقال آخر:

إنَّ الغريب بأرضٍ لا عشير بها كبائع الرِّيح لا يعطى به ثمنـا

وقال سابق:

لا ألفينَّك ثاوياً فـي غـربةٍ إنَّ الغريب بكلِّ سهمٍ يرشق

وقال آخر:

فلم أرعزَّ المرء إلاَّ عـشـيرةً ولم أر ذلاً مثل نأيٍ عن الأهل

وقال آخر:

إنِّي الغريب فما ألام على البكا إنَّ البكا حسنٌ بكـلِّ غـريب

وقال آخر:

يجازى بالَّذي تجد القلوب ويأنس بابن بلدته الغريب
وصادفني غريبٌ فالتقينا وكلُّ مساعدٍ فهو القريب

وقال آخر:

تغرَّبت عن أهلي أؤمِّـل ثـروةً فلم أعط آمالي وطال التَّـغـرُّب
فما للفتى المحتال في الرِّزق حيلةٌ ولا لجدودٍ جدَّها اللـه مـذهـب

وقال كعب بن زهير:

فقرِّي في بلادك إنَّ قوماً متى يدعوا بلادهم يهونوا

وقال آخر:

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفراً بل المقام على خسفٍ هو السَّفر

قالوا: ترك الوطن أحد اليسارين.

قال الشاعر:

ومالموت إلاَّرحـلةٌ غـير أنَّـهـا من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

وقال آخر:

لقرب الدَّار في الإقتـار من العيش الموسَّع في

خـيرٌ اغتراب

وقال آخر:

ومهمةٍ فيها السَّراب يسبح يدأب فيه القوم حين يصبح
كأنَّما ثووا بحيث أصبحـوا الَّليل أخفى والنَّهار أفضح

قالوا: إذا كنت في غير بلدك، فلا تنس نصيبك من الذل.
وأنشدوا:

إنَّ الغريب له استكانة مذنبٍ وخضوع مديانٍ وذلٌ مريب

وقال آخر:

إذا كنت في قومٍ عداً لست منهم فكل ما علفت من خبيثٍ وطيِّبٍ

وقال آخر:

إنّ الغريب وإن أقام ببلـدةٍ يهدى إليه خراجها لغريب

وقال آخر:

غريبٌ يقاسي الهمَّ في أرض غربةٍ فياربِّ قـرِّب دار كـلِّ غـريب

قالوا: الغريب كغرس ذابل ماتت أرضه، ونفد شربه.
قال النمر بن تولب:

إذا كنت في سعدٍ وأمُّك منـهـم غريباً فلا يغررك خالك من سعد
فإنّ ابن أخت القوم مصغىً إناؤه إذا لم يزاحم خاله بـأبٍ جـلـد

قالت العرب: ليس بينك وبين بلاد نسب، خير البلاد ما حملك.
وقال آخر:

ليس الفتى بفتىً لا يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثار

وقال آخر:

سل الله الإياب من المغـيب فكم قد ردَّ مثلك من غريب
سلِّ الهمَّ عنك بحسـن ظـنٍ ولا تيأس من الفرج القريب

قال بعض العقلاءً: أعرف بيتاً قد بيّت أكثر من مائة ألف رجل في المساجد، وفي غير أوطانهم، وهو:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى تمش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا

قال خالد بن صفوان: في السفر ثلاثة معان:الأول الغرم، الثاني القدرة، والثالث الرحيل.
كان يقال: فقد الأحبة غربة.
قال الشاعر:

إذا مامضى القرن الَّذي أنت فيهم — وخلِّفت في قرنٍ فأنت غـريب

وقال لبيد بن ربيعة:

لعمرك مـايدريك إلاَّ تـظـنِّـياً — إذا رحل السُّفار من هو راجـع
لعمرك ماتدري الطَّوارق بالحصى — ولا زاجرات الطَّير ما الله صانع

وقال علي بن الجهم:

يارحمتا للغريب في البلدالنَّا — زح ماذا بنفسه صنـعـا
فارق أحبابه فما انتفعـوا — بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقول في نأيه وغربـتـه — عدلٌ من الله كلُّ ما صنعا

أراد أعرابي السفر فقال لامرأته -وقيل إنه الحطيئة- :

عدِّي الِّسنين لغيبتي وتصبَّري — وذري الشُّهور فإنَّهنَّ قصار

فأجابته:

اذكر صبابتنا إليك وشوقنا — وارحم بناتك إنَّهنَّ صغار

فأقام وترك سفره.
قال امرؤ القيس:

وقد طوَّفت في الآفاق حتَّى — رضيت من الغنيمة بالإياب

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

طربت إلى الأصيبية الصِّغار — وهاجك منهم قرب المزار
وكلُّ مسافرٍ يزداد شـوقـاً — إذا دنت الدِّيار مـن الـدِّيار

وقال جرير:

ولما التقى الحيَّان ألقيت العصا — ومات الهوى لما أصببت مقاتله

وقال آخر:

سررت بجعفرٍ والقرب منه — كما سرَّ المسافر بـالإياب

وكنت بقربه إذ حلَّ أرضى **أميراً بالسَّكينة والصَّـواب**
كممطورٍ ببلدته فأضحـى **غنيّاً عن مطالبة السَّحـاب**

وقال آخر، وحكى صاحب البيان أنه لمضرَّس الأسدي:

مقلٌ رأى الإفلال عاراً فلـم يزل **يجوب بلاد الله حتَّـى تـمـوَّلا**
إذا جاب أرضاً أو ظلاماً رمت به **مهامه أخرى عيسه متقـلـقـلا**
ولم يثنـه عـمَّـا أراد مـهـابةٌ **ولكن مضى قدماً وما كان مبسلا**
فلمَّا أفاد المال جاد بـفـضـلـه **لمن جاءه يرجو نـداه مـؤمِّـلا**

وقال آخر، وهو الأحمر بن سالم المزني:

فألقت عصاها واستقرّ بها النَّوى **كماقرَّعيناً بالإياب المسـافـر**

وقال آخر:

إذا نحن أبنا سالمين بـأنـفـسٍ **كرامٍ رجت أمراً فخاب رجاؤها**
فأنفسنا خير الغـنـيمة إنَّـهـا **تؤوب وفيها ماؤها وحـياؤهـا**

وقال آخر:

رجعنا سالمين كما بدأنـا **وما خابت غنيمة سالمينا**
وماتدرين أيُّ الأمر خيرٌ **أما تهوين أم ما تكرهينا**

قال عوف بن محلِّم:عادلت عبد الله بن طاهر إلى خراسان، فدخلنا الرَّيّ في السحر فإذا قمرية تغرد على فنن شجرة، فقال عبد الله:أحسن والله أبو كبير في قوله:

ألاياحمام الأيك إلفك حاضرٌ **وغصنك ميَّادٌ ففيم تنـوح**

ثم قال: يا عوف أجزها. فقلت: شيخ كبير،وحملت على البديهة، وهي معارضة أبي كبير،ثم انفتح لي شيء، فقلت:

أفي كلِّ عامٍ غـربةٌ ونـزوح **أما للنَّوى من ونيةٍ فـتـريح**
لقد طلح البين المشتُّ ركائبـي **فهل أرينَّ البين وهو طـلـيح**
وأرَّقني بالرَّيِّ نوح حـمـامةٍ **فنحت وذو الشَّجو القريح ينوح**

على أنَّها ناحت ولم تذر عبـرةً ... ونحت وأسراب الدُّموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخي مهامه فيح

وذكر تمام الخبر.
كان يقال: من لم يرزق ببلدة فليتحوّل إلى أخرى.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:"الأرض أرض الله،والعباد عباد الله، فحيث وجد أحدكم رزقه،فليتق الله وليقم".
قال عبد الله بن أبي الشّيص:

أظنُّ الـدَّهـر قـد آلا فـبـرَّا ... بألاَّ يكـسـب الأمـوال حـرَّاً
لقد قعد الزَّمـان بـكـلِّ حـرٍّ ... ونقّض من قواه المسـتـمـرَّا
كأنَّ صـفـائح الأحـرار أردت ... أباه فحـارب الأحـرار طـرَّا
فأصبح كلُّ ذي شرفٍ ركـوبـاً ... لأعناق الدُّجى بـرَّاً وبـحـرا
فهتَّك جيب درع الَّلـيل عـنـه ... إذا ما جيب درع الَّـلـيل زرَّا
يراقب للغنى وجهاً ضحـوكـاً ... ووجها للمنـيَّة مـكـفـهـرَّا
فيكسب من أقاصي الأرض كسباً ... يحلُّ به المحلَّ المشـمـخـرَّا
ومن جعل الظَّلام لـه قـعـوداً ... أضاء له الدُّجى خـيـراً وشـرَّا

وقال آخر:

لا تصحبنَّ رفيقاً لست تأمنـه ... شرُّ الرَّفيق رفيقٌ غير مأمون

أنشد نفطويه:

خاطر بنفسك لا تقعد بمعجزةٍ ... فليس حرٌ على عجزٍ بمعذور
إن لم تنل في مقامٍ ماتطالبـه ... فأبل عذراً بادلاجٍ وتهجـير
لن يبلغ المرء بالإحجام همَّته ... حتَّى يباشرها منه بتـغـيير

قالت بنت الأعشى:

أرانا إذا أضمرتك البلا ... د نجفى وتقطع منَّا الرِّحم
إذا غبت عنَّا وخلَّفتنا ... فإنَّا سواءٌ ومن قد يتم

وقال آخر:

وقالت وعيناها تفيضان عبرةً ... أيا أملي خبِّر متى أنت راجع
فقلت لها تالله يدري مسافرٌ ... إذا أضمرته الأرض ما الله صانع

وقال آخر:

حتَّى متى أنا في حلٍّ وترحال ... وطول سعيٍ وإدبارٍ وإقبال
ونازح الدَّار لا أنفكُّ مغترباً ... عن الأحبَّة لا يدرون ما حالي
بمشرق الأرض طوراً ثمَّ مغربها ... لايخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت أتاني الرِّزق في دعةٍ ... إنَّ القنوع الغنى لا كثرة المال

أنشد الأصمعي لحاجب الفيل اليشكري:

لمَّا رأت بنتي بأنِّي مزمعٌ ... بترحُّلٍ من أرضها فمودِّع
ورأت ركابي قرِّبت لرحالها ... قالت وغرب العين منها يدمع
أبتا أتتركنا وتذهب تائهاً ... في الأرض تخفضك البلاد وترفع
فيضيع صبيتك الّذين تركتهم ... بمضيمةٍ في المصر لم يترعرعوا
فيهم صغيرٌ ليس ينفع نفسه ... وصغيرةٌ تبكي وطفلٌ يرضع
إنَّا سنرضى ما أقمت بعيشنا ... ماكان من شيءٍ نجوع ونشبع
والله يرزقنا فنرضى رزقه ... وكفى بحسن معيشة من يقنع
إنَّا إذا ما غبت عنَّا لم نجد ... ممَّا تخلَّف عندنا ما ينفع
تجفو موالينا ويعرض ... وقريبنا الأدنى يعزُّ

جارنا ويقطع
ونخاف أن تلقاك وشك منيّةٍ فيصيبنا الأمر الجليل المفظع
فنصير بعدك ليس يرفع بيتنا ويذلُّنا أعداؤنا ونضيَّع
هذا الرَّحيل وأمرنا ماقد ترى فمتى تؤوب إلى الصِّغار وترجع
فخنقت من قول الصِّغار بعبرةٍ كاد الفؤاد لقولهم يتصدَّع
وأجبتها صبراً بنيَّة واعلمي أن ليس يعدو يومه من يجزع

وقال الغزال:

وكم ظاعنٍ قد ظنَّ أن ليس آيباً فآب وأودى حاضرون كثير
وإنَّ الَّذي أعظمته من تغرُّبيعليَّ وإن أعظمت ذاك يسير
رأيت المنايا يدرك العصم عدوها فينزلها والطَّير منه تطير
وعلِّي أمضي ثمَّ أرجع سالماً ويهلك بعدي آمنون حضور
جعلت أرجِّيها إيابي ومن غدا على مثل حالي لا يكاد يحور
وكيف أبالي والزَّمان قد انقضى وعظمي مهيضٌ والمكان شطير
وإنِّي وإن أظهرت منِّي تجلُّداً لذو كبدٍ حرَّي عليك حسير

وقال آخر:

يقيم الرِّجال الأغنياء بأرضهم وترمي النَّوى بالمقترين المراميا
فأكرم أخاك الدَّهر ما دمتما معاً كفى بالممات فرقةً وتنائيا

وقال الراجز:

إنَّ فراخاً كفراخ الأوكر بأرض بغداد وراء الأجسر

تركتهم كبيرهم كالأصغر **عجزاً عن الحيلة والتَّشمر**
ذكري لديهم مثل طعم السُّكَّر **ووجدهم بي مثل وجد الأعور**
بعينه إذ ذهبت لم يبصر

التشمر: الاكتساب، شمرت لأهلي: أي اكتسبت لهم، وتشَّمر الشجر إذا أورق.

قال أبو الفتح البستيّ:

لئن تنقَّلت من دارٍ إلى دارٍ **وصرت بعد ثواءٍ رهن أسفار**
فالحرُّ حرٌ عزيز النَّفس حيث ثوى **والشَّمس في كلِّ برج ذات أنوار**

وقال غيره:

كفى حزناً أنِّي مقيمٌ ببلدةٍ **وأنت بأخرى ما إليك سبيل**

خرج الشافعي الفقيه رضي الله عنه في بعض أسفاره، فضمَّه الليل إلى مسجدٍ،فبات فيه،وإذا في المسجد قوم عوامّ يتحدثون بضروب من الخنا وهجر المنطق، فتمثل:

وأنزلني طول النَّوى دار غربةٍ **إذا شئت لاقيت امرءاً لا أشاكله**

قال شريك:كان يقال: إن أنجى النَّاس من البلايا والفتن، من انتقل من بلدٍ إلى بلد.

قيل لبعضهم :أيُّ سفرٍ أطول؟ فقال: من كان في طلب صاحبٍ يرضاه، أودرهم حلالٍ يكسبه.

قال حاتم الطَّائي:

إذا لزم النَّاس البيوت وجدتهم **عماةً عن الأخبار خرق المكاسب**

قال محمد بن أبي حازم الباهلي:

كم المقام وكم تعتافك العلل **ما ضاقت الأرض في الدُّنيا ولا السُّبل**
فارحل فإنّ بلاد الله ما خلقت **إلا ليسلك منها السَّهل والجبل**
إن ضاق لي بلدٌ يّممت لي بلداً **وإن نبا منزلٌ بي، كان لي بدل**
وإن تغيَّر لي عن ودِّه رجلٌ **أصفى المودَّة لي من بعده رجل**
لم يقطع الله لي من صاحب أملا **إلاّ تجدَّد لي من صاحبٍ أمل**
الله قد عوَّد الحسنى فما برحت **منه لنا نعمٌ تترى وتتَّصل**

يمسي ويصبح بي عـمـرٌ أدافـعـه … برزق ربِّي حـتـى ينـفـد الأجـل

وقال بعض المتأخرين من المغاربة،وتنسب إلى المتنبي، ولا تصح له:

رأيت المقام على الإقـتـصـاد … قنوعـاً بـه ذلَّةً لـلـعـبـاد

وعجـزٌ بـذي أدبٍ أن يضـيق … به عيشه وسع هـذي الـبـلاد

وماغـرب الـرِّزق عـن رائدٍ … ولا سيمـا حـسـن الإرتـيـاد

إذا ما الأديب ارتضى بالخمـول … فلاحظَّ في الأدب المستـفـاد

وفي الإضطراب وفي الإغتراب … منال المنى وبلـوغ الـمـراد

وشرُّ الضَّراغـم ضـرغـامةٌ … طوى شبله وهو في الغيل هاد

وإن صارمٌ قـرَّ فـي غـمـده … حوى غيره الفضل يوم الجـلاد

ولو يستوي بالنُّهوض القـعـود … لما ذكر الله فضل الـجـهـاد

إذا النَّار ضاق بـهـا زنـدهـا … ففسحتها في فـراق الـزِّنـاد

فدع موطناً واغد مسـتـرزقـاً … كذا الرِّزق غادٍ إلى كـلِّ غـاد

ولا تفن عمرك خوف الفـراق … لبيضٍ ملاح وسـمـرٍ خـرادً

يطلن البكا عند شحط الـنَّـوى … ويأسين كلَّ الأسى في البـعـاد

فكم ترحةٍ مـن أسـى فـرقةٍ … تعود سروراً بحسن الـمـعـاد

إلى كم تحمَّل ضيق المـعـاش … وتصبر والصَّبر صعب القـيـاد

على حالةٍ فوتـهـا خـيرهـا … وضيق المعيشة سقم الـفـؤاد

بلا حـاسـدٍ لـي ولا حـامـدٍ … قليلة خيرٍ كـمـاء الـثِّـمـاد

فلا شرَّ منِّي يخـاف الـعـدو | ولا خير يرجوه أهـل الـوداد
جب الأرض شرقاً وجب غربها | إلى كـلِّ فـجٍ عـمـيقٍ وواد
عساك تنال الغنـى أو تـمـوت | وعذرك في ذاك للنَّـاس بـاد
فإن يكن الفقر حتمـاً عـلـيك | فكابده في غـير نـاديك نـاد
فللموت أهون من أن تراك | بعين الخساسة عين الأعادي
فإن لم تنل مطلبـاً رمـتـه | فليس عليك سوى الإجتهاد

وقال آخر:?

مامن غريبٍ وإن أبدى تجلَّده | إلاَّ سيذكر بعد الغربة الوطنا

وقال عبيد بن الأبرص:

وكـلُّ ذي غـيبةٍ يؤوب | وغائب الموت لا يؤوب

باب التحول عن مواطن الذل

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه" قالوا: يا رسول الله وكيف يذل نفسه? قال: "يتعرض من البلاء لما لا يطيق".

قال أوس بن حجر:

?أقيم بدار الحزم ما دام حزمها | وأحر إذا حالت بأن أتـحـوَّلا

وقال المتلمّس:???

إنَّ الهوان حمار البيت يألفه | والحرُّ ينكره والفيل والأسد

?ولا يقيم بدار الذُّلِّ يألفها=إلاَّ الذَّ ليلان عير الحيِّ والوتد

هذا على الخسف مربوطٌ برمَّته | وذا يشجُّ فما يأوي لـه أحـد

وقال مالك بن الرَّيب:

فإن تنصفونا آل مروان نقـتـرب | إلـيكـم وإلاَّفـأذنـوا بـبـعـاد
ففي الأرض عن دار المذلَّة مذهبٌ | وكلُّ بلادٍ أوطـنـت كـبـلادي

وقال المغيرة بن حبناء:

ومثلى إذا ما الدَّار يوماً نبت به | تحوَّل عنها واستمرَّت مرائره

ولا أنزل الدَّار المقيم بها الأذى ... ولا أرأم الشّيء الَّذي أنا قادره
إذا أنت لم ترغب بدارٍ نزلتهـا ... فبعها بدار أو بجارٍ تجـاوره

أنشد أبو عبيد عن الأصمعي:?

إذا كنت في دارٍ يهينك أهلها ... ولم تك مكبولاً بها فتحـوَّل

وقال الزبير بن عبد المطلب:?

ولا أقـيم بـدارٍ لا أشـدُّ بـهـــا ... صوتي إذا ما اعترتني سورة الغضب

وقال آخر:

لا تأسفنَّ على خلٍّ تـفـارقـه ... إنَّ الأقاصي قد تدنو فتأتـلـف
في النَّاس متبدلٌ والأرض واسعةٌ ... فيها مجالٌ لذي لبٍّ ومنصـرف

وقال قيس بن الخطيم:?

ومابعض الإقامة في ديارٍ ... يعيش بها الفتى إلاَّ بلاء

وقال المغيرة بن حنباء:

وفي الدّهر والأيَّام للـمـرء عـبـرةٌ ... وفي الأرض عن دار الأذى مترحرح

وقال معن بن أوس:

وفي النَّاس إن رثَّت حبالك واصـلٌ ... وفي الأرض عن دار القلى متحوَّل

وقال عبد الصمد بن المعذل ، ويروى لغيره:

إذا وطنٌ رابني ... فكلُّ بلادٍ وطن

وقال أبو العتاهية:

من عاش قضَّى كثيراً من لبانتـه ... وللمضايق أبوابٌ من الـفـرج
من ضاق عنك فأرض الله واسعةٌ ... في كلِّ وجه مضيقٍ وجه منفرج

وقال الحسين بن الضحاك ، أو أبو العتاهية :

همٌّ تقاذفت الخطوب بها ... فهرعن من بلد إلى بلد

وقال آخر:

وفي الأرض عمَّن لايواتيك مرحل

وقال حبيب بن أوس الطائي :

وطول مقام المرء في الحيِّ مخلقٌ لديباجتيه فاغـتـرب تـتـجـدَّد
فإني رأيت الشَّمس زيدت محـبَّةً إلى النَّاس إذ ليست عليهم بسرمد

وقال ابن المعتز:

رأيت حياة المرء ترخص قدره فإن مات أغلته المنايا الطَّوائح
كما يخلق الثوب الجديد ابتذالـه كذا تخلق المرء العيون اللَّوامح

وقالأ أبوالفتح البستي:

وطول الماء في مستقـرِّه يغيِّره لوناً وريحاً ومطعما

و قال أبو الفتح الشدوني:

إذا ما الحرُّ هان بأرض قـومٍ فليس عليه في هربٍ جناـح
وقد هنَّا بأرضكـم وصـرنـا لقى في الأرض تذروه الرِّياح

وقال محمود الوراق:

وإذا نبا بي منزلٌ لا يرتضي جاوزته واخترت منه منزلا

وقال آخر:

وإذا الدِّيار تنكَّرت عن حالها فدع الدِّيار وأسرع التَّحويلا
ليس المقام عليك حقاً واجباً في منزلٍ يدع العزيز ذليلا

وقال بشار بن برد:

وكنت إذا ضاقت عليّ محلةٌ تيمَّمت أخرى ما عليّ تضيق
وماخاب بين الله والنَّاس عـامـلٌ له في التّقى أو في المحامد سوق
ولا ضاق فضل الله عن متعفّـفٍ ولكنَّ أخلاق الرِّجـال تـضـيق

وقال آخر: ?إذا كنت في دارٍ وحاولت رحلةٍ=فدعها وفيها إن رجعت معاد وقال آخر:

خلِّط فهذا زمانٌ فيه تـخـلـيط والنَّاس صنفان محرومٌ ومغبوط

ولا تقم ببلادٍ لا انتـفـاع بـهـا   فالأرض واسعةٌ والرِّزق مبسوط
ولا تكن غرَّةًٍترضى بغير رضىً   فإنَّ رزقك عند الله مخـطـوط

وقال جواس الكلبي:

وإذا العلج أغلق البـاب دونـي   لم يحرِّم على متـن الـطّـريق
وكفاني جفـاء مـن يزدرينـي   قطعي الخرق بالمروخ الحروق

وقال آخر:

اصبر على حدث الزَّمان فإنَّما   فرج الشَّدائد مثل حلِّ عقـال
وإذا خشيت تعذُّراً في بـلـدةٍ   فاشدد يديك بعاجل التِّرحـال
إنَّ المقام على الهوان مـذلَّةٌ   والعجز أضعف حيلة المحتال

وقال يحيى بن حكم الغزال:

وإنَّ مقامي شطر يومٍ بـمـنـزلٍ   أخاف على نفسي به لـكـثـير
وقد يهرب الإنسان من خيفة الردى   فيدركه ما خـاف حـيث يسـير

وقال المتنبي:

إذا لم أجد في بلدةٍ مـا أريده   فعندي لأخرى عزمةٌ وركاب

وقال أبو عثمان العروضي في مهموزته:

إنَّ الفتى كلَّ الفتى من رأى   هوانه أقبـح مـا قـد رأى
اهرب عن الذُّلِّ وعجِّل فمـا   أقربه من كلِّ من أبـطـآ
لو جرحت رأسي يدا منصفٍ   لما تـمـنَّـيت بـأن أبـرآ

ولي حين رحلت من إشبيلية:

وقـائلةٍ مـالـي أراك مـرحّــلاً   فقلت لها:صه واسمعي القول مجملا
تنكَّر من كـنَّـا نـسـرُّ بـقـربـه   وعاد زعافاً بعدما كان سـلـسـلا

وحقَّ لجـارٍ لـم يوافـقـه جـاره ولا لاء متـه الـدَّار أن يتـرحَّـلا
بليت بخفضٍ والـمـقـام بـبـلـدةٍ طويلاً لعمري مخلقٌ يورث الـبـلا
إذا هان حرٌ عـنـد قـومٍ أتـاهـم ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجـهـلا
ولم تضرب الأمـثـال إلاَّ لـعـالـمٍ ولا عوتب الإنسـان إلاَّ لـيعـقـلا

وقال ابن حازم، أو ابن بسام:

وإن نبا منزلٌ بـحـرٍّ فمن مكانٍ إلى مكـان
لا يلبث الحرُّ في مكانٍ ينسب فيه إلى هـوان
الحرُّ حرٌّ وإن تعـدَّت عليه يوماً يد الزَّمـان
والنَّذل نذلٌ وإن تكنَّى وصار ذا منطقٍ وشان
فاسترزق الله واستعنه فإنَّه خير مستـعـان

وقال أبو الفتح:

متى رفضتني دار قومٍ تركتها وإن لم يكن منها ومن أهلها بد

وقال حبيب:

لا يمنعنَّك خفض العيش في دعةٍ نزوع نفسٍ إلى أهلٍ وأوطـان
تلقى بكلِّ بلادٍ إن نزلت بـهـا أهلاً بأهل وإخوانـاً بـإخـوان

وقال ابن أبي حبيش:

يا نازلاً ببـطـلـيوسٍ إذا ظـفـرت يوماً يداك بيوم البـين فـاسـتـبـق
ولا تقـم بـبـلادٍ لا يعـاد بـهـا ال مرضى وعجِّل على ما فيك من رمق
إنَّ المـقـام بـأرضٍ لا يزار بـهـا ولا يعاد أخو الشَّكوى من الحـمـق

باب التَّوديع والفراق

ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب في مسيره إلى العمرة،فقال:"يا أخي لا تنسنا من دعائك".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع إخوانه،فإن الله جاعل له في دعائهم بركة".
وكان عبد الله بن عمر إذا ودع رجلا يقول:استودع الله دينك، وأمانتك، وخواتم عملك.
قال الشعبي: السُّنة إذا قدم رجل من سفر، أن يأتيه إخوانه فيسلّموا عليه، إذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم ويغتنم دعائهم.
ودع شعبة بن الحجّاج رجلا خارجاً إلى الحج فقال له :أما إنَّك إن لم تعدَّ الحلم ذلاً، ولا السّفه شرفاً،

سلم حجُّك.

ودع عبد الله بن المبارك رجلا، فقال:

ونحن نادي أنّ فرقة بيننـا فراق حياةٍ لا فراق ممات

وقال إبراهيم الموصلي:

تقضَّت لباناتٌ وجـدّ رحـيل ويشف من أهل الصَّفاء غليل
ومدَّت أكفٌ للوداع تصافحـت وكادت عيونٌ للفراق تسـيل
ولا بد للإلفين مـن ذمٍّ لـوعةٍ إذا ماالخليل بان عنه خـلـيل
فكم من دمٍ قد طلّ يوم تحمَّلت أوانس لا يودى لهنّ قـتـيل
غداة جعلت الصَّبر شيئاً نسيته وأعولت لو أجدى عليك عويل

وقال محمد بن مقسم، أنشده له ابنه أبو الحسن أحمد بن مقسم:

فراق الأحـبَّة داءٌ دخـيلٌ ويوم الرَّحيل لنفسٍ رحيل
سمعت ببينك فاعتـادنـي غليلٌ بقلبي وحزنٌ طويل
أهذا ولم يك يوم الـفـراق فإن كان لا كان زاد الغليل
وأيقنت أنِّي بـه تـالـفٌ ما قد وصفت عليه دلـيل
حياة الخليل حضور الخليل ويفنى إذا غاب عنه الخليل

وقال آخر:

بكت عيني غداة البين حزناً والأخرى بالبكا بخلت علينا
فجازيت التي جادت بدمـع بأن أقررتها بالوصل عينا
وجازيت التي جادت بدمع بأن غمّضتها يوم التقـينـا

وقال الزبير بن بكار:شيعني إسحاق بن إبراهيم و قال:

فراقك مثل فراق وفقدك مثل افتقاد

عليك السَّلام فكم من وفاءٍ أفارق منك وكم من كرم
الحـياة الـدّيم

وقال آخر:

ودّع أحبابه فمـا وقـفـوا ولا على ذي صبابةٍ عطفوا
كم كبدٍ قطعـوا بـينـهـم وكم دموعٍ عليهم تـلـف
كأنَّهم لـم يجـاوروك ولـم تعرفهم والوصال مؤتلـف

وقال آخر:

لم أنس يوم الرَّحيل موقفها وطرفها في دموعها غرق
وقولها والرِّكـاب واقـفةٌ تركتني هكذا وتنطـلـق

وقال آخر:?

ليس شيءٌ من الفراق وإن كا ن أخو الوجد والهاً كلـفـا
أحرق من وقفة المشيِّع للقل ب يريد الرُّجوع منصرفـا

وقال آخر:

أقول له حين ودَّعـتـه وكلٌّ بعشرته مبـلـس
لئن رجعت عنك أجسامنا لقد سافرت معك الأنفس

وقال آخر:???

من يكن يكره الفراق فإنِّي أشتهيه لموضع التَّسلـيم
إنَّ فيه اعتـنـاقةً لـوداعٍ وانتظار اعتناقةٍ لـقـدوم

وقال آخر:

صاح الغراب بوشك البين فارتحلوا وقرَّبوا العيس قبل الصُّبح واحتملوا
وغادروا القلب ما تهدا لواعـجـه كأنَّه بضرام النَّـار مـشـتـعـل
وفي الجوانح نار الحبِّ تقـذفـهـا أيدي النّوى بزناد الشَّوق إذ رحلوا
لمَّا أناخوا قبيل الصّبـح ورحَّلوها وسارت

عـيرهـم ... بالدُّمـى الإبـل

وقلَّبت من خلال السُّجف ناظرها ... ترنو إليَّ ودمع العين منهـمـل

وودّعت ببـنـان عـقـده عـنـمٌ ... ناديت: لا حملت رجلاك يا جمـل

ويحيى من البين ماذا حلَّ بي وبهم ... من نازل البين حلَّ البين وارتحلوا

يا راحل العيس عرِّج كي نودِّعهـم ... يا راحل العيس في ترحالك الأجل

إنِّي على العهد لم أنقض مودّتهـم ... يا ليت شعري لطول البين ما فعلوا

أنشدني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله، قال أنشدني أبو بكر بن محمد ابن عبد الله بن الصَّيدلاني، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل الأخفش:

سقياً ورعياً وإيماناً ومغفـرةً ... للباكيات علينا حين نرتحـل

يبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ ... أنحن أغلظ أكباداً أم الإبـل

وقال آخر:

أحجَّاج بيت الله فـي أيِّ هـودجٍ ... وفي أيِّ خدرٍ من خدوركم قلبـي

أأبقى نحيل الجسم في أرض غربةٍ ... وحاديكم يحدو بقلبي مع الرَّكـب

وقال عمر بن أبي ربيعة:

هاج القريض الذِّكر ... لمَّا غدوا فانشمروا

على بغالٍ شـحَّـجٍ ... قد ضمَّهنَّ السَّفـر

فيـهنَّ هندٌ ليتنـي ... ما عمِّرت أعمَّر

حتَّى إذا ما جاءها ... حتفٌ أتاني القدر

وقال آخر:

أيا عجباً ممَّـن يودِّع إلـفـه ... يمدَّ يداً نحو الفراق فيسـرع

هممت بتوديع الحبيب فلم أطق ... فودَّعته بالقلب والعين تدمـع

وينظر إليه في قول الآخر:

ودَّعها طرفي فقالت له ... بالدَّمع أستودعك اللـه

وقال حبيب

مااليوم أوَّل توديعي ولا ... البين أكثر من شوقي

الثَّـانـي وأحزانـي
حسب الفراق بأنَّ الدَّهر ساعـدم فصار أملك من روحي بجثماني
ومـاأظنُّ النَّوى يرضى بما صنعت حتَّى تشافه بي أقصى خرسـان

وقال آخر:

أهدى إليه سفرجلاً فتـطـيَّرا منه وظلّ مفكِّراً مستعـبـراً
خوف الفراق لأنَّ شطر هجائه سفرٌ وحقَّ له بأن يتـطـيَّرا

وقال آخر:

أقيم وتظعنين وأنت روحـي وهل جسدٌ يعيش بغير روح
لئن كان الفراق غداً فـإنِّـي سأحمل لا أشكُّ إلى ضريحي
تعالي بعد فرقتنا لنـبـكـي فإنِّي نائحٌ أبـداً فـنـوحـي

وقال أبو الشيص، وهو محمد بن عبد الله بن رزين:

مافرَّق الأحبـاب بـعـ د الـلـه إلاَّ الإبــل
والنَّاس يلحـون غـرا ب البين لمَّا جهـلـوا
وماعلى ظهـر غـرا ب البين تطوى الرِّحل
ولا إذا صـاح غـرا بٌ في الدِّيار ارتحلوا
وماغراب الـبـين إلاَّ ناقةٌ أو جـمـــل

أنشدنيها عبد الوارث عن قاسم عن أبي خيثمة لأبي الشِّيص.

وقال العلوي علي بن محمد:

ولقد نظرت إلى الفراق فلم أجد للموت لو فقد الفراق سبـيلا
ياساعة البين الطَّويل كـأنَّـمـا واصلت ساعات القيامة طولا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه:

لعمري لئن شطَّت بعثمة دارها لقد كدت من قبل الفراق أليح
أروح بهمٍّ ثم أغدو بمـثـلـه ويحسب أنِّي في الثِّياب صحيح

وقال حبيب:

يوم الفراق لقد خلقت لم تبق لي جلداً ولا

طويلا ... معقـولا

لو جاء مرتاد المنيَّة لم تجـد ... إلاَّ الفراق على النُّفوس دليلا

قالوا الرَّحيل فما شككت بأنَّها ... نفسي عن الدُّنيا تريد رحيلا

وهذا باب أكثر فيه أهل الظرف، فرأيت اختصاره،قال الحارث بن وعلة، وتنسب إلى العتّابي كلثوم بن عمرو،وهي أبيات كثيرة أولها:

ماغناء الحـذار والإشـفـاق ... وشآبيب دمعك الـمـهـراق

غرَّ من ظنَّ أن يفوت المنـايا ... وعراهـا قـلائد الأعـنـاق

ويد الحادثات رهـنٌ بـمـرَّا ... تٍ من العيش مصرَّات المذاق

كم صفيَّين متّعـا بـاتـفـاقٍ ... ثمَّ صارا من بعده لافـتـراق

قلت للفرقدين والَّلـيل مـلـقٍ ... سود أكنافه عـلـى الآفـاق

ابقيا ما بقيتما سـوف يرمـي ... بين شخصيكما بسهم الفـراق

هوِّني ذا عليك واقنـي حـياءً ... لست تبقين لي ولست بـبـاق

أيُّنا قدَّمت حـمـام الـمـنـايا ... فالَّذي أخَّرت سريع الّلحـاق

لا يدوم البقاز لـلـخـلـق ل ... كنَّ دوام البقـاء لـلـخـلاّق

إن قضى الله أن يكون تـلاقٍ ... بعد ما قد ترين كان التّلاقـي

وقال آخر، وهو نفطويه:

شيئان لو بكت الدِّماء عليهما ... عيناي حتَّى تؤذنا بذهـاب

لم يبلغا المعشار من حقّيهما ... فقد الشَّباب وفرقة الأحباب

وقال الغزال:

وإن رجائي في الإياب إليكـم ... وإن أنا أظهرت العزاء قصير

وإن كنت تبغين الوداع ... فدونك أحوالٌ أرى

فبالغي وشهـور

وقال آخر:

ليس الفراق وإن جزعت بضائرٍ ما لم تفرِّق بينـنـا الأخـلاق
إن لم يحل حدث المنيَّة بينـنـا فسنلتقي وسيحفظ الـمـيثـاق
والدَّهر يجمع بين كلِّ مفارقٍ ولكلِّ ملتقيين منه فـراق

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين:

مدَّت إلى البين أطرافاً مخضَّبةً لمَّا تولَّت وذاقت حرقة البين
وودَّعتني وما همَّت ولا نطقت وإنَّما ودّعت وحياً بعـيـنـين
بلى لقد أومأت نحوي بإصعبها إيماءةً ختلت عنها الرَّقيبـين

وقال آخر:

أتذكر إذا تودِّعنا سليمى بعود بشامةٍ سقى البشام

يريد: تشير إلينا بمسواكها مودعة.

وقال أبوعوانة: كنت أجالس أبا العتاهية فأراد الخروج إلى مكة فودعني وقال:

إن نعش نجتـمـع وإلاَّ فـمـا أشغل من مات عن جميع الأنام

قالت أعرابية لابن لها، وقد ودعته وهو يريد سفراً: امض مصاحباً مكلوءاً، لا أشمت الله بك عدواً، ولا أرى محبيك فيك سوءاً.

ودع أعرابي رجلا، فقال كبت الله لك كل عدوّ إلا نفسك، وجعل خير عملك، ما ولى أجلك. بيت قديم:

وكلُّ مصيبات الزَّمان وجدتـهـا سوى فرقة الأحباب هيِّنة الخطب

قال محمد بن عبد السلام الخشني:

كأن لم يكن بينٌ ولـم تـك فـرقةٌ إذا كان من بعد الـفـراق تـلاق
كأن لم تؤرَّق بالعراقين مقـلـتـي ولم تمرِ كفُّ الشَّـوق مـاء مـآق
ولم أزر الأعراب في خبت أرضهم بذات اللِّـوى مـن رامةٍ وبـراق
ولم أصطبح في البيد من قهوة النَّوى بكأسٍ سقانيهـا الـفـراق دهـاق

وقال آخر:

خليليّ إلاَّتبكيا لي أسـتـعـن — **خليلاً إذا أفنيت دمعي بكى ليا**
كأن لم تكن بينٌ إذا كان بعـده — **تلاق ولكن لا إخال تـلاقـيا**

قالوا: كم بين لوعة الفراق وفرح التلاق.

باب الزيارة والعيادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من زار أخاً له في الله،أو عاده، خاض الرحمة حتى يرجع وقال الله عز وجلّ له:طبت ممشاك وتبوأت من الجنَّة منزلا"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا أتاكم الزائر فأكرموه"وقال حاكياً عن الله عز وجل: "وجبت محبتي للمتزاورين فيّ والمتحابين فيّ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم،لأبي هريرة: "ياأباهريرة زرغبَّاً تزدد حبّاً".أخذه الشاعر فقال:

إذا شئت أن تقلى فزر متواتـراً — **وإن شئت أن تزداد حبَّاً فزد غبَّا**

أنشدني أبو عثمان سعيد بن سيد، لعبد الملك بن جهور الوزير:

وقد قال الرَّسول وكان بـرَّاً — **إذا زرت الحبيب عزره غبَّا**
وأقلل زور من تهواه تـزدد — **إذا ما زرته مـقةً وحـبَّـا**

ولعلي بن أبي طالب الكاتب:

إنِّي رأيتك لي محـبَّـاً — **وإليّ حين أغيب صبَّـا**
فهجـرت لا لـمـلالةٍ — **حدثت ولا استحدثت ذنبا**
إلاَّ لـقـول نـبـيِّنـا — **زوروا على الأيَّام غبَّا**
ولقوله من زار غـبَّـا — **منـكـم يزداد حـبَّـا**

قال خارجة بن زيد النحوي: دخلت على محمد بن سيرين بيته زائراً له،فوجدته جالساً بالأرض،فألقى إليّ وسادة،فقلت له:إني قد رضيت لنفسي مارضيت لنفسك.فقال: إني لا أرضى لك في بيتي ما أرضى لنفسي، واجلس حيث تؤمر، فلعل الرجل في بيته يكره أن تستقبله.

قال بشار:

لا تجعلن أحداً علـيك إذا — **أحببته وهـويتـه ربَّـا**
وصل الخليل إذا شغفت به — **واطو الزِّيارة دونه غبَّـا**
فلذاك خيرٌ من مواصـلةٍ — **ليست تزيدك عنده قربـا**
لكن يملُّك ثمَّ تدعو باسمـه — **فيقول:ها،وطالما لـبَّـى**

وقال آخر:

علـيك بـإقـلال الـزِّيارة إنَّـهـا — **تكون إذا ما دامت إلى الهجر مسلكا**
فإنِّي رأيت الـغـيث — **ويسأل بالأيدي إذا هـو**

يسـأم دائمـاً أمـسـكـا

قال قيس بن سعد بن عبادة: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً،فوقف ببابنا.

قال ابن المعتز:

وقفةٌ في الطَّريق نصف الزِّياره

وقال آخر:

وحظُّك زورةٌ في كلِّ عام موافقةٌ على ظهر الطَّريق

سلاماً خالياً مـن كـلِّ شـيءٍ يعود به الصَّديق على الصَّديق

كان يقال:امش ميلاً وعد عليلا، وامش ميلين وأصلح بين اثنين،وامش ثلاثة أميال، وزر في الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"كان فيمن قبلكم رجل يزور أخاً له في الله بقرية أخرى، فأرصد الله على مدرجه ملكا،فلما انتهى إليه قال له: أين تريد؟ قال:أريد قرية كذا. قال: وما حاجتك فيها؟ قال: زيارة أخ لي في الله.قال:وهل غيرذلك؟ قال: لا قال:فهل عليك من نعمة تربيها، أو تشكرها؟ قال: لا ،إلا أنه أحبني في الله فأحببته فيه. قال: فإني رسول الله إليك، مخبرك أنه يحبك كما أحببت فيه".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور،ثم أذن لي فيها فزوروها فإنها تذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً".

كان سفيان بن عيينة يقول:لا تعمل الأقدام في الزيارة إلاّ إلى أقدارها، وينشد:

فضع الزِّيارة حيث لا يزرى بها كرم المزور ولا يعاب الزَّائر

وقال العباس بن الأحنف:

يقرِّب الشَّوق داراً وهي نـازحةٌ من عالج الشَّوق لم يستبعد الدَّارا

أزوركم لا أكافئكم بجفـوتـكـم إنَّ المحبَّ إذا لم يستـزر زارا

وقال الأحوص:

وماكنت زوَّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يزر لا بدَّ أن سـيزور

أزور على أن لست أفقد كلَّما أتيت عدوَّاً بالبـنـان يشـير

وقال آخر:

فإنَّي لزوَّارٌ لمن لا إذا لم يكن في ودِّه

يزورني بمريب

ومستقربٌ دار الحبيب وإن نأت **وما دار من أبغضته بقريب**

وقال آخر:

رأيت تباعد الإخوان قرباً **إذا اشتملت على الودِّ القلوب**

وليس يواصل الإلمام إلاَّ **ضنينٌ في مودَّته مريب**

وقال إبراهيم بن العباس الصولي:

دنت بأناسٍ من تناءٍ زيارةٌ **وشطَّ بليلى عن دنوٍ مزارها**

وإنَّ مقيماتٍ بمنقطع اللِّوى **لأقرب من ليلى وهاتيك دارها**

وأما قول قرم بن مالك:

علام إوايم البخلاء فيها **فأقعد لا أزور ولا أزار**

قال بعضهم:إن معناه علام أستوحش من الناس، وتأول من ذهب هذا المذهب في قول العرب: لولا الأوام هلك الأنام، أي لولا أنس الناس بعضهم ببعض لهلكوا إذا عمتهم الوحشة. وقال آخرون:في قولهم: لولا الأوام هلك الأنام، أي لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه صنع خيراً تشبه به لهلك الناس، ولبعض أهل العصر:

أزور خليلي ما بدا لي هشُّه **وقابلني منه البشاشة والبشر**

فإن لم يكن هشٌ وبشٌ تركته **ولو كان في اللُّقيا الولاية واليسر**

وحقُّ الذي ينتاب داري زائراً **طعامٌ وبرٌ قد تقدَّمه بشر**

باب العيادة أيضاً

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"عائد المريض في مخرفة الجنة".

وقال عليه السلام:"عائد المريض يخوض الرحمة،فإذا قعد عنده غمرته".

قال مالك: أو نحو هذا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من حقِّ المسلم على المسلم أن يسلِّم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض ويشمِّته إذا عطس، ويشيِّع جنازته إذا مات ويجيبه لطعامه إذا دعاه".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أفضل العيادة أخفُّها".

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة قال:حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن الحجاج -يعني بن أرطاة- عن المنهال عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عبّاس، قال: "من دخل على مريضٍ لم تحضر وفاته، فقال: أسأل الله العظيم، ربَّ العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات شفي".

قال الشاعر:

?إن كنت في ترك العيادة تاركاً **حظِّي فإنِّي في الدُّعاء لجاهد**

ولربَّما ترك العيادة **وأتى على غلِّ الضّمير**

مـشـفـقٌ الحاسد

وقال آخر:

إذامرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذرـ

وقال عبد الله بن مصعب الزبيري:

مالي مرضت فلم يعدني عائدٌ منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمي عائد الكلب.

ولجعفر بن حذار الكاتب:

?إنَّ العيادة يومٌ بـين يومـين واقعد قليلاً كلحظ العين بالعين

لا تبرمنَّ مريضاً في عيادته يكفيك من ذاك تسآلٌ بحرفين

وللشافعي الفقيه رضي الله عنه وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض إخوانه، فلمسوا جبينه، وقالوا له: أنت بخير ونحو هذا، فقال:

أقول لعائديَّ وشجَّعونـي وغرَّهم فتور حمى جبيني

تعزَّوا بالتَّصبُّر عن أخيكم فضجُّوا بالبكاء وودّعوني

فلم أدع الأنين لقلِّ سقمـي ولكنِّي ضعفت عن الأنين

سأصبر للحمام وقد أتانـي وإلاَّ فهو آتٍ بعـد حـين

وإن أسلم يمت قبلي حبيبٌ وموت أحبَّتي قبلي يسوني

قال المدائني:سقط عبد الله بن شبرمة القاضي عن دابته، فوثئت رجله، فدخل عليه يحيى بن نوفل الشاعر عائداً له ومادحاً، وكان جاره فأنشده:

أقول غداة أتانا الـخـبـير ود سَّ أحاديثه هـينـمـه

لك الويل من مخبرٍ ماتقول? أبن لي وعدِّ عن الجمجمه

فقال خرجت وقاضي القضا ة منفكَّةٌ رجله مـؤلـمـه

فقلت وضاقت عليَّ البـلاد وخفت المجلِّة المعظمـه

فغزوان حـرٌّ وأمُّ الـولـيد إن الله عافى أبا شبـرمـه
جزاءً لمعروفه عـنـدنـا وما عتق عبدٍ لـه أو أمـه

قال: وفي المجلس جارٌ ليحيى بن نوفل يعرف ما في منزله، فلما خرج تبعه، فقال له: ياأبا معمر! رحمك الله من غزوان وأمّ الوليد؟ قال: سنَّوران في البيت فاستر عليّ.

باب الحجاب

قال رسول الله صلىّ الله عليه وسلِّم :"من ولي من أمور النَّاس شيئاً فاحتجب عن حاجتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حاجته، وخلّته وفاقته".
وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: "من رفع حاجة ضعيفٍ إلى ذي سلطان لا يستطيع رفعها، ثبَّت الله قدميه على الصِّراطِ يوم القيامة".
حجب معاوية أبا الدّرداء يوماً وحبسه عند بابه، فقيل له: يا أبا الدرداء! ويفعل هذا بك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم? فقال: من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد.
قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي: ?دخلت على معاوية بن صخر=على حين يئست من الدّخول

وما نلت الدُّخول عليه حتّـى حللت محلّة الرّجل الذَّلـيل
وأغضيت الجفون على قذاها ولم أنظر إلى قـالٍ وقـيل
فأدركت الّذي أمّلت مـنـه بمكثٍ والخطا زاد العجول

حجب أعرابيٌّ عند باب سلطان فقال:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهـم ولن يكرم النّفس الّذي لا يهينها

حدثني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبيد الله الصَّيدلاني، قال :حدثنا عليُّ بن سليمان الأخفش، قال: أنشدني بعض أصحابنا:

في كلِّ يومٍ لي ببابك وقفةٌ أطوى إليها سائر الأبواب
فإذا جلست وغبت عنك فإنّه ذنبٌ عقوبته على البـوّاب

استأذن أبو سفيان على عثمان رضي الله عنه، فأبطأ إذنه، فقيل حجبك أمير المؤمنين ? فقال: لا عدمت من قومي من إذا شاء حجب.
قال معاوية لحضين بن المنذر: يا أبا ساسان كأنك لا تحسن إذنك- فأنشأ يقول:

كلُّ خفيف الرّأي يمشي مشِّمراً إذا فتح البواب بابك إصبـعـا
ونحن الجلوس الماكثون رزانةً وحلماً إلى أن يفتح الباب أجمعا

قال زياد لحاجبه: يا عجلان! إنّي ولّيتك ما وراء بابي، وعزلتك عن أربعة:طارق الليل فشرٌ ما جاء به، وخبر رسول صاحب

الثغر فإنّه إن تأخر ساعة أبطل عمل سنة، وهذا المنادي الصّلاة وصاحب الطعام فإنَّ الطَّعام إذا أعيد عليه التَّسخين فسد.
قال مروان لابنه عبد العزيز -حين ولاّه مصر- يا بنيّ مر حاجبك يخبرك من حضر بابك كلّ يوم، فتكون أنت تأذن وتحجب، وآنس من دخل عليك بالحديث فينبسط إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك الأمر، فإنّك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها.
كان يقال: لا تقم على باب حتى تدعى إليه.
أقام رجل على باب كسرى سنة، فلم يؤذن له، فقال له الحاجب: اكتب كتاباً وخفّفه أوصله لك. فقال: لا أزيد على أربعة أسطر، فكتب في السطر الأول: الأمل والضرورة أقدماني عليك، وفي السطر الثاني: ليس مع العدم صبر على الطلب، وفي السطر الثالث: الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء وفي السطر الرابع: إما نعم مثمرة، وإما لا موئسة. فوقع كسرى تحت كل سطر بأربعة آلاف درهم، فانصرف بستة عشر ألف درهم.
قال أشجع بن عمر السُّلمي، في باب محمد بن منصور بن زياد:

على باب ابن منصورٍ علاماتٌ من البـذل
جماعاتٌ وحسب البـا ب فضلا كثرة الأهل

وقال بشار بن برد:

يسقط الطَّير حيث ينتثر الحبُّ وتغشى منازل الكـرمـاء

وقال حبيب:

إنّ السّماء ترجَّى حين تحتجب

وقال آخر:

يزدحم النَّاس عـلـى بـابـه والمشرب العذب كثير الزِّحام

وقال عبيد الله بن عكراش:

وإنّي لأرثي للكـريم إذا غـدا على طمعٍ عند الَّلئيم يطالـبـه
وأرثي له من وقفةٍ عند بـابـه كمرثيتي للطِّرف والعلج راكبه

كتب رجل إلى عبد الله بن طاهر:

إذا كان الجواد له حـجـابٌ فما فضل الجواد على البخيل

فأجابه عبد الله بن طاهر:

إذا كان الجواد قليل مالٍ ولم يعذر تعلَّل بالحجاب

وقال البحتري:

أتيتك لَّلتسليم لا أنَّني امرؤٌ طلبت بإتيانك أسباب نائلك
فألفيت بوَّاباً ببابك مغرماً بهدم الّذي أوطأته من فضائلك
وقد قيل قدماً حاجب المرء عاملٌ على عرضه فاحذر جناية عاملك
وكن عالماً أن لست من بعد راجعاً إليك ولو كان الهدى من رسائلك

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى عمر بن عبد العزيز:

يا عمر بن عمر بن الخطّاب إن وقوف الحرِّ عند الأبواب
يدفعه البوَّاب بعد البواب يعدل عند الحرّ قلع الأنياب

قال بعض الأكاسرة لحاجبه: لا تحجب عني أحداً إذا أخذت مجلسي،فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث:عيٌ يكره أن يطلع عليه، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله، أو ريبة.

وقد نظم هذا كله محمود الوراق فقال:

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه وردّ ذوي الحاجات دون حجابه
ظننت به إحدى ثلاثٍ وربّما نزعت بظنٍّ واقعٍ بصوابه
فقلت به مسٌ من العيِّ قاطعٌ ففي إذنه للنّاس إظهار ما به
فإن لم يك عيُّ اللسان فغالبٌ من البخل يحمي ماله عن طلابه
فإن لم يكن هذا ولا ذا فريبةٌ يصرُّ عليها عند إغلاق بابه

وله أيضاً:

لولا مقارفة الرِّيب ما كنت مّمن يحتجب
أو لا فعيٌ فيك أو بخلٌ على أهل الطَّلب
فاكشف لنا وجه العتاب و لا تبال من عتب

وقد جمع منصور الفقيه هذا المعنى في أقل نظم، فقال:

وطول الحجاب مخبِّرٌ عن عيِّ صاحبه وبخله
فإذا الفتى لم يستبن هذا تبيّن ضعف عقله

وأرفع من هذا قول زهير:

السِّتر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر

قصد إبراهيم بن المهدي بن يحيى بن خالد فحجبه، فكتب إليه إبراهيم:

إني أتيتك للسّـلام ولـم أنقل إليك لحاجةٍ رجلي
فحجبت دونك مرّتين وقد تشتدّ واحدةٌ على مثلـي

وقال آخر:

سأتـرك بـابـاً تـمـلـك إذنـه وإن كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بوّاب الجنان تركـتـهـا وحوّلت رجلي مسرعاً نحو مالـك

وقال محمود الوراق:

سأترك هذا الباب ما دام إذنـه كعهدي به حتّى يخفَّ قـلـيلا
وما خاب من لم يأته متعـمِّـدا ولا فاز من قد نال منه وصولا
وما جعلت أرزاقنا بيد امـرئٍ حمى بابه من أن ينال دخـولا
إذا لم أجد يوماً إلى الإذن سلّماً وجدت إلى ترك المجيء سبيلا

وقال آخر:

على أيِّ بابٍ أطلب الإذن بعدما حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

وفي معنى هذا قول الفرزدق:

وكان يجير النّاس من سيف مالكٍ فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

وقال آخر:

ولست بمتّخذٍ صاحـبـاً يقيم على بابه حاجبـا
ويلزم إخوانـه حـقَّـه وليس يرى حقّهم واجبا

وقال أبو تمام:

هشٌّ إذا نزل الوفود ببابـه سهل الحجاب مهذّب الخدّام
وإذا رأيت صديقه وشقيقـه لم تدر أيُّهما أخو الأرحـام

وقال أبو العتاهية في عمرو بن مسعدة:

ما لك قد حلت عن وفائك واس تبدلت يا عمرو شيمة كـدره
ما لي في حاجةٍ إلـيك تسهيل إذني فإنهـا

سـوى عـسـره

إنّي إذ ا الباب تاه صـاحـبـه لم يك عندي لتركه نـظـره

لستم ترجَّون للـحـسـاب ولا يوم تكون السَّماء منفـطـره

لكن لدنيا تكون بهـجـتـهـا سريعة الإنقضاء منشـمـره

قد كان وجهي لديك مـعـرفـةً فاليوم أضحى باباً من النكـرة

كتب أبو مسهر إلى أبي جعفر محمد بن عبدكان، وكان قد حجب على بابه:

إني أتيتك للسَّلام أمـس فـلـم تأذن عليك لي الأستار والحجب

وقد علمت بأنـي لـم أردَّ ولا والله ما ردّ إلاَّ الحديث والأدب

فأجابه محمد بن عبد كان:

لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما قال ابن أوسٍ ففي أشعـاره أدب

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً إنّ السَّماء ترجّى حين تحتجـب

وقال منصور الفقيه:

إن الحجاب عـذابٌ وليس لي بالعـذاب

كلاَّ فلا تعذلـونـي على اتَّصال اجتنابي

وله أيضاً:

إذا كان لا بدَّ مـن حـجـبةٍ ومن حاجبٍ فاجعلوه رفيقا

يخاطب من جاءه بالجمـيل فيأتي صديقاً ويمضي صديقا

باب المصافحة وتقبيل اليد والفم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:"تصافحوا يذهب الغلّ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم": إذا التقى المسلمان وتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحاتُّ الشَّجر".

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا صافح رجلاً لم ينزع يده من يده حتى يكون الرّجل هو الذي ينزع يده من يده.

قال أبو مخلد: المصافحة تجلب المحبة.

كان يقال: تحية المؤمنين المصافحة والسَّلام.

قال الشّاعر:

قد يمكث النّاس دهراً ليس بينهم ودٌّ فيزرعه التَّسليم واللُّطـف

لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة، وأرادوا النزول على حكم سعد بن معاذ وكان قد تخلف بالمدينة لجرح أصابه بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم عليه قال للأنصار:"قوموا إلى سيّدكم".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من سرّه أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار".
ومذهب الحديثين أنه جائز للرجل أن يكرم القاصد إليه إذا كان كريم القوم، أو عالمهم، أو من يستحقّ البرّ منهم بالقيام إليه أو يرضى بذلك منهم.
قال ابن المسيّب البغدادي جار ابن الرومي:

أقوم وما بي أن أقوم مذلةٌ ... عليّ وإنّي للكرام مذلَّـل
على أنَّها منِّي لغيرك هجنةٌ ... ولكنَّها بيني وبينك تجمـل

كان يقال: تقبيل اليد إحدى السجدتين.
تناول أبو عبيدة بن الجراح يد عمر ليقبِّلها، فقبضها، فتناول رجله فقال: ما رضيت منك بتلك فكيف بهذه.!! دخل عقَّال بن شبَّة على هشام بن عبد الملك، فأراد أن يقبِّل يده فقبضها، وقال: مه فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هلوع، ومن العجم إلا خضوع.
قال الحسن: قبلة يد الإمام العدل طاعة.
كان يقال:قبلة الرّجل زوجته الفم، وقبلة الوالد ولده الرأس، وقبلة الأمِّ الولد الخدَّ، وقبلة الأخت الأخ العنق.
قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:قبلة الوالد عبادة، وقبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة وقبلة الرجل أخاه دين.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"العينان تزنيان وزناهما النظر ،و الفم يزني وزناؤه القبل، واليد تزني وزناؤهما اللمس، ويصدِّق ذلك كله الفرج أو يكذبه".
قال الهيثم بن عديّ قال لي صالح بن حيّان: من أفقه الشّعراء? فقلت: اختلف في ذلك. فقال: أفقه الشعراء وضَّاح اليمن، حيث يقول:

إذا قلت هاتي ناوليني تبسّـمـت ... وقالت معاذ الله من فعل ما حرم
فما نوَّلت حتّى تضرّعت عندهـا ... وأعلمتها ما أرخص الله في الّلمم

باب الرَّسول صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن الأنباري عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: الرَّسول والرَّسيل والرّسالة سواء.
وينشد هذا البيت على وجهين:

لقد كذب الواشون ما بحث عندهم ... بسرٍّ ولا أرسلتهـم بـرسـول

ويروى برسيل.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أبردتم إليّ بريداً، أو بعثتم رسولا، فليكن حسن الوجه، حسن الاسم، وإذا سألتم الحوائج فاسألوا حسان الوجوه".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"الرجل الصّالح يجيء بالخبر الصالح، والرجل السّوء يأتي بالخبر السّوء".
أنشد أبو حازم القاضي ببغداد:

وأتانا عن الـنـبـيِّ حـديثـا ... ن إليه كلاهـمـا يسـنـدان
واحدٌ في الحاجات يأمرنـا أن ... نبتغي من ذوي الوجوه الحسان
ثم في الفال حبّه حسـن الاس ... م وهذان فيك مجتـمـعـان
ومعاذ الإلـه أن يلـفـيا فـي ... ك كما جاء عنه لا يصدقـان

كان عبد الملك بن مروان إذا ولَّى رجلاً البريد، سأل عن صدقه وعفته وأمانته، وقال: إن كذبه يشكك في صدقه، وشرّه يحمله على كتمان الحق، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه.
قالوا: الرسول قطعة من المرسل.
قال عمرو بن العاص: ثلاثةٌ دالّة على صاحبها: الرسول على المرسل، والهدية على المهدي، والكتاب على الكاتب.
لما قال عمر بن أبي ربيعة:

من رسولي إلى الثُّريّا فإنِّـي ... ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب
هي مكنونةٌ تحـيَّر مـنـهـا ... في أديم الخدَّين ماء الشّبـاب
أبرزوها مثل المهاة تـهـادى ... بين خمسٍ كواعـبٍ أتـراب
ثم قالوا تحبها؟ قلت بـهـراً ... عدد القطر والحصى والتّراب

قال له ابن أبي عتيق: والله لا كان المبلغ لهذا الشعر غيري. فارتحل من المدينة حتى أتى مكة، فصادف الثريا في الطواف. فقالت له: يا ابن أبي عتيق! ماجاء بك، وليس هذا أوان الحج؟ فقال: أبيات لعمر. فقالت أنشدني. فأنشدها الأبيات حتى أتى على آخرها. فقالت: أدى الله أمانتك، فقد أديت. قال: فضرب راحلته ورجع.
قال صالح بن عبد القدوس:

إذا كنت في حاجةٍ مرسلاً ... فأرسل حكيماً ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى ... فشاور لبيباً ولا تعصه

سمع الخليل بن أحمد رجلاً ينشد بيت صالح هذا:

إذا كنت في حاجةٍ مرسلاً ... فأرسل حكيماً ولا توصه

فقال: هو الدِّرهم.
وقال آخر:

وما أرسل الأقوام في حاجةٍ **أمضى ولا أنفع من درهم**
يأتيكَ عفواً بالذي تشتـهـي **نعم رسول الرَّجل المسلـم**

ولبعض المتأخرين من أهل عصرنا:

إذا كنت متّـخـذاً رسـولاً **فلا ترسل سوى حرٍّ نبـيـل**
فإن النُّجح في الحاجات يأتي **لطالبها على قدر الرَّسول**

وقال الراجز:

ما مرسلٌ أنجح فيما نعـلـم **من طبقٍ يهدي وهذا الدِّرهم**

وقال منصور الفقيه:

أرسلت في حاجةٍ رسولاً **يكنى أبا درهمٍ فتمَّـت**
ولو سواه بعثت فـيهـا **لم تحظ نفسي بما تمنّت**

باب الهديَّة

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم:"الهدية رزقٌ من رزق الله، فمن أهدي إليه شيءٌ فليقبله ولا يردّه، وليكافئ عليه".
وقال صلى الله عليه وسلّم: تهادوا فإنّ الهدية تذهب السّخيمة، وتزيل وحر الصدور ولا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة"، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية، ويثيب عليها أفضل منها.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لو أهدي إليّ ذراع لقبلت، ولو دعيت لكراع لأجبت".
قال رجل لأبي ذر:فلان يقرئك السلام.فقال :هدية حسنة، وحمل خفيف.
وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه:نعم الشيء الهدية أمام الحاجة.
وقد حدثنا ابن صاعد، قال:حدثنا زياد بن يحيى أبو الخطاب، حدثنا أبو عتّاب الدَّلاَّل، وحدثنا عثمان بن عبد الرحمن، حدثنا الزُّهري، عن عبد الله بن وهب بن زمعه عن أم سلمة، عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال:"الهدية تذهب السّخيمة". قيل: وماالسَّخيمة؟ قال:"الإحنة تكون في الصُّدور".

وعن الهيثم بن عديّ، قال: كان يقال: ما ارتضى الغضبان، ولا استعطف السُّلطان،و لا سلبت الشَّحناء، ولا دفعت المغارم ولا توقِّي المحذور، ولا استعمل المهجور بمثل الهدية والبرّ.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "من أهديت إليه هدية فجلساؤه شركاؤه فيها".
قال أبو إسحاق الصَّابي:

رويت في السُّنة المشهورة البركه أنّ الهديَّة في الجلاَّس مشتركـه

كان يزيد بن قيس الأرحبيّ، والياً لعلي رضي الله عنه، فأهدى إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما وترك ابن الحنفية، فضرب عليّ رحمه الله على جنب ابن الحنفية وقال:

وما شرُّ الثَّلاثة أمَّ عمروٍ بصاحبك الَّذي لم تصبحينا

روي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال للقرابات: "تزاوروا ولا تجاوروا، وتهادوا فإن الهدّية تثبت المروءة وتستلُّ السّخيمة".
أصبح عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف، فأنكر ذلك.
فقالوا له: إنه يوم نيروز قال: فنيروز لنا إذاً كل يوم.
قال أبو عمر: كان هذا منه رضي الله عنه- إن صحّ- قبل أن يدخل الكوفة، وأن يكون خليفة، لأن المحفوظ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هدية نيروز ولا مهرجان، وأنه كان يأخذ ما أهدى إليه عماله فيضعه في بيت المال- مال المسلمين.
قال يونس بن عبيد : أتيت ابن سيرين يوماً ومعي خبيص، فقلت: قولوا له:يونس بالباب. فقال -وأنا أسمع- :قولوا له: قد نام. فقلت: إن معي خبيصاً. قال: كما أنت حتى أخرج إليك.
قال الشاعر:

هدايا النّاس بعضهم لبـعـضٍ تولِّد في قلوبهـم الـوصـالا
وتزرع في الضّمير هوىً ووداً ويكسوهم إذا حضروا جمـالا

قال أبو عوانة: قلت للأعمش: ياأبا محمد! إن عندي بطة سمينة، أفتكون عندي في الدار?قال: وما تصنع بعنائي?! ابعث بها إلى الدار.
قال الشاعر:

إنّ الهدايا لـهـا حـظٌّ إذا وردت أحظى من الإبن عند الوالد الحدب

وقال آخر:

ما من صديقٍ وإن أبـدى مـودّتـه يوماً بأنجح في الحاجات من طبـق
إذا تلثّم بالمـنـديل مـنـطـلـقـاً لم يخش صولة بوابٍ ولا غـلـق
لا تكذبنّ فإنّ النَّاس قـد خـلـقـوا لرغبةٍ يكرمون النَّـاس أو فـرق
أمّا الفعال فعند النَّجم والقول يوجد مطروحاً

مـطـلـعـه على الطُّرق

وقال آخر:

أهدى إليه حـبـيبـه أتـرجّةً فبكى وأشفق من عيافة زاجر
خوف التّبدُّل والتَّلـوُّن إنَّـهـا لونان باطنها خلاف الظّاهـر

بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل، وكتب معها:

نعلٌ بعثت بها لتلبـسـهـا تمشي بها قدمٌ إلى المجد
لو كان يحسن أن أشرِّكها خدّي جعلت شراكها خدِّي

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً، وكتب إليه:

قد بعثنا إليك أكرمك الـلـ ه بشيءٍ فكن له ذا قبول
لا تقسه إلى ندى كفِّك الغم ر ولا نيلك الكثير الجزيل
واغتفر قلَّة الهديَّة منِّـي إن جهد المقلِّ غير قليل

أولم إسحاق بن إبراهيم الموصلي وليمة، فأهدى إليه إخوانه هدايا، وأهدى إليه إبراهيم بن المهدي جراب ملح وجراب أشنان مطيب، وكتب إليه رقعة:فداك أخوك عنده، لولا أن البضاعة تقصر لجزت السَّابقين إلى برِّك، وكرهت أن تطوى صحيفة البرّ ولاحظّ لي فيها ،فوّجهت إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته، والمختوم به لطيبه ونظافته، جراب ملح وجراب أشنان هدية من يحتشم إلى من لا يغتنم، وكتب أسفل الرقعة:

هديَّتي تقصر عن همّـتـي وهمّتي تعلو على مـالـي
وخالص الودِّ ومحض الهوى أحسن ما يهديه أمـثـالـي

بعث رجل إلى دعبل بأضحية، فكتب إليه دعبل:

بعثت إلينا بأضـحـيَّةٍ وكنت حريَّاً بأن تفعلا
ولكنَّها خرجت غـثَّةً كأنك أرعيتها حرملا
فإن قبل الله قربانهـا فسبحان ربِّك ما أعدلا

قال قتادة:يعرف سخف الرجل في سخف هديته. قال ذلك في نعل أهديت إليه.

ولي في هذا:

سخافة المرء تدرى في والنَّوك واللُّؤم فيها

هديَّتـه يظهران معا

إنّ اللـئيم إذا أهـدى هـديّتـه أبدى نذالته فيها لمن سمـعـا

ولخلف الأحمر:

سقى حجَّاجنا نـوء الـثُّـريّا على ما كان من بخلٍ ومطل

هم جمعوا النِّعال وأحرزوهـا وسدُّوا دونها بابـاً بـقـفـل

إذا أهـديت فـاكـهـةً وشـاةً وعشر دجائجٍ بعثوا بنـعـل

ومسواكين طولـهـمـا ذراعٌ وعشرٌ من رديء المقل خشل

فإن أهديت ذاك لتحملـونـي على نعل فدقّ الله رجـلـي

أناسٌ يأنـفـون لـهـم رواءٌ تغيم سماؤهم من غير وبـل

إذا انتسبوا ففرعٌ من قـريشٍ ولكنّ الفعال فعـال عـكـل

وقال آخر في جار له أتى من الحج لم يهد إليه شيئاً:

عبّاس ما وجهك بالهشِّ ولا أبرئك من الغـشِّ

لم تهد لي نعلاً ولا مقلةً كأنَّما جئت من الحشِّ

ولمنصور الفقيه -يداعب صديقاً يكنى أبا النصر ويسمى فتحاً، قدم من الحج- شعرٌ حسن النظم مليح المعنى، رأيت إيراده لحسنه:

سألـت الـحـجـيج وقـد أقـبـلـــوا يؤمُّـون مـصـر مـن أرض الـحـرم

فقلت لهم بعد إيناسهم:أفتحٌ بمكَّة أم قد قدم?

فقالوا:ترحَّل من قبلنا لعـشـر لـيالٍ تـوالـــت حـــرم

فقـلـت بـحـرمة مـــن زرتـــم? أحـقّـاً تـقـولـون? قـالـوا: نـعـم

فأقـبـلـت فـي صـرخةٍ مـنـهـــم وقـلـبـي مـمّـا بـه يضـطـــرم

أعـــدِّد آلاءه مسـافـيح بـالـدَّمـع

والجفون والدَّمع دم
فصادفني صالحٌ عبده فقال: فديتك لم تلتدم؟
وماذا دعاك إلى ما أرى فقلت: الحذار على ذي الكرم
أبى نصرٍ البحر من جوده إذا المزن ضنّت بصوب الدِّيم
فقال: ألم يأت من جمعةٍ فقلت كذبت فأين الأدم؟
وأين القفاف الحسان القدود وأقداح جيشان تلك السُّلم
وأين النِّعال وأين الفراء وأين البرود وأين البرم
وأين القديد قديد الظِّباء وأين الملوَّز مثل العنم
فقال: وحقّك ما جاءنا بشيءٍ سوى نفسه فاغتنم
قدوم صديقك واستهده حديث الوفود وفود الأمم
إلى البيت يشهدك أخباره عجائب عربهم والعجم
فقلت: ألا ليت أخباره وناقلها خلف قافٍ ولم

ولخلف بن خليفة الأقطع من بني قيس بن ثعلبة في جار له غاب ثم قدم، ولم يهد له، وكانت بينهما مصافاة:

أتانا أخٌ من غيبةٍ غاب أشهراً وكنت إذا ما غاب أنشده الرَّكبا
فجاء بمعروفٍ كثيرٍ فدسَّه كما دسَّ راعي السُّوء في حضنه الوطبا
فقلت له: هل جئتني بهديَّةٍ فقال: بنفسي. قلت: آثر بها الكلبا
هي النَّفس لا آسى عليها وإن نأت ولا أتمنّى الدَّهر يوماً لها قربا
إذا هي أوفت من ثمانين قامةً فلا السَّهل لقَّاها الإله ولا الرَّحبا

أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه في يوم نيروز وسهماً وديناراً ودرهماً، وكتب إليه:

لا زلت كالورد نضير الميسم ونافذاً مثل نفوذ الأسـهـم
في عزّ دينارٍ ونجح درهم

أهدى أبو إسحاق بن هلال الصابي إلى عضد الدولة في يوم مهرجان اصطرلاباً على قدر الدرهم محكم الصنعة وكتب إليه:

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا في مهرجانٍ عظيمٍ أنت تعلـيه
لكنّ عبدك إبراهـيم حـين رأى سموّ قدرك عن شيءٍ تسـامـيه
لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد أهدى لك الفلك الأعلى بما فـيه

وأهدى شمس المعالي إلى عضد الدولة سبعة أقلام، وكتب إليه:

قد بعثنا إليك سبـعة أقـلا م لها في البهاء حظٌ عظيم
مرهفاتٍ كأنّها ألسن الحيَّ ات قد جاز حدَّها التّقـويم
وتفاءلت أن ستحوى الأقالي م بها كلُّ واحـدٍ إقـلـيم

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: كانت الهدية فيما مضى هدية، أما اليوم فهي رشوة. وقال كعب الأحبار: قرأت في ما أنزل الله على بعض أنبيائه: الهدية تفقأ عين الحكيم.
وقال الشاعر:

إذا أتت الهدية بـاب قـومٍ تطايرت الأمانة من كواها

باب الجار

قالت عائشة: يا رسول الله! إن لي جارين فإلى أيِّهما أهدي؟ قال:"إلى أقربهما باباً".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:" لا يؤمن جارٌ حتى يأمن جاره بوائقه " وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:" ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه".
كان داود عليه السلام يقول: اللّهم إني أعوذ بك من جار سوءٍ، عينه ترعاني، وقلبه لا ينساني.
مكتوب في التوراة: إنّ أحسد النّاس لعالمٍ وأنعاه عليه قرابته وجيرانه.
وقال عكرمة: أزهد النّاس في عالم جيرانه.
قال رجل لسعيد بن العاص: والله إنّي لأحبُّك. فقال له:ولم لا تحبّني ولست بجار لي ولا ابن عم.
كان يقال:الحسد في الجيران،و العدواة في الأقارب.
روى يحيى بن يحيى الباجي، قال حدثني محمد بن الفضل المكّي. قال حدثني أبي عن إبراهيم عن عبد الله،قال:مرَّ مالك بن أنسٍ بقينة تغني شعر مسلم:

أنت أختي وأنت حرمة جاري وحقيقٌ عليّ حفظ

جاري الجـوار
إنَّ للجار إن تغـيبّ غـيبـاً حافظاً للمغـيب والأسـرار
ما أبالي أكان للباب سـتـرٌ مسبل أم بقي بغير سـتـار

فقال مالك:علموا أهليكم هذا ونحوه.
وعن مالك، أيضاً، قال مالك بن أنس،قال أبو حازم:كان أهل الجاهلية أحسن جواراً منكم، فإن قلتم: لا .فبيننا وبينكم قول شاعرهم:

ناري ونار الجار واحـدةٌ وإليه قبلي تنزل الـقـدر
ما ضرَّ جاراً لي أجـاوره ألاَّ يكون لبيتـه سـتـر
أعمى إذا ما جارتي برزت حتّى يواري جارتي الخدر

قال أبو عمر: هذا الشاعر مسكين الدارميّ.
وقال آخر: ?أقول لجاري إذ أتاني معاتباً=مدلا بحقٍّ أو مدلا بباطل

إذا لم يتصل خيري وأنت مجاوري إليك فما شرِّي إلـيك بـواصـل

قال الأصمعي: ومن أحسن ما قيل في حسن الجوار:

جاورت شيبان فاحلولى جوارهم إن الكرام خيار النّاس للجـار

من كلام عليّ رحمه الله: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق، أخذه الشاعر فقال:

يقولون قبل الدّار جارٌ مجـاورٌ وقبل الطَّريق النّهج أنس رفيق

وقال آخر:?

اطلب لنفسك جيراناً تجـاورهـم لا تصلح الدّار حتّى يصلح الجار

وقال آخر:

يلومونني أن بعت بالرُّخص منزلي ولم يعرفوا جاراً هناك ينـغِّـص
فقلت لهم كفُّوا المـلام فـإنّـهـا بجيرانها تغلو الدِّيار وتـرخـص

قال الحسن البصري رحمه الله:إلى جنب كلِّ مؤمن، منافقٌ يؤذيه.
وقال بشَّار بن بشر المجاشعي:

وإني لعفٌّ عن زيارة جارتي وإنّي لمشنوءٌ لدى اغتيابها
إذا غاب عنّي بعلها لم أكن لها زؤوراً ولم تأنس إليّ كلابها
ولم أك طلاّباً أحاديث ولا عالماً من أي جنسٍ

سرِّهـا ثيابها

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه:من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك. قال علّي للعباس رضي الله عنهما:مابقي من كرم أخلاقك?قال: الإفضال على الإخوان وترك أذى الجيران.
كان يقال:ليس من حسن الجوار ترك الأذى، ولكنه الصبر على الأذى.
قال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه: ?يا سائلي عن حسينٍ=وقد مضى أشكاله

أقل ما في حسـيـنٍ كفُّ الأذى واحتماله

قال الحطيئة:

لعمرك ما المجاور في كلـيـبٍ بمقصىً في الجوار ولا مضاع
هم صنعوا لجارهم ولـيـسـت يد الخرقاء مثل يد الصَّـنـاع
ويحرم سرُّ جارتهم عليهـم ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال الحسن بن عرفطة:

ولم أر مثل الجهل يدعو إلى الرّدى ولا مثل جار السُّوء يكره جانبـه

وقال آخر:

لا يأمن الجار شرّاً في جوارهم ولا محالة من شتم وألـقـاب

ومثل هذا قول الآخر:

أجلُّ العشيرة إمّا حضرت ولا أتعلّم ألـقـابـهـا

وقال حاتم الطائي ويروى لغيره:

أيا ابنة عبـد الـلـه وابـنة مـالـكٍ ويا ابنة ذي البردين والفرس الـورد
إذا ما عملت الزَّاد فـاتَّـخـذي لـه أكيلاً فإنّي لسـت آكـلـه وحـدي
بعيداً قصيّا أو قـريبـاً فـإنّـنـي أخاف مذ مّات الأحاديث من بعـدي
وكيف يسيغ الـمـرء زاداً وجـاره خفيف المعي بادي الخصاصة والجهد

وقال غيره:

سقياً ورعياً لأقوامٍ نزلت بـهـم كأنّ دار اغترابي عندهم وطني
إذا تأملت من أخلاقهم خلـقـاً علمت أنَّهم من حيلة الـزَّمـن

وقال ابن حبناء:

إذا ما رفيقي لم يكن خلف ناقتي	له مركبٌ فضلٌ فلا حملت رجلي
ولم يك من زادي له نصف مزودي	فلا كنت ذا زادٍ ولا كنت ذا رحل
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى	عليَّ له فضلاً بما نال من فضلي

ويروى لحاتم الطائي.

تذاكر أهل البصرة من ذوي الآداب والأحساب في أحسن ما قاله المولدون في حسن الجوار من غير تعسف ولا تعجرف، فأجمعوا على بيتي أبي الهندي وهما:

نزلت على آل المهلَّب شاتياً	غريباً عن الأوطان في زمنٍ محل
فما زال بي إكرامهم وافتقادهم	وبرُّهم حتّى حسبتهم أهلي

باب الضَّيف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليلة الضّيف حقٌ واجب".

وقد أوضحنا في كتاب "التمهيد" معنى هذا الحديث وغيره في الضيافة، وذكرنا قول من أوجبها ومن ندب إليها؟ ووجوه أقوالهم واعتلالهم والحمد لله وحده.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما زاد فهو صدقة، ولا يحل أن يثوي غيره حتى يحرجه". قيل للأوزاعي: رجل قدَّم إلى ضيفه الكامخ والزيتون، وعنده اللحم والعسل والسمن؟ فقال: هذا لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

قال أبو ذؤيب:

لا درَّ درِّى إن أطعمت نازلهم	خبز الشَّعير وعندي البرُّ مكنوز

قال نافع: كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاث، ويقول بعد الثلاث: أمسكوا عنا صدقتكم، ويقول لي: أنفق من عندك.

ذكر أبو عبيدة أن معاوية قال يوماً لجلسائه: أي أبيات العرب في الضيافة أحسن؟ فاختلفوا وأكثروا، فقال معاوية: قاتل الله أبا النجم حيث يقول:

لقد علمت عرسي فلانة أنَّنى	طويلٌ سنا ناري بعيدٌ خمودها
إذا حلَّ ضيفي با لفلاة ولم أجد	سوى منبت الأطناب شبَّ وقودها

وقالوا: أحسن شيء في الضيافة قول مسكين الدارميّ:

طعامي طعام الضَّيف والرَّحل رحله	ولم يلهني عنه غـزالٌ مقنَّع
أحدِّاثه إنّ الحديث من القرى	وتعلم نفسي أنّه سوف يهجع

وقال العلوي صاحب الزنج:

يستأنس الضَّيف في	فليس يعلم خلقٌ أيُّنا

أبياتنا أبداً الضَّيف

ولخالد عينين، وإنما قيل له خالد عينين لأنه كان ينزل أرضا بالبحرين: يقال لها عينين:

أيها الموقدان شبَّا سناها إنّ للضَّيف طارفي وتلادي

وقال عوف بن الأحوص.

ومستنبحٌ يغشى الغداة ودونه من الَّليل بابا ظلمةٍ وستورها

رفعت له ناري فلمّا اهتدى لها زجرت كلابي أن يهرَّ عقورها

فلا تسأليني واسألي عن خليقتي إذا ردَّ عافي القدر من يستعيرها

ترى أن قدري لا تزال كأنَّها لدى الغرث المقرور أمٌ يزورها

وقال حسان بن ثابت:

يغشون حتّى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السَّواد المقبل

وقال أبو الطحان القيني

وقد عرفت كلابهم ثيابي كأنّي منهم ونسيت أهلي

وقال المَّرار الحملي:

ألف النَّاس فما يهجمهم من عسيف يبتغي الخير وحرّ

وقال امرؤ القيس:

أعرف الحقّ ولا أجهله وكلابي أنسٌ غير عقر

ما يرى كلبي إلا آيساً إن رأي خابط ليلٍ لم يهر

وقال حاتم الطائي:

إذا ما بخيل النّاس هَّرت كلابه وشقّ على الضَّيف الغريب عقورها

فإن كلابي قد أقرَّت وعوِّدت قليلٌ على من يعتريها هريرها

وقال يعقوب الخريمي:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخضب عندي والمحلُّ جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنَّما وجه الكريم خصيب

وللشماخ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

إنك يا ابن جعفر خير الفتـى وخيرهم لطـارقٍ إذا أتـى
وربَّ نضوٍ طرق الحيّ سرىً صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إنّ الحديث جانبٌ من القرى

وقال سهل الوراق:

وضيفك قابله بِّبرك وليكـن له منك أبكار الحديث وعونه

وقال آخر:

سلي الطارق المعترَّ ياأمّ مالـكٍ إذا ما أتاني بين ناري ومجزري
أأبسط وجهي؟ إنَّه أوّل القـرى وأبذل معروفي له دون منكري

تمثل بهذين البيتين عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في جوابه معاوية.
أما قول الشاعر:

بئس عمر الله قوماً طرقوا فقروا أضيافهم لحماً وحر

فإنه أراد لحماً دبت عليه الوحرة، وهي دويبَّة كالعظاية خضراء إذااجتمعت تلتصق بالأرض: الجمع: وحر، ومنه قيل وحر الصدر، كما قيل للحقد ضبّ، ذهبوا به إلى لزوقه بالصَّدر التزاق الوحرة بالأرض، يقال:لحم وحر،إذا دبّت عليه الوحرة.ولبن فئر إذا وقعت فيه الفأرة.
وقال رجل من بني فقعس، وهو الحارث بن يزيد، يمتدح نفسه بخدمة الضيف:

لعمر أبيك الخير إني لـخـادمٌ لضيفي وإني إن ركبت لفارس

وقال المقنّع الكندي:

وإني لعبد الضِّيف مادام نـازلاً وما شيمةٌ لي غيرها تشبه العبدا

وما امتدح به ذم بضده، قال الشاعر:

تراهم خشية الأضياف خرساً يصلُّون الصَّـلاة بـلا أذان

وقال حمّاد عجرد:

وجدت أبا الصَّلت ذا خبرةٍ بما يصلح المعدة الفاسده
تخوّف تخمة أضيـافـه فعلّمهـم أكـلة واحـده

وقال عمرو بن الأهتم التَّميمي المنقري من أشرافهم، وكان شاعراً محسناً،يقال: كأن شعره حللٌ منشَّرة، وله صحبة:

ذرينـي فـــإنَّ الـــشُّـــحَّ لصـالـح أخـــلاق

يا أم مـــالـــكٍ ذرينـي وحـظِّـي فـي هـواي فـــإنَّـــنـــي	الـــرِّجـــال ســـروق علـى الـحـسـب الـعـالـي الـرفـيع شـفـــيق
ومـسـتـنـبـحٍ بـعـد الـهـدوء أجـــبـــتـــه	وقـد حـان مـن سـاري الـشـتـــاء طـــروق
فقـلـت لـه: أهـلاً وسـهـلاً ومـــرحـــبـــاً	فـهـذا مـــبـــيـتٌ صـــالـــحٌ وصـــديق
أضفت ولم أفحش عليه، ولم أقل:للأحرمهاإنَّ الفناء يضيق	
لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها	ولـكـن أخـلاق الـــرجـــال تـــضـــيق

وقال آخر:

وطريد ليل ساقه سغـبٌ	وهناً إلـيَّ وقـاده بـرد
أوسعت جهد بشاشةٍ وقرىً	وعلى الكيم لضيفه الجهد
ثم اغتدى ورداؤه نـعـمٌ	أسديتها وردائي الحـمـد

وقال القاسم بن أميَّة بن أبي الصّلت:

قومٌ إذا نزل الغريب بأرضهم	ردُّوه ربَّ صواهل وقـيان

باب المعروف

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "كلُّ معروفٍ صدقة".

قال أبو جرى الهجيمي: يارسول الله أوصني. فقال:"لا تحقرنَّ شيئاًمن المعروف أن تأتيه، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقى، ولو أن تلقي أخاك ووجهك منبسطٌ إليه".

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:"أهل المعروف في الدُّنيا، هم أهل المعروف في الآخرة".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:"إذا طلبتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه".

وقال صلى الله عليه وسلم:"ألا أدلُّكم على شيءٍ يحبُّه الله ورسوله؟" قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: "المعروف والتَّغابن للضَّعيف".

قال عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لاتمسّه النار. قالوا: وما هو يا روح الله؟ قال: المعروف.

قال عبد الله بن عباس: ما رأيت رجلاً أوليته معروفاً إلا أضاء

مابيني وبينه،ولا رأيت رجلاً فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه.
قال زيد بن علي بن حسين: ما شيء أفضل من المعروف ولا ثوابه ولا كلُّ من رغب فيه يقدر عليه ولا كلّ من قدر عليه يؤذن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن تمت السعادة للطالب والمطلوب منه.
قال ابن عباس: المعروف أيمن زرع، وأفضل كنز، ولا يتم إلا بثلاث خصال: بتعجيله وتصغيره وستره. فإذا عجّل هني، وإذا صغّر فقد عظم،وإذا ستر فقد تمِّم.
قال زهير:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتَّق الشَّتم يشتم

وقال أخر:

إنَّ ابتداء العرف مجدٌ باسقٌ والمجد كلُّ المجد في استتمامه
إنَّ الهلال يروق أبصار الورى حسناً وليس كحسنه لتمامه

أنشد الزبير بن بكّار:

أبل من شئت تقله عن قليلٍ لفعله
ضاع معروف واضع ال عرف في غير أهله

قال القاسم بن معن، قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة:ما السخاء? قال:التأني للمعروف. قال فما البخل?قال:الاستقضاء على الملهوف.
قال ابن عباس لا يزهِّدنك في المعروف كفرٌ من كفر،فإنه يشكرك عليه من لم يصنعه.
كان يقال:في كل شيء سرفٌ إلاّفي المعروف.
قال حبيب:

وإذا امرؤٌ أهدى إليك صنيعةً من جاهه فكأنَّها من ماله

كان يقال: لا يزهِّدنك في المعروف دمامة من يسديه إليك،ولا ينبو بصرك عنه،فإن حاجتك في شكره ووفائه لا منظره، وإن لم يكن أهله فكن أنت أهله.
قال الشاعر:

ولم أر كالمعروف أمَّا مذاقه فحلوٌ وأمَّا وجهه فجميل

تمثل رجل عند عبد الله بن جعفر بقول الشاعر:

إنَّ الصَّنيعة لا تكون صنيعةً حتَّى يصاب بها طريق المصنع
فإذا أصبت صنيعةً فاعمد بها لله أو لذوي القرابة أو أودع

فقال عبد الله بن جعفر:هذان البيتان يبخّلان الناس، لا. ولكن أمطر المعروف إمطاراً، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً، وإن أصاب اللئام كنت له أهلا.
كان يقال:من أسلف المعروف كان ربحه الحمد.
قال عمرو بن العاص:في كل شيءٍ سرفٌ إلا في ابتناء المكارم أو اصطناع معروف، أو إظهار مروءة.
وكان يقال:كما يتوخَّى للوديعة أهل الأمانة والثقة، كذلك ينبغي أن يتوخَّى بالمعروف أهل الوفاء والشكر.
كان يقال:إعطاء الفاجر يقوّيه على فجوره،ومسألة اللئيم إهانة للعرض،وتعليم الجاهل زيادة في الجهل، والصّنيعة عند الكفور إضاعة النعمة، فإذا هممت بشيء من هذا، فارتد الموضع قبل الإقدام على الفعل.
قال النبي صلى الله عليه وسلم:"إنَّ الصَّنيعة لا تكون إلاَّفي ذي حسبٍ أو دين،كما أنَّ الرِّياضة لا تكون إلا في نجيب".
مكتوب في التوراة :افعل إلى امرئ السُّوء خيراً يجزك شراً.
كان يقال:صاحب المعروف لا يقع،فإذا وقع أصاب متكئاً.
قال الشاعر:

ودون النَّدى في كلِّ قلبٍ ثنـيةٌ — لها منجدٌ حزنٌ ومنحدرٌ سهـل
يودُّ الفتى في كلِّ نيلٍ ينـيلـه — إذا ما انقضى لو أنَّ نائله جزل

كان الحجاج بن يوسف يقول:خير المعروف ما أنعشت به الكرام.
كان يقال:من لم يرب معروفه فكأنه لم يصطنعه.
كان يقال:أحي معروفك بإماتته.
كتب أرسطو طاليس إلى الإسكندر: املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها،وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء لإحسانك منه باعتسافك، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطَّها إلى القلوب بالمعروف،واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجهد ألاّ تقول تسلم من أن تفعل.
كان يقال: اتق أن يسدّ عنك طريق المعروف بالكفر أو بالمنّ، فإن المنّ يفسد الصنيعة والكفر يمحوها، والشكر يمحوها والشكر يجلب النعمة.
قال الشاعر:

أفسدت بالمنّ ماأوليت من حسنٍ — ليس الكريم بما أسدى بمنَّـان

وقال الحسن بن هانئ:

فامض لا تمنن علـيَّ يداً — منك المعروف من كدره

قال معاوية ليزيد:يابني اتخذ المعروف منالا عند ذوي الأحساب تشتمل به مودتهم، وتعظم في أعينهم، وتكف به عاديهم، وإياك والمنع، فإنه ضد المعروف.
كان يقال: حصاد من يزرع المعروف في الدنيا،اغتباط في الآخرة.
ذم أعرابي رجلا،فقال: كان سمين المال، مهزول المعروف.
قال الزهيري:من زرع معروفاً حصد خيراً، ومن زرع شراً حصد ندامة.
قال الشاعر:

من يزرع الخير يحصد ما يسرُّ به وزارع الشَّرِّ منكوسٌ على الرَّأس

وقال الراجز:

من يزرع الخير يحصد حصاده موفَّـراً يومـاً إذا مـاأراده

قال بشر بن أبي خازم:

وأيدي النَّدى في الصَّالحين فضول

وقال الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال عبد الله بن مبارك رضي الله عنه:

يد المعروف غنمٌ حيث كانت تحمَّلها شكورٌ أو كـفـور

ففي شكر الشَّكور لها جزاءٌ وعند الله ما كفر الكفـور

قال الأصمعي: سمعت أعرابيّاً يقول:أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف.

ولابن دريد وقيل إنه أنشدها:

ومـاهـذه الأيَّام مـعـــارةٌ فما اسطعت من معروفها فتزوَّد

فإنَّـك لا تـدري بـأيَّة بـلـدةٍ تموت ولاما يحدث الله في غـد

قال بزرجمهر: خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر،واحتسب فيه الأجر،وارتهن فيه الشكر، واسترقّ فيه الحرّ.

جمع كسرى مرازبته وعيون أصحابه، فقال لهم:على أي شيء أنتم أشد ندامة؟ قالوا:على وضع المعروف في غير أهله،وطلب الشكر ممن لا يشكره.

قال الشاعر:

وزهَّدني في كلِّ خيرٍ منـعـتـه إلى النَّاس ماجرَّبت من قلّة الشُّكر

وقال آخر:

النَّاس من شاكرٍ للعرف محتمـلٍ ومن كفورٍ لما أولـيتـه زمـر

فابسط يد الجود تحمل بعض نائلها وإنّما النَّاس والمعروف كالغرر

وقال آخر:

ومن يجعل المعروف في غير أهله يلاقي الّذي لاقى مجير أمَّ عامـر

قال المهلب: عجبت لمن يشتري المماليك بماله،ولا يشتري الأحرار بمعروفه.

وقال: ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام فأكرم حرّاً تملكه.

قال المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته	**وإن أنت أكرمت الَّلئيم تمرَّدا**

قال عبد مناف:دواء من لم يصلحه الإكرام الهوان.
قال الشاعر:

من لم يؤدِّبه الجـمـي	**ل ففي عقوبته صلاحه**

وقال محمود الوراق:

فكَّرت في المال وفي جمعه	**فكان ما يبقى هو الفانـي**
وكان ما أنفقت في أوجه ال	**برِّ بمعـروفٍ وإحـسـان**
هو الَّذي يبقى وأجزى بـه	**يوم يجازى كلُّ إنـسـان**
ومن فساد العرف إحصاؤه	**وذكـره فـي كـلِّ إبَّـان**
فانشر إذا أوليت عرفـاً وإن	**أوليته فاستـر بـنـسـيان**

باب الشُّكر

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من أولى معروفاً فلم يجد إلا الثنا فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره".
وقال صلّى الله عليه وسلّم: "من أهدى إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء".
سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عائشة رضي الله عنها تنشد لليهودي:

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه	**يوماً فتدركه العواقب قد نمـا**
يجزيك أو يثنى عليك وإنَّ مـن	**أثنى عليك بما فعلت فقد جزى**

فقال: "قاتله الله ما أحسن ما قال!، من لم يجد إلا الدعاء والثناء فقد كافأ".
وفي رواية أخرى لهذا الخبر عن عائشة أنها قالت:قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "أنشدي شعر ابن الغريض اليهودي حيث قال:إن الكريم" فأنشدته:

إنَّ الكريم إذا أراد وصـالـنـا	**لم يلف حبلي واهياً رثَّ القوى**
أرعى أمانته وأحفـظ غـيبـه	**جهدي فيأتي بعد ذلك ماأتـى**
أجزيه أو أثني عليه فإنَّ مـن	**أثنى عليك بما فعلت فقد جزى**

وهذا الشعر لا يصح فيه إلا ماروي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة:أنه للغريض اليهودي وهو الغريض بن السموءل بن

عادياء اليهودي، من ولد الكاهن هرون بن عامر بن ساعر، وأما أهل الأخبار،فاختلفوا في قائله، فقيل: هو لورقة بن نوفل، وقيل هو لزهير بن جناب الكلبي، وقيل: لعامر بن المجنون وقيل ليزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم من قال:إنه ليزيد عن عمرو أو ورقة بن نوفل البيتان الأولان، والصحيح فيها وفي الأبيات غيرها أنهما للغريض اليهودي والله أعلم.
قال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

لوكنت أعرف فوق الشُّكر مـنـزلةً	**أعلى من الشكر عند الله في الثَّمـن**
إذا منحتكـهـا مـنِّـي مـهـنَّـدةً	**شكراً على صنع ما أوليت من حسن**

وقال آخر في يحيى بن خالد البرمكي:

طلبت ابتغاء الشُّكر فيما فعلت بي	**فقصَّرت مغلوباً وإنِّي لشـاكـر**
لقد كنت تعطيني الجـزيل بـديهةً	**وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر**
فأرجع مقنوطاً وترجع بـالَّـتـي	**لها أوَّلٌ في المكرمـات وآخـر**

ومما أنشده الرياشي:

شكري لفعلك فانظر في عواقبـه	**تعرف بفضلك ما عندي من الشُّكر**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها،وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له إن يستغفر،وإن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبته حتى يغفر له".
وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل".
وقال: "أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم لعباده،ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير".
وفي التفسير: "اعملوا آل داود شكراً". قالوا: الطاعات كلها شكر، وأفضل الشكر الحمد.
وفي قوله في نوح عليه السلام: "إنَّه كان عبداً شكوراً"، وقالوا:كان لا يقوم ولا يقعد، ولا يلبس ثوباً، ولا يأكل ولا يشرب إلا حمد الله، فأثنى عليه الله بذلك.
مكتوب في التوراة: اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك،فإنه لا زوال للنعم إذا شكرت،ولا مقام لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير.
قال أبو نخيلة: ?شكرتك إنَّ الشُّكر حبلٌ من التُّقى=وما كلُّ من أوليته نعمةً يقضي

وأحييت من ذكري وما كنت خاملاً	**ولكن بعض الذكر أنبه من بعض**

قال حذيفة بن اليمان: ماعظمت نعمة الله على أحد إلاّ ازداد حقّ الله عليه عظما.
قال عروة بن الزَّبير:من لم يعرف سوء ما يبلى لم يعرف خير مايولى.
قال جعفر بن محمد: ماأنعم الله على عبد نعمة فعرفها بقلبه وشكرها بلسانه فما يبرح حتى يزداد.
قال ابن عباس: لوقال لي فرعون خيراً لرددت عليه مثله.
قيل لسعيد بن جبير: المجوسيّ يوليني خيراً فأشكره؟ قال: نعم قال أوس بن حجر:وقيل:إنه لأبي يعقوب الخريمي:

سأجزيك أو يجزيك عنِّي ربُّنا — **وحسبك منِّي أن أودَّ وأحمدا**

ولأبي المعافي يعقوب بن إسماعيل بن رافع، مولى مزينة في بكار بن عبد الله الزبيري:

إنَّني أثني بمـا أولـيتـنـي — **لم يضع حسن بلاءٍ من شكر**

إنَّني والله لا أكـفـركـم — **أبداً ما صاح ديكٌ في السَّحر**

وقال آخر:

فلو كان يستغني عن الشُّكر ماجدٌ — **لعزَّة ملكٍ أو عـلـوٍّ مـكـان**

لما ندب الله العبـاد لـشـكـره — **فقال اشكروني أيُّها الثَّـقـلان**

وقال آخر:

سأشكر عمرا ما تراخت منـيَّتـي — **أيادي لم تمنن وإن هـي جـلَّـت**

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه — **ولا مظهر الشَّكوى إذاالنَّعل زلَّـت**

وقال آخر:

رأى خلَّتي من حيث يخفى مكانها — **فكانت قذى عينيه حتَّى تجَّلـت**

وقال آخر:

لئن طبت نفساً عن ثنائي فـإنَّـنـي — **لأطيب نفساً من نداك على عسري**

فلست إلى جدواك أعظـم حـاجةً — **على شدَّة الإعسار منك إلى شكري**

قال عمر بن عبد العزيز:ذكر النعمة شكر.

قال جعفر بن محمد: من لم يشك الجفوة لم يشكر النعمة.

قال الشاعر:

إذا أنا لم أعرف لذي الفضل فضله — **ولم ألم الخبَّ الَّلئيم المـذمَّـمـا**

ففيم عرفت الخير والشَّرَّ باسمه — **وشقَّ لي الله المسامع والفمـا**

وقال آخر:

والكفر مخبثةٌ لنفس المنعم

وقال آخر:

وماتخفي الصَّنيعة حيث — **ولا الشُّكر الصَّحيح من**

كانت السَّقيم

وقال العتابي:

فلوكان للشُّكر شخصٌ يرى إذا ما تأمَّله الـنَّـاظـر
لمثَّلته لك حـتَّـى تـراه فتعلم أنَّي امرؤٌ شـاكـر

وقال آخر:

وإنَّك إن ذوّقتني ثمـر الـغـنـى حمدت الَّذي تجنيه من ثمر الشُّكر
وإن يفن ما أعطيتني اليوم أو غـداً فإنَّ الَّذي أعطيك يبقى على الدَّهر

وقال آخر:

لأشكرنَّك معروفاً هـمـمـت بـه إنَّ اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألومك إن لم يمـضـه قـدرٌ فالرِّزق بالقدر المحتوم مصروف

قال سليمان التيميّ: إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته،وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم.
قالوا:كلّ شكر وإن قلّ،ثمن لكل نوال وإن جلّ.
كانت هند بنت المهلب تقول:إذا رأيتم النعمة مستبدرة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال. وقال أبو النواس:

أنت امرؤٌ أوليتنـي نـعـمـاً أوهت قوى شكري فقد ضعفا
لا تـجـدثـنَّ إلـيَّ عـارفةً حتَّى أقوم بشكر ماسـلـفـا

وقال البحتري:

من لا يقوم بشكر نعمة حبِّه فمتى يقوم بشكر نعمة ربِّه

أنشد المبرد لمحمود الوراق:

إذا كان شكري نعمة الله نعـمـةً عليَّ له في مثلها يجب الشُّكـر
فكيف بلوغ الشُّكر إلاّ بفضـلـه وإن طالت الأيَّام واتَّصل العمر
إذا سرَّ بالسَّراء عمَّ سـرورهـا وإن مسَّ بالضَّراء أعقبها الأجر
ومامنهما إلاّ لـه فـيه نـعـمةٌ تضيق بها الأوهام والبرُّ والبحر

قال أبو العباس المبرد: هذا معنى لطيف، يقول: إن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيقه، فيجب أن يحمد على التوفيق، ثم يجب في الحمد الثاني مايجب في الحمد الأول أبداً إلى حيث لا نهاية،ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

إذا أنت لم تزدد على كلِّ نعمةٍ قد آتاكها شكراً فلست بشاكر

ومن أبيات ليزيد بن محمد المهلبي في هذا المعنى:

فكيف بشكر ذي نعم إذا مـا شكرت له فشكري منه نعمه

قال رجل من قريش لأشعب الطمع: ياأشعب! أحسنت إليك فلم تشكر! فقال:إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير شاكر.
قالوا: لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه.
قال الشاعر: ?إذا الشَّافع استقصى لك الجهد كلَّه=وإن لم تنل نجحاً فقد وجب الشُّكر وقال آخر:

والحمد شهدٌ لا يرى مشتاره يجنيه إلا من نقع الحنظل

وقال آخر:

دنوت للمجد والسَّاعون قد بلـغـوا جهد النُّفوس وشدُّوا دونـه الأزرا
وساوروا المجد حتَّى ملَّ أكثرهـم وعانق المجد من وفّي ومن صبرا
لا تحسب المجد تمراً أنت آكـلـه لن تبلغ المجد حتَّى تلعق الصَّبرا

قال جعفر بن محمد: مامن شيء أسرُّ إليَّ من يد أتبعها أخرى، لأنَّ مع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل.

بابٌ في طلب الحاجات

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيِّه ماشاء".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان،فإنَّ كلّ ذي نعمة محسود".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ لله عباداً خلقهم لحوائج النَّاس، هم الآمنون يوم القيامة".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أطلبوا الخير عند حسان الوجوه".
قال الشاعر:

أنت وصف الَّنبيِّ إذ قال يومـاً اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم: إنِّي أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك.
قال يونس رحمه الله:

أنزلت بالحرِّ إبراهيم مسـألةً أنزلتها قبل إبراهيم بـالـلـه
فإن قضى حاجتي فالله يسَّرها هو المقدِّرها والآمر والنَّاهي
إذا أبى الله شيئاً ضاق مـذهـبـه على الكبير العريض القدر والجاه

وقال أبو العتاهية:

خير المذاهب في الحاجات أنجحها وأضيق الأمر أدناه إلى الفـرج

كتب سوار بن عبد الله بن سوار القاضي إلى محمد بن عبد الله بن طاهر:

لنا حاجةٌ والعذر فـيهـا مـقـدَّمٌ خفيفٌ معنَّاها مضاعـفة الأجـر
فإن تقصنها فالحمد لـلـه ربِّـنـا وإن تكن الأخرى ففي أوسع العذر
على أنَّه الرَّحمن معـطٍ ومـانـعٌ وللرِّزق أسبابٌ إلى قدرٍ تجـري

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر:

فسلها تجدني موجباً لقضائهـا سريعاً إليها لا يخالطني فكـر
شكورٌ بإفضالي عليك بمثلهـا وإن لم تكن فيما حوته شكـر
فهذا قليلٌ لَّلـذي قـد رأيتـه لحقِّك لا منٌّ من لديّ ولا فخر

قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: لي إليك حاجة. قال:ولي إليك حاجة ياأميرالمؤمنين. قال :تهب لي الوهط.قال:هو لك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: اذكر حاجتك قال: ترده علي.
قال جعفر بن محمد: حاجة الرجل إلى أخيه فتنة لهما،إن أعطاه شكر من لم يعطه،وإن منعه ذم من لم يمنعه. قال خالد بن صفوان: لاتطلبوا الحوائج عند غير أهلها،ولا تطلبوها في غير حينها، ولا تطلبوا مالا تستحقون منها،فإن من طلب مالا يستحق استوجب الحرمان.
كان يقال: إذا طلب العاقل إلى كريم حاجة انقضت، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن،والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع.
كان يقال:إذا أحببت أن تطاع، فلا تسل مالا يستطاع.
قال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعق:

إنك إن كلَّفتني ما لـم أطـق ساءك ما سرَّك منِّي من خلق

قال رجل للأحنف:أتيتك في حاجة لا تزرؤك ولا تنكؤك. قال: إذاً لا تقضى،أمثلي يؤتي فيما لا يرزأ ولا ينكأ.
قال رجل للعباس بن محمد،أو لعبد الله بن عباس: أتيتك في حاجة صغيرة، قال: فاطلب لها رجلاً صغيراً.
قيل لآخر:أتيتك في حاجة.قال: اذكرها،فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات وكبيرها.
كان يقال:لا تستعن على حاجة بمن هي طعمته، ولا تستعن بكذاب، فإنه يقرب البعيد ويباعد القريب،ولا تستعن على رجل بمن له إليه حاجة.
قال ابن المقفع: الحاجة يعتري صاحبها الخيفة من مكانين: الاستقبال بها قبل وقتها،والثاني حتى تفوت، وأنشد:

وقد يفوت أناساً بعض ما طلبـوا عند التَّأنِّي فكان الحزم لو عجلوا

قال أبو فزارة الغاضريّ: أصل العبادة ألا تسأل سوى الله حاجة،فلكل أحد في الله عوض من كل أحد،وليس لأحد من الله عوض بأحد.

سأل رجل مطرّف بن عبد الله بن الشِّخّير حاجة،فقال :من كانت له إلي حاجة فليكتبها في رقعة،فإني أرغب بوجوهكم عن مكروه السؤال.
كان يقال: لا تصرف حوائجك إلى من معيشته في رءوس المكاييل والموازين.
قال العرزمي وروى لأبي الأسود الدؤلي:

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً ... فلقاؤه يكفيك والتَّسـلـيم
وإذا طلبت إلى لئيمٍ حاجةً ... فألحَّ في رفقٍ وأنت مديم

وقال آخر:

لا تطلبنَّ إلـى لـئيمٍ حـاجةً ... واقعد فإنَّك قائماً كالقـاعـد
ياخادع البخلاء عن أموالهـم ... هيهات تضرب في حديدٍ باردٍ

وقال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

أأطلب حاجتي أم قد كفانـي ... حياؤك إنَّ شيمتك الحـياء
كريمٌ لا يغـيِّره صـبـاحٌ ... عن الفعل الجميل ولا مساء
إذا أثنى عليك المرء يومـاً ... كفاه من تعرُّضه الثَّـنـاء

وقال جرير يخاطب عمر بن عبد العزيز:

أأذكر الضُّرَّ والبلوى التي نزلت ... أم أكتفي بالذي بلِّغت من خبري

وقال آخر:

كفاك مذكِّراً وجهي بأمـري ... وحسبي أن أراك وأن تراني

وقال آخر:

أروح بتسليمٍ عليك وأغتـدي ... وحسبك بالتَّسليم منِّي تقاضيا
كفى بطلاب المرء ما لا يناله ... عناءً وباليأس المصرَّح ناهيا

وقال آخر:

تخلَّ لحاجتي واشدد قواها ... فقد أمست بمنزلة الضَّياع
إذا أرضعتها بلبان أخـرى ... أضرَّتها مشاركة الرَّضاع

وقال آخر:

ولا تستعينَنَّ في حاجةٍ بمن يبتغي حاجةً مثلها
فينسى الَّذي كنت كلَّفته ويبدأ بحاجته قبلـهـا

وقال آخر:

وإذا يصيبك والحوادث جـمَّةٌ حدثٌ حداك إلى أخيك الأوثق

وقال أبو العتاهية:

اقض الحوائج ما استطع ت وكن لهمِّ أخيك فارج
فلخـير أيَّام الـفـتـى يومٌ قضى فيه الحـوائج

وقال الحارثي:

ومـا روضةٌ عـلـويَّةٌ أسـديَّةٌ منمنمةٌ زهراء ذات ثرى جعـد
سقاها النَّدى في غفلة الدَّهر نوءها فنوَّارها يهتز كالكوكب السَّـعـد
بأحسن من حرٍّ تضـمَّـن حـاجةً لحرٍ فأوفى بالنَّجاح وبـالـرِّفـد

قال عمر بن أبي ربيعة:

إنَّ لي حاجةً إليك فقالت بين أذني وعاتقي ما تريد

كان يقال:من بكر يوم السبت في حاجة،كان حقاً على الله قضاؤها.

قال بشار بن برد:

بكِّرا صاحبيَّ قبل السَّحور إنَّ جلَّ النَّجاح في التَّبكير

قالوا: من صبر على حاجة ظفر بها ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

اصبر على مضض الإدلاج في السَّفر وفي الرَّواح إلى الحاجات والبـكـر
لا تضجرنَّ ولا يعجزك مطلـبـهـا فالنُّجح يتلف بين العجز والـقـصـر
إنِّـي رأيت وفـي الأيَّام تـجــربةٌ للصَّبر عاقـبةً مـحـمـودة الأثـر
وقلَّ من جدَّ في شـيءٍ يطـالـبـه واستصحب الصَّبر إلاَّفاز بالظَّـفـر

وقال محمد بن بشير:

إنَّ الأمور إذا انسدَّت مسالـكـهـا فالصَّبر يفتق منها كلَّ مارتتجـا
لا تيأسنَّ وإن طالـت إذا استعنت بصبرٍ أن

مـطـالـبةٌ ترى فرجـا

أخلق بذي الصَّبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلـجـا

سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجة فلم يقضها له،وسألها غيره فقضاها إليه فكتب هذه الأبيات:

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتي ... تولَّى سواكم أجرها واصطناعها

أبى لك كسب الحمد رأيٌ مقصِّرٌ ... ونفسٌ أضاق الله في الخير باعها

إذا هي حثَّته على الخـير مـرَّةً ... عصاها وإن همَّت بسوءٍ أطاعها

الإلحاح لا يصلح ولا يحمل إلا على الله عز وجل. قال مؤرق العجلي: سألت ربي حاجة عشرين سنة، فماانقضت لي ولا يئست منها.

قال أبو العتاهية:

في النَّاس من تسهل المطالب أح ... ياناً عليه وربَّمـا صـعـبـت

ما كلُّ ذي حاجةٍ بمـدركـهـا ... كم من يدٍ لا تنال ما طلـبـت

من لم يسعه الكفاف مـعـتـدلاً ... ضاقت عليه الدُّنيا بما رحبـت

وقال القطامي:

قد يدرك المتأنِّي بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزَّلل

كان بنو يربوع يوصون أولادهم،فيقولون: استعينوا على الناس في حوائجكم بالتثقيل فذلك أنجح لكم.

قال أبو نواس:

ولن يدرك الحاجات من حيث ينبغي ... من النَّاس إلاَّ المصبحون على رجل

وقال أشجع السلمي:

ليس للحاجـات إلا ... من له وجهٌ وقاح

وابتـكـارٌ ودوامٌ ... وغـدوٌّ ورواح

إن تكن أبطأت الحا ... جة عنِّي والسَّراح

فعليَّ الجهد فيهـا ... وعلى الله النَّجاح

وقال آخر:

هيبة الإخوان قـاطـعةٌ ... لأخي الحاجات عن طلبه

فإذا ماهـبـت ذا أمـلٍ ... مات ما أمَّلت من سببـه

وقال آخر:

طلب الحوائج كلّها ... لا ترض معجزةً وأنت

تغـرير	قدير

وقال دعبل بن علي الخزاعي:

جئتك مستشفعاً بلا سبـب	إليك إلاَّ بـحـرمة الأدب
فاقض ذمامي فإنَّني رجلٌ	غير ملحٍّ عليك في الطَّلب

وقال آخر:

من عفَّ خفَّ على الصَّديق لقاؤه	وأخو الحوائج وجهه ممـلـول

وقال آخر:

وإذا هممت فأمض همَّك إنّما	صلب الحوائج كلها تغـرير

اختلف أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع في حاجة زماناً فلم يقضها له، فكتب إليه:

أكلّ طول الزِّمان أنت إذا ما	جئت في حاجةٍ تقول غـدا
لا جعل الله لـي إلـيك ولا	عندك ما عشت حاجةً أبـدا

وقال آخر وأظنه محمود الوراق:

وذي ثقةٍ تبدَّل حين أثـرى	وما شيمي موافقة الثِّقات
فقلت له عتبت عليَّ ظلماً	فراراً من مؤونات العدات
فعد لمودَّتي وعلـيَّ نـذرٌ	سؤالك حاجةً حتَّى الممات

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف:

لئن عدت بعد اليوم إنِّي لـظـالـمٌ	سأصرف نفسي حين تبغى المكارم
متى ينجح الغادي إلـيك لـحـاجةٍ	ونصفك محجوب ونصفـك نـائم

وقال الصلتان العبدي:

نروح ونغدو لحاجـاتـنـا	وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجـاتـه	وتبقى له حاجةٌ ما بـقـي

وقال أبو العتاهية:

متى تنقضي حاجات من ليس واصلاً **إلى حاجةٍ حتَّى تكون لـه أخـرى**

وقال آخر:

إنَّما تنجح المقالة في الـمـر **ء إذا صادفت هوىً في الفؤاد**

سئل بعض الحكماء حاجة فامتنع، فعوتب في ذلك، فقال:لأن يحمر وجهي مرة خير من أن يصفر وجهي مراراً.

قال منصور الفقيه:

من قال لا في حاجةٍ **مطلوبةٍ فما ظلـم**

وإنَّما الظَّالـم مـن **يقول لا بعد نـعـم**

وقال آخر:

إذا قلت في شيءٍ نعم فأتمَّـه **فإن نعم دينٌ على الحرِّ واجب**

وإلاَّ فقل لا تسترح وترح بها **لئلا يقول النَّاس إنَّك كـاذب**

وقال أبو العتاهية:

لا يزال المرء ما عاش لـه **حاجةٌ في الصَّدر منه تعتلج**

ربَّ أمرٍ قد تضايقـت بـه **ثمَّ يأتي الله منه بالـفـرج**

وقال آخر:

لئن أخطأت في مدحي **ك ماأخطأت في منعي**

لقد أحللت آمـالـي **بوادٍ غــير ذي زرع**

وقال آخر:

قد تخرج الحاجات ياأمَّ مالكٍ **كرائم من ربٍّ بهنَّ ضنين**

وقال أشجع السلمي:

قد خرجت حاجات أهل الحجا **بنجحها وامتنع المـنـهـج**

وليس فيهـم رجـلٌ واحـدٌ **منِّي إلى حاجـتـه أحـوج**

يريبني أنِّي أرى حـاجـتـي **تدخل في الحاج ولا تخـرج**

أقول إذا أقلـقـنـي عـاذلٌ **بكلِّ ما أكرهـه مـلـهـج**

قد يدرك الأمر أناة الفـتـى **ويسبق في الحاجة من يدلج**

باب السُّلطان والسِّياسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤلٌ عن رعيَّته،فالإمام الّذي على النَّاس راعٍ عليهم ومسؤلٌ عنهم، والمرأة راعيةٌ على مال زوجها وهي مسؤلةٌ عنه".
وقال عليه السلام: "الإمام العدل لا تكاد تردُّ دعوته".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المقسطون يوم القيامة على منابر من نورٍ عن يمين الرَّحمن وكلتا يديه يمين لا يفزعون إذا فزع النَّاس".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلُّ أميرٍ لم يحط رعيَّته بالنَّصيحة لم يرح رائحة الجنة" قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا يصلح هذا الأمر إلاّ شدةٌ في غير عنف، ولين في غير ضعف.
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لن يقيم أمر الناس إلا امرؤ حصيف العقدة بعيد الغور، لا يطّلع الناس منه على غوره، ولا يخاف في الله لومة لائم.
وعن عمر رضي الله عنه قال أيضاً: لا يقيم أمر الله إلاّ رجلٌ يتكلم بلسانه كله، يخاف الله في الناس، ولا يخاف الناس في الله.
لعليّ بن أبي طالب في أول كتاب كتبه: أمّا بعد، فإنه أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتري، وبسطوا الجور حتى اقتدي.
قال مجّاعة بن مرارة الحنفي لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما: إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه، ضاعت الأمور.
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الملك والدين أخوان، لا غنى بأحدهما عن الآخر،فالدّين أسّ، والملك حارس فما لم يكن له أس فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع.
قال عبد الله بن مبارك:

إنَّ الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانـا
كم يدفع الله بالسُّلطان معضلةً ... في ديننا رحمةً منه ودنيانـا
لولا الخلافة لم تأمن لنا سبلٌ ... وكان أضعفنا نهباً لأقـوانـا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمّ أحد على سلطانه، ولا يجلس على تكرمة إلا بإذنه".
كان يقال: شرّ الأمراء أبعدهم من العلماء،وشر العلماء أقربهم من الأمراء.
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من الملوك من إذا ملك زهّده الله فيما في يديه، ورغبه فيما يد غيره،وأشرب قلبه الإشفاق على ماعنده،فهو يحسد على القليل، ويتسخّط على الكثير.
ولّي عليُّ بن أبي طالب عمَّ المختار بن أبي عبيد عكبرا،وقال له بين يدي أهلها: استوف منهم خراجهم، ولا تجدن عندك ضعيفاً ولا رخصة. ثم قال له: رح إليَّ، قال: فرحت إليه، فقال لي: قد قلت لك بين أيديهم ما قلت، وهم قومٌ خدعٌ،وأنا الآن آمرك بما إن قبلته وإلا أخذك الله به دوني، وإن بلغني خلاف ما أمرتك به عزلتك، لا تتبعنّ لهم رزقاً يأكلونه، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا تضربن رجلا منهم سوطاً في طلب درهم،ولا تقمه

في السجن في طلب درهم، فإنا لم نؤمر بذلك، ولا تستعر لهم دابّة يعملون عليها، فإن أمرنا أن نأخذ منهم العفو.
قال عمرو بن العاص لابنه: يا بنيّ!! احفظ عني ماأوصيك به، إمام عدل خير من مطر وبل، وأسدٌ حطوم خيرٌ من إمام ظلوم، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم.
رسالة أردشير بن بابك إلى الملوك بعده.
من أردشير ملك الملوك، إلى الملوك الكائنين بعده: الخراج عمود المملكة بكنفه تعيش الرعية، وتحفظ الأطراف والبيضة، فاختاروا للعمل عليه أولى الطينة الحرة، من ذوي العقل والحنكة، وكفّوهم بسني الأرزاق يحموا أنفسهم من الارتفاق، فمااستغزر بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الجور.
ومن كلام الفرس في هذا الباب: لا ملك إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة ،ولا عمارة إلا بعدل.
ومن قولهم أيضاً: مثل الملك الذي يأخذ أموال رعيته ويجحف بهم، مثل من يأخذ الطّين من أصول حيطانه، فيطيَّن به سطوحه فيوشك أن تقع عليه البيوت.
ومن كلامهم أيضاً، وينسب إلى أرسطاطاليس: العالم بستانٌ سياجه الدولة، الدولة سلطان تحيه به السُّنة، السُّنة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يعضّده الجيش، الجيش أعوان يكنفهم المال، المال رزق تجمعه الرعية، الرعية عبيدٌ يتعبّدهم العدل، العدل مألوفٌ وهو صلاح العالم.
قال عبد الملك بن عمير: كان مكتوباً في مجلس زياد الذي يجلس فيه للناس بالكوفة، في أربع زوايا بقلم جليل: الوالي شديدٌ في غير عنف،ليِّنٌ في غير ضعف، العطية لأربابها والأرزاق لأوقاتها، البعوث لا تجمر، المحسن يحازى بإحسانه، والمسيء يؤخذ على يديه. فكان كلّما رفع رأسه قرأه.
قال قتيبة بن مسلم: ملاك الأمر في السلطان: الشِّدة على المذنب، واللِّين للمحسن، وصدق القول.
قال أشجع بن عمرو السلمي:

لا يصلح السُّـلـطـان إلاَّ شـدَّةٌ	تغشى البريء بفضل ذنب المجرم

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه عبد الملك: ياأمير المؤمنين! ماالسياسة؟ فقال: هيبة الخاصة مع شدع عفتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف منها. قال مسلمة بن عبد الملك: ماحمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم.

قال معاوية لابنه يزيد: أعط من أتاك صادقاً بما تكره،كما تعطي من أتاك بما تحب، واعلم أنه إذا أعطى الأمير على الهوى لا على الغنى فسد ملكه.
قيل لأنو شروان: إنك اصطنعت فلاناً ولا نسب له. فقال: اصطناعنا له نسبه.
قال أبو جعفر المنصور: الذي عليّ للرعية أن أحفظ سبلهم،فينصرفون آمنين في سبيلهم ولا يصدّون عن حجهم، وقضاء نسكهم، وأن أضبط ثغورهم، وأحصّنها من عدوهم وأن أختار قضاتهم، وأعزل بالحق كيلا يصل ظلم بعضهم إلى بعض، وأن أرفع أقدار فقهائهم وعلمائهم، وأكف جهالهم عن حكمائهم.
كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجَّاج: صف لي الفتنة حتى كأني أراها رأي العين. فكتب إليه: لوكنت شاعراً لوصفتها لك في شعري، ولكني أصفها لك بمبلغ رأيي وعلمي، الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى، فلما قرأ كتابه، قال: إن ذلك لكما وصفت، فخذ من قبلك بالجماعة، وأعطهم عطايا الفرقة، واستعن عليهم بالفاقة،فإنها نعم العون على الطاعة، فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله.
قال بعض الحكماء من ملوك الفرس، لحكيم من حكماء مملكته: أي الملوك أحزم؟ قال:من غلب جدُّه هزله، وقهر لبُّه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يختدعه رضاه عن خطئه، ولاغضبه عن كيده.
لما أراد عمرو بن العاص المسير إلى مصر، قال له معاوية: إني أريد أن أوصيك. قال: أجل. فأوص. قال: انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع.
قال بعض الحكماء: الرعية للملك كالروح للجسد،فإذا ذهب الروح فني الجسد.
وروى الهيثم بن عديّ، عن مجالد، عن الشعبي، قال عمر بن الخطاب: دلّوني عن رجل أستعمله فقد أعياني أمر المسلمين. قالوا له: عبد الرحمن بن عوف، قال لهم: ضعيف، قالوا له: فلان. قال: لا حاجة لي به. قالوا :فمن تريد؟ قال: رجل إذا كان أميرهم كان كأنّه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم. قالوا: ما نعلمه إلا الرّبيع بن زياد الحارثي. قال: صدقتم.

قال أبو عمر: والربيع بن زياد هذا، كان فاضلا جليلا في قومه،ولاَّه معاوية خراسان، فاستكتب الحسن بن أبي الحسن فكان كاتبه، فلما بلغه قتل معاوية حجر بن عديّ، قال: الَّلهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجّل، فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات. كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم: قلوب الرعية خزائن ملوكها، فما أودعوها فليعلموا أنه فيها.
قال الإسكندر لأرسطاطاليس:أوصني. قال: فانظر من كان له عبيد فأحسن سياستهم فولّه الجند، ومن كانت له ضيعةٌ فأحسن تدبيرها فولّه الخراج.
وقال بعض الحكماء: لا تصغِّر أمر من جاء يحاربك، فإنك إن ظفرت لم تحمد وإن عجزت لم تعذر.
قيل لكسرى ذي الأكتاف، وكان ضابطاً لمملكته: بم ضبطت ملكك? قال: بثمان خصال، لم أهزل في أمر ولا نهي، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً، ووليّت للغنى لا للهوى، وعاقبت للأدب لا للغضب، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة،وملأتها محبة من غير جرأة،وأعطيتها القوت، ومنعتها الفضول.
قال عبد الملك بن عمير: سمعت زياداً وهو يخطب، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي ملّكنا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوَّلنا، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسنَّا، ولكم العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ومحض ودّنا بمناصحتكم، ومهما قصَّرت فيه من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث:لست محتجباً عن ذي حاجة ولو أتاني طارقاً بليل، ولا مجمِّراً لكم جيشاً، ولا حابساً عنكم عطاء ولا رزقاً لإبّانة، فادعوا الله لأئمتكم بالصلاح، فإنهم ساستكم المذبُّون وكهفكم الذي إليه تأوون،فإن تصلحوا يصلحوا، ولا تشعروا قلوبكم بغضتهم فيشتدَّ غيظكم، ويطول حزنكم، ولا تدركوا حاجتكم، فإنه لو استجيب لكم فيهم كان شراً لكم، نسأل الله أن يعين كلاًّ على كلّ.
كان يقال: ينبغي للملك أن يعمل بثلاث خصال: تأخير العقوبة عند الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه، والعمل بالأناة فيما يحدث له، فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو،وفي تعجيل المكافأة بالإحسان: المسارعة إلى الطاعة، وفي الأناة انفساح الرأي وإيضاح الصواب. كان يقال: من سعى بدليل في التدبير لم يقعد به إلاّ سابق قضاء لا يملك.
ذكر المبرّد قال: كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قد

رتّبهم لمشورته فقصّروا في الرأي، دعا الذين قد وكّلهم في أرزاقهم فعاقبهم، فيقولون: يخطئ أهل مشورتك فتعاقبنا نحن. فيقول: نعم. إنهم لم يخطئوا إلاّ بتعلق قلوبهم بأرزاقهم فإذا اهتمُّوا لحاجاتهم أخطأوا.

قال بعض الحكماء لبعض الملوك: أوصيك بأربع خصال ترضى بهن ربَّك، وتصلح معهن رعيتك: لا يغرنَّك ارتقاء السهل إذا كان المنحدر وعراً، ولا تعدن وعداً ليس في يديك وفاؤه، واعلم أن الأمور بغتاتٌ فبادر، واعلم أن الأعمال جزاء، فاتَّق العذاب.
قال زياد: كمال الرأي شدةٌ في غير إفراط، ولين في غير إهمال.
ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب، فقال:إني أجد في الإنجيل: لا ينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يلتمس الحلم، ولا ينبغي له أن يكون جائراً ومن عنده يلتمس العدل.
سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام أن يعرّفهم الزمان الذي يرضى فيه الله عن الناس، فقال: إذا استعمل منهم الهيِّن البرّالخّير.
وفي خبر آخر: علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم، وأن ينزل الغيث في أوانه، وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم، وينزل عليهم الغيث في غير أوانه.
قال معاوية لابن الكوَّاء: صف لي الزمان، فقال: أنت الزمان إن تصلح يصلح، وإن تفسد يفسد.
خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"صنفان من أمَّتي إذا صلحا صلح الناس، الأمراء والعلماء".
قال الأحنف بن قيس: كلّ ملك غدور، وكلّ دابة شرود، وكل امرأة خئون??.
قال الأعور السلمي: يا معشر بني سليم أنذركم السلطان فإنه أصبح صعباً حنوطاً يغضب كما يغضب الصبي، ويفترس كما يفترس الأسد.
قال عبد الملك بن مروان: لقد كنت أمشي في الزرع فأتقي الجندب أن أقتله، وإن الحجاج اليوم ليكتب إليّ بقتل فئام من النّاس فما أحفل بذلك.
قال بعض الولاة لأعرابي: قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً، فقال وأنت فاعمل به، فما توعَّدك الله به أشدُّ مما توعدني به.
قيل لملكٍ زال عنه ملكه: لم زال عنك ملكك? قال:لمدافعتي عمل اليوم إلى غد.

قال ابن شبرمة: من أكل من حلوائهم انحطّ؟ في أهوائهم.
قال كسرى لوزيره: إياك أن تدخل عليّ كثيراً فأملّك فتثقل عليّ حوائجك، ولا تطل الغيبة عني فأنساك.
قال بعض الحكماء: من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم.
قال ابن المعتز: أشقى النَّاس بالسُّلطان صاحبه، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقاً.
قال الشاعر:

إنَّ الملوك بلاءٌ حيثمـا حـلُّـوا	**فلا يكن لك في أفنائهـمـ ظـلُّ**
وما تريد بقومٍ إن هم سخطـوا	**جاروا عليك وإن أرضيتهم ملُّوا**
وإن مدحتهم ظنُّوك تخدعـهـم	**واستثقلوك كما يستثقل الـكـلُّ**
فاستغن بالله عن أبوابهـم أبـداً	**إنَّ الوقوف على أبوابـهـم ذلُّ**

قالوا: السلطان كالنار، من تباعد منها لم ينل من دفئها شيئاً،ومن تقرب منها أحرقته.
ذكر أعرابي الملوك فقال: الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه، شاهده يظهر حبك، وغائبه يبتغي غيرك.
قال المأمون: لو كنت مع العامة لم أصحب السلطان.
قال أبو قردودة:

إنِّي نهيت ابن عمَّارٍ وقلت لـه	**لا تأمنن أحمر العينين والشَّعره**
إنَّ الملوك متى تنزل بساحتهـم	**يطر بثوبك من نيرانهم شرره**

وقال آخر:

إذا ضحك الأمير إليك فاعلم	**بأنَّ ضميره لك مستـقـيم**
ولا تحفل بضحكٍ من كفيٍّ	**فكلُّ النَّاس ضحكهم سقـيم**

قال العباس بن محمد المنصور: ياأمير المؤمنين؟ إنما هو سيفك ودرعك،فادرع بدرعك من شكرك واحصد بسيفك من كفرك.
قالوا:لا تغتر بالأمير إذا غشك الوزير.
ومنهم من قال: لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير.
جلس معاوية يأخذ البيعة على الناس من عليّ. فقال رجل ياأمير المؤمنين إنا نطيع أحياءكم، ولا نبرأ من موتاكم. فالتفت معاوية إلى المغيرة بن شعبة فقال: رجل فاستوص به خيراً.

كان يقال:إذا نزلت من الوالي بمنزلة الثّقة فاعزل عنه كلام الخنا والملق، ولا تكثرنّ له الدعاء في كل كلمة،فإن ذلك يشبه الوحشة، وعظّمه ووقّره في الناس.
قال الشعبيّ: أخطأت عند عبد الملك بن مروان في أربع: حدثني بحديث يوماً فقلت :أعده عليّ فقال: أما علمت أن أمير المؤمنين لا يستعاد وقلت له حين أذن لي عليه: أن الشعبي فقال: ما أدخلناك حتى عرفناك. وكنيت عنده رجلا، فقال أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أميرالمؤمنين. وحدثني بحديث فسألته أن يكتبه. فقال:إنا نكتِّب ولا نكتُّب.
وهذا الخبر عندي غير صحيح، لأن المحفوظ عن الشَّعبي أنه قال: مااستعدت حديثاً قط. ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبي.
قال الشعبي:قال لي عبد الملك جنبني ثلاثاً وأورد عليَّ ما شئت، لا تطرني في وجهي، فأنا أعلم بنفسي، وإياك أن تغتاب عندي أحداً، واحذر أن أجد عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً.
وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما.
قال عبد الله بن عباس، قال لي أبي:إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب- يدنيك دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثاً: لا يجدنّ عليك كذباً، ولا تغتابن عنده مسلماً،ولا تفشين له سرّاً. فقيل له:يا ابن عباس كل واحدة خير من ألف،فقال: كل واحدة خير من عشرة آلاف.
قال عمر بن الخطاب لهنيّ إذ ولاه الحمى:يا هني اضمم جناحك، واتق دعوة المظلوم.
قال الفرزدق:

قل لنصرٍ والمرء في دولة السُّلـ طان أعمى ما دام يدعى أميرا
فإذا زالـت الـولاية عـنــه واستوى بالرجال كان بصـيرا

قال المهلب لابنه:يا بني اخفض جناحك واشتدّ في سلطانك،فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن.
كان يقال: ثلاثة من عازّهم رجعت عزّته ذلاًّ، السَّلطان والوالد والعالم.
كان يقال: أربعة تشتد معاشرتهم المتواني، والفرس الجموح، والسلطان الشديد المملكة والعالم.
بصق عبد الملك يوماً فقصر بصاقه، فوقع فوق البساط، فقام رجل من المجلس يمسحه بثوبه. فقال عبد الملك: أربعة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والضيف، والدابة. وأمر للرجل بصلة.
كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عامل له: إنّ مدينتنا قد احتاجت إلى مرمّة. فكتب إليه عمر: حصّن مدينتك بالعدل، ونقّ طريقها من الظلم. قال معاوية بن أبي سفيان:من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل.
قال محمد بن كعب القرظي: قال لي عمر بن عبد العزيز:صف لي العدل يا ابن كعب. قلت: بخ بخٍ، سألت عن أمر عظيم. كن لصغير الناس أباً، ولكبيرهم ابناً،وللمثل منهم أخاً،وللنساء كذلك،وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتكون من العادين.

كان يقال: ليس شيءٌ أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته.
قال زياد لابنه عبيد الله يا بنيّ:إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له، واصفح صفحاً جميلا، ولا تريّن متهالكا عليه، ولا منقبضاً عنه.
قال مالك: قيل لأبي الدرداء: يردُّك معاوية، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال اللّهمَّ غفراً. من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد.
قال معاوية: لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي.
قال معاوية يوماً، وقد ذكر من كان قبله:أما أبو بكر فهرب عن الدنيا،وهربت عنه. وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه، وأما أنا فقد داستني الدنيا ودستها.
قال أبو عمر رضي الله عنه: سكت عن عليّ، وأنا أقول: وأما عليّ فأصابت الدنيا منه ولم يصب منها.
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:إني لأستعمل الرجل، وأدع خيراً منه، وذلك أني أستعمله لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأياً، وأشد جرأة، وأصبر على الجوع والعطش. وقد روي هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
كان يقال: يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه. قال المهلب: خير الولاة من كان في رعيته كأنه غائب عنها، وهو شاهد فيها وكان المحسن في أيامه آمناً والمسيء خائفاً.
وقال بعض الحكماء الناس يحبّون سلطانهم على الدِّين، والتواضع ولين الجانب، وينقادون لشدة الطّيش.
قال أبو العتاهية:

رضيت ببعض الذُّلِّ خوف جميعه ... وليس لمثلي بالـمـلـوك يدان
وكنت امرءاً أخشى العقاب وأتَّقي ... مغبَّة ما تجني يدي ولـسـانـي
ولوأنَّني عاندت صاحـب قـدرةٍ ... لعرَّضت نفسي صولة الحدثـان
فهل من شفيعٍ منك يقبل توبتـي ... فإنِّي امرؤٌ أو في كلِّ ضـمـان

وقال الحسن بن سهل :

فرضت عليَّ زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين وأشفعـا
فإذا ملكت فجد وإن لم تستطـع ... فاجهد بجهدك كلّه أن تنفـعـا

وقال آخر:

ليس في كلِّ ساعةٍ وأوان ... تتهيَّا صنائع الإحسـان
فإذا أمكنت فبادر إليهـا ... حذراً من تعذُّرِ الإمكان

كان زياد إذا أتي بصاحب زلة، أخرّ عقوبته أياماً يسأل عن قضيته مخافة الزيادة في العقوبة. صعد عبد الملك المنبر، فقال في خطبته: يا معشر رعيتنا سألتمونا سيرة أبي بكر وعمر، ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية أبي بكر

وعمر، ولكن نسأل الله أن يعين كلاً على كل. تعرَّض رجل للحسن بن سهل، فقال:من أنت؟ فقال: أنا الذي أحسنت إليَّ عام كذا فقال الحسن: مرحباً بمن توسل إلينا بنا.
وهذا عندي مأخوذ من قول معاوية: أحب الناس إلي، من له عندي يد ثم أحبهم إليّ بعده من لي عنده يد.
قال الشعبي:دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت على فعل مالم تفعل أقدر منك على ما فعلت، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة. قال: صدقت يا شعبي. وأمر بالرجل إلى السجن.
قال المأمون: تحتمل الملوك لأصحابهم كل شيء إلا ثلاث خصال:القدح في الملك، وإفشاء الأسرار، والتعرض للحرم.
روى ابن دريد، عن ابن أخي الأصمعي، عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء أنه دخل على سليمان بن علي،فسأله عن شيء فصرفه عنه، فغضب سليمان بن علي فخرج أبو عمرو وهو يقول:

أنفت من العار عند الملوك	**وإن أكرموني وإن قرَّبوا**
إذا ما صدقتهم خفـتـهـم	**ويرضون منِّي بأن يكذبوا**

قيل للعتابي: لم لا تخدم الأمير؟ أو لا تكتب للأمير، فقال: لأني رأيته يعطي رجلاً ألف مثقال بلا خصلة، ويرمي آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب، فلا أدري أي الرجلين أكون عنده، مع أن الذي أعطي في ذلك، أكثر من الذي آخذ -يريد مهجته- وركوب الغرر فيها معه، والعتابي هو القائل:

تلوم على ترك الغـنـى بـاهـلِّـيةٌ	**زوى الدَّهر عنها كلَّ طرفٍ وتالـد**
رأت حولها النِّسوان يرفلن في الكسى	**مقـلَّـدةً أجـيادهـا بـالـقـلائد**
يسرُّك أنِّي نلت ما نـال جـعـفـرٌ	**من الملك أو ما نال يحيى بن خالـد**
وأنَّ أمير المؤمـنـين أغـصَّـنـي	**مغصَّهما بالمرهـفـات الـبـوارد**
ذريني تجئني ميتـتـي مـطـمـئنَّةً	**ولم أتجشَّم هول تـلـك الـمـوارد**
وإنَّ كريمات المعـالـي مـشـوبةٌ	**بمستودعاتٍ في بـطـون الأسـاود**

وقال الغزال:

وإن أعطيت سلطانـاً	**فحاذر صولة الزَّمـن**

أخو السُّلطان موصوفٌ بحسن الرَّأي والفطن
فسـاعة مـا يزاولـه رماه النَّاس باللَّـعـن
ويصبح رأيه المحمـو د منسوباً إلى الأفـن
وتبصر في مطِّـيتـه سقوط العـين والأذن
وتسترخي مفاصـلـه وتكسى كسوة الحزن
كأن بشاشة السُّلـطـا ن حين تزول لم تكن

وقال إدريس بن مقيم الإشبيلي:

قالوا تقرَّب من السُّلطان قلت لهم: يعيذني الله من قرب السَّلاطـين
إن قلت دنيا فلا دنيا لممـتـحـن أو قلت دينٌ فلا ديناً لمـفـتـون

قيل لأعرابي: من أنعم النّاس عيشاً؟ قال: من لم يعرف السلطان ولم يعرفه السلطان، وكان في كفاف وغنى.
وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم، وترك معاشرتهم.
قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:حدثونا أن الحسن البصري نظر إلى قوم صحبوا السلطان واتسعت دنياهم، فقال:ماتنظرون إليهم، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة لقد عجل لهم قليل من كثير ذخرلهم، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلاً من كثير صرف عنهم فأتاهم، فارحموا ولا تغبطوا.
أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف لنفسه:

مايشتهي قرب السَّلاطـين غير ضعيف العقل مجنون
لا تكذبن عنهم فما صحبهم منهم علـى دنـيا ولا دين
دنياهم بالخزي موصـولةٌ ولا تسل عن دين مفتـون
خيرهم فاعلمه لا يرتجـى وشرُّهم ليس بـمـأمـون
لا رأي لهم في نيل دنياهم حسبي بأن يسلم لي دينـي

شكت الرعية بعض العمال، فارتضى العامل بسهل بن عاصم فسأله الأمير:فقال: مافي عاملك مايشتكى إلا أن الله أمر بأمرين، امتثل فينا أحدهما وترك الآخر، قال الله عز وجل: "إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان"، فعدل فينا ولم يحسن إلينا، وفي العدل بغير إحسان عطب الرعية، فقال له الأمير: صدقت قد وليتك مكانه.
ومن كلام ابن المعتز في هذا الباب: لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خاشعة، وجسم متعب، ودين منثلم.

من شارك السلطان في عز الدنيا، شاركه في ذل الآخرة.
فساد الرعية بلا ملك، كفساد الجسم بلا روح.
إذا زادك الملك إيناساً فزده إجلالا.
لا تلبسن بالسلطان في وقت التباس الأمور عليه واضطرابها، فإن البحر لا يكاد يسلم راكبه في حال سكونه، فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه.
ريح السلطان على قوم سموم، وعلى قوم نسيم.
الملك حقُّ الملك، من نشر أنواع الفضل وبسط أنواع العدل، وجانب المطامع الرديئة، والمطاعم الدنيئة.
قال مطرِّف لا تنظر إلى خفض عيش الملوك،ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم، وسوء منقلبهم. سئل رجل من بني أمية عاقل، فقيل له: أخبرنا عن أول شيء كان بدء زوال ملككم، فقال: سألت فاسمع، وإذا سمعت فافهم. تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعها، وأبرموا أموراً أسروها عنا، فظلمت رعيتنا، ففسدت نياتهم لنا، وجدب معاشنا فخلت بيوت أموالنا، وقل جندنا فزالت هيبتنا، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم علينا، وكان أكثر الأسباب في ذلك استتار الأخبار عنا.
أنشدني أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب لنفسه:

إذا ما الله شاء صلاح قـومٍ	أتاح لهم أكابر مصلحـينـا
ذوي رأيٍ ومعرفةٍ وفـهـمٍ	وإعداد لما قـد يحـذرونـا
فلم يستأثروا بكثير جـمـعٍ	وكانوا للمصالح مؤثـرينـا
ويسَّرهم لفعل الخير فـيمـا	إليهم من أمور المسلمـينـا
وإن يشأ الإله فـسـاد قـومٍ	أتاح لهم أكابر معـتـدينـا
ذوي كبرٍ ومجهلةٍ وجـبـنٍ	وإهمالٍ لما يتـوقَّـعـونـا
فظلُّوا يشرهون ويجمعونـا	وليسوا في العواقب يفكرونا
وجاروا حيثما أمروا بعـدلٍ	كأن قد قيل كونوا جائرينـا

وقال الأفوه الأودي:

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهَّـالـهـم سـادوا
إذا تولَّى سراة الـقـوم أمـرهـم ... نما على ذاك أمر القـوم وازدادوا
تلقى الأمور بأهل الرأي قد صلحت ... وإن تولت فبالأشـرار تـنـقـاد

وقال محمد بن نصر:

لا تحقرنَّ امرءاً إن كان ذا ضعة ... فكم وضيعٍ من الأقوام قد رأسا
فربّ قومٍ حقرناهم فلم نـرهـم ... أهلا لخدمتنا صاروا لنا رؤسـا

من الأمثال في السُّلطان وصحبته
إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة.
لا صلاح للخاصَّة مع فساد العامة، ولا نظام للدَّهماء مع دولة الغوغاء.
الحكم ميزان الله في الأرض.
كلُّ الناس أحقّاء بالسجود لله عزّ وجلّ، وأحقّهم بالسجود لله والتواضع له من رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه.
كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان.
لا رحم بين الملوك وبين أحد.
للملوك بدوات.
الملك عقيم.
الملك يبقي على الكفر، ولا يبقى على الظلم.
سكر السلطان أشدُّ من سكر الشراب.
السلطان كالنار:إن باعدتها بطل نفعها، وإن قاربتها عظم ضررها.
جاور ملكاً أو بحراً.
صاحب السلطان كراكب الأسد، يهابه الناس وهو لمركبه أهيب.
أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية.
السُّلطان كالسُّوق ما نفق فيها جلب إليها.
إن كان البحر كثير الماء فإنه بعيد المهوى.
السُّلطان إذا قال لعماله :هاتوا، فقد قال: خذوا.
الناس على دين الملك.
عفو الملوك أبقى للملوك.
من خدم السلطان خدمه الإخوان.
ثلاثة لا أمان لهم: السّلطان والبحر والزمان.

من تحسَّى مرقة السُّلطان أحرقت شفتاه ولو بعد حين.
مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه، فكان أبعدهم في المرتقى أقربهم من التلف.
باب الكتّاب والكتابة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"نحن أمّة أمِّيةٌ لا نكتب ولا نحسب".
وروي عنه عليه السلام أنه قال: "من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويقبض المال،ويكثر التجار،و يظهر القلم".يعني الكتابة.
قال الحسن البصري: لقد أتى علينا زمان وإنما يقال:تاجر بني فلان وكاتب بني فلان، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد، قال الحسن: لقد كان الرجل يأتي الحي العظيم فلا يجد به كاتباً.
وفي الحديث المرفوع: "فشوُّ القلم، وفشو التجارة من أشراط الساعة" يعني بقوله فشو القلم: ظهور الكتابة وكثرة الكتّاب.
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"أتربوا الكتب وسجُّوها من أسفلها فإنه أنجح للحاجة".
وفي خبر آخر عنه عليه السلام: "إذا كتب أحدكم في حاجة فليترب كتابه، فالبركة في التراب".
وروى عن بعض أهل التفسير في قول الله عز وجل حاكياً عن يوسف عليه السلام: "اجعلني على خزائن الأرض إنِّي حفيظٌ عليمٌ". قال كاتب حاسب.
كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم: أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعلي وعثمان، وحنظلة الأسديّ،ومعاوية، وعبد الله بن الأرقم، وكان كاتبه المواظب له في الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها،فتعلمها في ثمانية عشر يوماً.
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: إذا كتبت فألن دواتك، وأطل من قلمك،وفرج بين السطور، وقارب بين الحروف.
كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله:إذا كتبتم فأرقّوا الأقلام، وأقلوا الكلام واقتصروا على المعاني، وقاربوا بين الحروف، تكتفوا من القراطيس بالقليل.
كانت العرب تسمي كل صانع قيناً إلاّ الكاتب.
قالوا: القلم أحد اللسانين.
قالوا: الخطّ الحسن يزيد الحق وضوحاً.

قال المأمون: الخطّ لسان اليد، وهو أفضل أجزاء اليد.
قال بعض الملوك:للكاتب الناصح ثلاث خصال: رفع الحجاب عنه، واتهام الوشاة عليه،و دفع غائلة العدوّ عنه.
قال ابن القرِّيّة:خط القلم يقرأ بكل مكان، وفي كل زمان، ويترجم كل لسان، ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان.
قال أبو ساسان حضين بن المنذر:ما رأيت بارياً لا يقيم الخط إلا رأيته لا يقيم الشعر.
قيل لنصر بن سيار: فلان لا يخطّ، قال :تلك الِّزمانة الخفية.
قال بعض البلغاء:صورة الخط في الإبصار سواد، وفي الأنصار بياض، وهذا عندي مأخوذ من قول ابن المعتز: القلم يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء. أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب عليهم،فكتب إليه بعضهم من طريق السجن:

أطال الله عمرك في صلاحٍ	وعزٍّ ياأمير المؤمـنـينـا
بعفوك نستجير فإن تجرنـا	فإنَّك رحمةٌ للعالـمـينـا
ونحن الكاتبون وقد أسـأنـا	فهبنا للكرام الكـاتـبـينـا

وذكر هذا الخبر الحارث بن أسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء، وفي أخبار المنصور: أن أحزاباً من الكتاب ترددوا في ديوان داره، فأمر بإحضارهم وتقدم من تأديبهم، فقال واحد منهم، وهو يضرب: أطال الله عمرك،وذكر الأبيات الثلاثة فعفا عنهم وأمر بتخليتهم.
قال ابن القاسم: سئل مالك عن النصراني أيستكتب؟ قال: لا أرى ذلك، وذلك أن الكاتب يستشار، فيستشار هذا في أمور المسلمين! ، ما يعجبني أن يستكتب.
قال بعض الحكماء لبنيه: يا بني تزيوا بزيّ الكتّاب، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة. قدم كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب، وعنده أبو موسى، فقال له: يا أبا موسى! ادع كاتبك حتى يقرأ كتاب أبي عبيدة بالفتح. فقال: إنه لا يدخل المسجد.قال: ولم، أجنبٌ هو؟ قال: لا. ولكنه نصرانيّ، فصاح عليه صيحة وانتهره، قال: عزمت عليك إلا عزلته، ثم قال: لا تقرّبوهم بعد أن أبعدهم الله، ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله، ولا تشاوروهم بعد أن جهّلهم الله، قال أبو موسى: فعزلته وطردته.

قال أبو عمر رحمه الله: كيف يؤتمن على سر أو يوثق به في أمر، من دفع القرآن وكذب النبي عليه السلام.
استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء، فأذن له، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلاً يهوديَّاً كاتباً، كانت له منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته، فلما رآه الفقيه قال -وقد كان المأمون أومأ إليه بالجلوس-: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس قال: نعم، فأنشده:

إنَّ الَّذي شرِّفت من أجله	**يزعم هذا أنَّـه كـاذب**

وأشار إلى اليهوديّ، فخجل المأمون ووجم، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوباً على وجهه، وأنفذ عهداً باطّراحه وإبعاده، وألاّ يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله. اسم الكتّاب بالفارسية ديوان، أي شياطين، لحذقهم بالأمور ولطفهم، فسمي الديوان باسمهم.
قال الزبير بن أبي بكر: كتب إليّ المغيرة بن محمد يستبطئ كتبي، فكتبت إليه:

ماغيَّر النَّأي ودَّاً كنت تعهده	**ولا تبدَّلت بعد الذكر نسيانـا**
ولا حمدت إخاءً من أخي ثقةٍ	**إلاَّ جعلتك فوق الحمد عنوانا**

باب الظُّلم والجور

قال الله عز وجل: "وقد خاب من حمل ظلماً".
وقال عزوجل: "ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً".
وفي صحف إبراهيم عليه السلام:اتق دعوة المظلوم، فإني لا أردّها، ولو كانت من كافر أقول: وعزتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منَّا من ظلم مسلماً أو ضرَّه أو عزَّه أو ناكره". وروي عنه عليه السلام أنه قال: "ما تبالي حسَّنت جوراً أو دخلت فيه، وفتحت عدلا، أو خرجت منه". وقد روي هذا من كلام علي رضي الله عنه فالله أعلم.
لمرة بن محكان في الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي:

??أحار تبيَّن في الأمور فـإنَّـه	**إذا الأمير عدا في الحكم أو فسدا**
فإنَّك محلولٌ علـيك وظـاعـنٌ	**فمهما تصبه اليوم تدرك به غدا**

وقال آخر:

نخاف على حاكمٍ عـادلٍ	**ونرجو، فكيف لمن يظلم**
إذا جار حكم امرئٍ ملحدٍ	**على مسلمٍ هلك المسلـم**

الظلم في وضع كلام العرب: وضع الشيء في غير موضعه، وأخذ المرء ما ليس له،ومن ذلك قولهم: من أشبه أباه فما ظلم، أي ما وضع الشبه في غير موضعه.
فكل مسيءٍ ظالم، تقول العرب للمسيء المفرط في الإساءة: هذا أظلم من حية، وأظلم من ذئب، قال عمرو بن بحر: لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً،وهي تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخشاش

والهوامِّ فيهرب أهله عنه ويخلّونه لها خوفا منها.
قال مضرّس بن لقيط الفقعسي:

إذا قلت الداء بيني وبينهم أتى حاطبٌ منهم لآخر يقبس
لعمرك لو أنّي أخاصم حيّةً إلى فقعسٍ ما أنصفتني فقعس
فما لكم إليَّ كأنَّكم ذئاب الغضا والذئب بالّليل أطلس

ويقولون أيضاً:هو أظلم من ذئب، وأظلم من ورل، كما يقولون:أظلم من حية، وذلك أن الورل يقوى على الحيات كلها، ويأكلها أكلا ذريعاً، وكل شدة يلقاها ذو جحر من الحية تلقى مثل ذلك من الورل، والورل ألطف بدناً من الضب، ولكنه أشد من الضب وأجود سلاحاً، وله شحمة والأعراب يستطيبون لحم ذنبه،والورل دابة خفيفة الرأس والحركات ذاهباً وجائياً، ويميناً وشمالاً، وليس شيء بعد العظاء شيء أكثر تلفتاً منه، وبراشن الورل أقوى من براشن الضب،حكى ذلك كله عمرو بن بحر.
قال: ومن أمثال العرب: من استرعى الذئب ظلم، وأنشد لبعض بني جعفر ابن كلاب يضرب المثل بجور الحية والذئب:

كأنَّني حين أحبو جعفراً مدحي أسقيهم طرق ماءٍ غير مشروب
ولو أخاصم أفعى نابها لثقٌ أو الأساود من صمِّ الأهاضيب
لكنتم معها إلباً وكان لها نابٌ بأسفل ساقٍ أو بعرقوب
ولو أخاصم ذئباً في أكيلته لجاءني كلُّهم يسعى مع الذيب

قال بعض الحكماء:أعجل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها: سرعة ظلم من لا ناصر له إلا الله، ومجاورة النعم بالتقصير، واستطالة الغنيّ على الفقير.
روي عن مجاهد أنه قال: المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة.
إنما شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية حرب الفجار، وظهرت العرب على الفرس يوم ذي قار، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا فيها مظلومين.
فأما حرب الفجار فكانت بين بني عامر بن صعصعة وبين قريش، وذلك أن بني عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش وكنانة، بجريرة البرَّاض بن قيس في قتله عروة الرجال، وكان البراض خليعاً فاتكاً، فأقامهم إلى حربهم، فألزموهم ذنب غيرهم ظالمين لهم، فلذلك شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم دافعوا عن أنفسهم وديارهم وأموالهم، ونصروا بحضور النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك نصرت العرب على

فارس يوم ذي قار برسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي: كانت وقعة ذي قار قبل وقعة بدر بأشهر، والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فلما بلغه ذلك، قال: "هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم".
قال هشام: حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: ذكرت وقعة ذي قار عند النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: "ذلك أوّل يومٍ انتصفت فيه العرب من العجم".
خرج الأضبط بن قريع السعدي من بني سعد، فجاور ناساً، فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم ورجع إلى قومه، وقال: بكل واد بني سعد، فأرسلها مثلا.
وقال الأشعر الرَّقبان الأسدي في قصيدة له:

وأنت مليخٌ كلحم الـحـوار	**فلا أنت حلوٌ ولا أنت مـرّ**
وحسبك في النَّاس أن يعلموا	**بأنَّك فيهم غنـيٌّ مـضـرّ**

ومن أمثالهم: من لم يكن ذئباً أكلته الذئاب، وكان الشعبي إذا تمثل بذلك يقول ومن ذا الذي يرضى أن تأكله الذئاب.
ولعبيد بن أيوب وكان قد تاب فظلم، فهم بمراجعة الضلال، فقال:

ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي	**فتبت فأزمعوا أن يظلمونـي**
فلست بصـابـرٍ إلا قـلـيلاً	**فإن لم يرعووا راجعت ديني**

قال زهير:

..ومن لا يظلم النَّاس يظلم

أخذه ابن دريد فقال:

من ظلم النَّاس تحاموا ظلمه	**وعزَّ عنه جانباه واحتمـى**

وقال المتنبي:

والظُّلم من شيم النُّفوس فإن تجد	**ذا عفَّةٍ فلـعـلَّةٍ لا يظـلـم**

وله أيضاً:?

ومن عرف الأيَّام معرفتي بهـا	**وبالنَّاس روَّى رمحه غير راحم**

وهذه الأخلاق أخلاق الفسّاق، ومن لم يتأدب بأدب القرآن،ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة، وأين قول المتنبي من قول محمود الوراق:

إنِّي وهبت لظالمي	**وغفرت ذاك له على**

ظلمـي علمي
ورأيتـه أسـدى إلــيَّ يداً فأبان منه بجهله حلـمـي
رجعت إساءته عـلـيَّ لـه حسناً فعاد مضاعف الجرم
وغدوت ذا أجرٍ ومحـمـدةٍ وغدا بكسب الـذَّمِّ والإثـم
فكأنَّما الإحسـان كـان لـه وأنا المسيء إليه في الحكم
مازال يظلمني وأرحـمـه حتَّى بكيت له من الظّـلـم

وله أيضاً:

اصبر على الظُّلم ولا تنتصر فالظُّلم مردودٌ على الظّـالـم
وكل إلى الله ظلموماً فما ربِّي عن الظَّالم بـالـنَّـائم

وقال آخر:

نامت جفونك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال آخر:

ومامن يدٍ إلاَّ الله فوقهـا ولا ظالمٌ إلاَّ سيبلى بظالم

وقال آخر:

فإن قلتم إنَّا ظلمنا فلم نكن ظلمنا ولكنَّا أسأنا التَّقاضيا

وقال آخر:

تأنَّ ولا تعجل وكن مترفِّقـا؟ وكن راحماً بالنَّاس تبلى براحم

كان يقال:إذا دعتك الضرورة إلى ظلم من هو دونك فاذكر قدرة الله تعالى على عقوبتك، فأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.
قال الشاعر: ?ونستعدي الأمير إذا ظلمنا=فمن يعدي إذا ظلم الأمير

إذا كان الأمير عليك خصماً فلا تكثر فقد غلب الأمير

وقال آخر:

والخصم لا يرتجى النَّجاح له يوماً إذا كان خصمه القاضي

وقال آخر:

من يكن القاضي أباه فلـيبـت في راحةٍ من خصمه لا يلتفت

قال كعب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما:ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء،فقال عمر:إلا من حاسب نفسه، قال كعب:والذي نفسي بيده إنها لكذلك إلا من حاسب نفسه ما بينهما حرف. يعني في التوراة.
خرج عمر بن عبد العزيز يوماً،فقال: ما شاء الله! كان الوليد بن عتبة بالشام، والحجاج بالعراق وقرَّة بن شريك بمصر، وعثمان بن حيَّان بالحجاز، ومحمّد بن يوسف باليمن، امتلأت الأرض ظلماً وجورا.
ولعون بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود: ??وأوَّل ما نفارق غير شكٍّ=نفارق ما يقول المارقونا

وقالوا: مؤمنٌ دمه حـلالٌ وقد حرمت دماء المؤمنينا
وقالوا: مؤمنٌ من أهل جورٍ وليس المؤمنون بجائرينـا

وقال أبو العتاهية:

أماوالله إنَّ الـظُّـلـم لـؤمٌ وما زال المسيء هو الظَّلوم
إلى ديَّان يوم الدّين نمضـي وعند الله تجتمع الخـصـوم
ستعلم في الحساب إذا التقينـا غداً عند الإله من المـلـوم

وكتب بها مع يحيى بن خالد بن برمك.
قال الشاعر:

إذا جـار الأمـير وكـاتـبــاه وقاضي الأرض داهن في القضاء
فويلٌ ثــمَّ ويلٌ ثـــــمَّ ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء

باب العفو والتجاوز وكظم الغيظ

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "مازاد الله عبداً بعفوٍ إلاَّ عزَّاً".
وقال صلى الله عليه وسلم: " من لا يرحم لا يرحم، إنما يرحم الله من عباده الرحماء".
وقال عليه السلام: "مانزعت الرَّحمة إلا من شقيٍّ".
وقال: "ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم".
وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء".
وفي الأثر المرفوع أنه: " ينادي المنادي في بعض مواقف القيامة:ليقم من له عند الله ما يحمد له،فلا يقوم إلاَّ من عفا".

وفي الحديث أيضا:ً" إن الله عفوٌّ غفور يحبُّ العفو عن عباده".
وقال صلّى الله عليه وسلّم: "أقيلوا ذوي الهيئات زلاّتهم".
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل العفو عند القدرة،وأفضل القصد عند الجدة.
قال سعيد بن المسيب:لأن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة.
قال جعفر بن محمد: لأن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة.
طلب عبد الملك بن مروان رجلا فأعجزه ثم ظفر به، فقال رجاء بن حيوة: ياأمير المؤمنين! قد صنع الله ما أحببت من ظفرك به، فاصنع ماأحبَّ الله من عفوك عنه.
قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشام،وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبد الله ابن علي: الانتقام عدلٌ،والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ولا يبلغ أرفع الدرجتين.
كان يقال: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه. قال المهلب بن أبي صفرة: خير مناقب الملوك العفو.
قال المأمون: وددت أن أهل الجرائم عرفوا رأيي في العفو، فسلمت لي صدورهم.
قال معاوية رحمه الله: ماوجدت شيئاً ألذَّ عندي من غيظٍ أتجرعه، ولم يعرف قيمة الأبَّهة من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ.
اعتذر رجل إلى الهادي فقال: ياأمير المؤمنين! إقراري بما ذكرت يوجب عليَّ ذنباً لم أجنه،وردِّي عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك، ولكني أقول:

فإن كنت ترجو في العقوبة راحةً ... فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر

فعفا عنه.
قال منصور الفقيه:

وقال نبيُّنا فيما رواه ... عن الرحمن في علم الغيوب
محالٌ أن ينال العفو من لا ... يمنُّ به على أهل الذُّنوب

وقال آخر:

فهبني مسيئاً كالذي قلت ظالماً ... فعفوٌ جميل كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفو أهلاً لسوء ما ... أتيت به جهلاً فأنت له أهل

سئل ثعلب عن معنى:فهبني مسيئاً، قال:معناه اعددني مسيئاً.
قال محمّد بن علي بن حسين: من كظم غيظا يقدر على إمضائه حشا الله قلبه إيماناً وروي هذا مرفوعاً إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.
ومما ينسب إلى عمرو بن العاص:

وبعض انتقام المرء يزري بعقله ... وإن لم يقع إلاَّ بأهل الجرائم
وذكر ذنوب الوغد ترفع ذكره ... فدعه صريع النوم تحت القوادم

وفي معنى هذا البيت الأخير قول ذي الرمة:

قيل لي: قد هجاك مولى زياد ... فأجبه فقلت: ليس بكفوي

لست أهجوه إنه خامـل الـذِّك ... ر لعلَّ الخسيس يعلو بهجـوي
هو كالكلب ينبح الَّليث رعـبـاً ... فذروه يهرّ بـعـدي ويعـوي
هو من سطوتي وبأس هجائي ... في أمانٍ ما بين حلمي وعفوي

كتب علي بن الجهم إلى الحسن بن وهب:

إن تعف عن عبدك المسيء ففي ... فضلك مأوىً للصّفح والمنـن
أتيت ما أستحـقُّ مـن خـطـإٍ ... فجد بما تستحقُّ مـن حـسـن

فجاوبه الحسن بن وهب بأبيات منها:

أعوذ بالودِّ الَّذي بيننـا ... أن يفسد الأوَّل بالآخر

وله أيضاً:

أقلني أقالك مـن لـم يزل ... يقيك ويصرف عنك الرَّدى

وقال آخر:

ألا إنَّ خير العفو عفوٌ معجَّـل ... وشرُّ العقاب ما يجاز به القدر

وقال أعرابي:

ياربِّ قد حلف الأقوام واجتهدوا ... أيمانهم أنَّني من ساكني النَّـار
أيحلفون على عمياء ويحـهـم ... جهلاً بعفو عظيم العفو غفّار

وقال آخر:

ياربِّ عفوك عن ذي توبةٍ وجل ... كأنَّه من حذار النَّار مجنـون
قد كان قدَّم أعمـالاً مـقـاربةً ... أيّام ليس له عـقـلٌ ولا دين

باب الغضب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب".
قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله دلَّني على عملٍ إذا عملته دخلت الجنة، وأقلل لعلّي أحفظه. قال: "لا تغضب".
وروي عنه عليه السلام أنه قال: "إذا غضبت قائماً فاقعد، وإذا غضبت قاعداً فقم أو قال:فاضطجع".
أوحى الله إلى موسى: اذكرني عند غضبك،أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك فيمن أمحق،وإذا ظلمت فارض بنصرتي لك، فإنها خيرٌ من نصرتك لنفسك.
قال عيسى عليه السلام: يباعدك من غضب الله ألا تغضب.
أنشد ثعلب:

متى ترد الشِّفاء بكلِّ غـيظٍ تكن ممَّا يغيظك في ازدياد

قال سليمان بن داود عليهما السلام: أعطينا ماأعطي الناس وما لم يعطوا،وعلِّمنا ما علِّم الناس ومالم يعلّموا، فلم نر شيئاً أفضل من العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وخشية الله في السِّر والعلانية.
قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه:إنما يعرف الحلم ساعة الغضب.
وعنه أيضاً:عدوُّ العقل الغضب.
كان يقال: أول الغضب جنون، وآخره ندم ولا يقوم عزّ الغضب بذلِّ الاعتذار.
وروي: كل العطب في الغضب.
قيل للشعبي: لأي شيء يكون السّريع الغضب سريع الفيئة، ويكون بطيء الغضب بطيء الفيئة؟
قال: لأن الغضب كالنار فأسرعها وقوداً أسرعها خموداً.وهذا الخبر أصح عن عبد الله بن حسن،حكاية عن كسرى، ذكره ابن عائشة القرشي التيميّ عنه. قال: قيل لعبد الله بن حسن: مابال الرجل الحديد أسرع رجعةً من البطيء؟ فقال: سئل كسرى عن ذلك، فقال:مثلهمامثل النار في الحطب، أسرعها وقوداً أسرعها خموداً.
أراد المنصور خراب المدينة لإطباق إهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن حسن، فقال له جعفر بن محمد: ياأمير المؤمنين! إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف قدر فغفر، وقد جعلك الله من قبيل الذين يعفون ويصفحون فطفئ غضبه وسكت.
شهد سوَّار القاضي مجلس أبي جعفر المنصور يوماً فرآه قد غضب على أهل البصرة، فقال له: ياأمير المؤمنين! لا تغضب لله بما يغضب الله.
العرب تمدح بترك الغضب.
كان يقال: من أغضبته أنكرته.
قال الشاعر:

لم أقض من صحبة زيدٍ أربي فتىً إذا نهنهته لم يغـضـب
أبيض بسّامٌ وإن لم يعـجـب ولا يضنُّ بالمتاع المحقـب
موكَّل الّنفس بحفظ الـغَّـيب أقصى رفيقيه له كالأقـرب

قال عبد الله بن قيس الرقيات:

مانقموا من بني أميَّة إلاَّ أنَّهم يحملون إن غضبوا
وأنَّهم سادة الملـوك ولا تصلح إلاَّ عليهم العرب

قالوا: إذا غضب الرجل فليستلق، وإذا أعيا فليرفع رجليه.

باب الرجاء والخوف

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه يعوده،فقال: كيف تجدك؟ قال: أجدني أرجو وأخاف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده، مااجتمعا في قلب رجلٍ إلاّ أعطاه الله خير مايرجو منه،وآمنه من شر ما يخاف".
قال أبو الدَّرداء: من خاف أدلج،ومن أدلج بلغ المنزل.

قال مطرِّف بن عبد الله الشِّخِّير: لووزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا.
قال لقمان لابنه: يا بنيّ ارج الله رجاءٍلا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافة لا تأيسنّ فيها من رحمته، فقال: كيف أستطيع ذلك، وإنما لي قلب؟ فقال يا بني! إن المؤمن كذي قلبين قلب يخاف به، وقلب يرجو به.
قال عليّ بن أبي طالب: خذوا عني هذه الكلمات، فلو رحَّلتم فيها المطيَّ حتى أنضيتموها لم تبلغوها: لا يرجو عبد إلاَّ ربّه، ولا يخاف إلاَّ ذنبه. وذكر كلاماً قد ذكرته بتمامه في كتاب "بيان العلم وفضله".
كان يقال: من خاف الله ورجاه آمنه خوفه، ولم يحرمه رجاءه.
وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه،فقال: اللهم إني أمسيت أخافك عليه وأرجوك له، فحقق رجائي، وآمن خوفي عليه.
قال مسلم بن يسار: ماأدري فيم خوف امرئ ورجاؤه إذا لم يمنعاه من ركوب شهوة إن عرضت له، أو لم يصبّراه على مصيبة إن نزلت به.
كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه: أمابعد، فإنه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.
للحسن بن هانئ وتنسب للشافعي رضي الله عنهما، والله أعلم:

خف الله وارجوه لكلِّ عـظـيمةٍ ... ولا تطع النَّفس الّلجوج فتنـدمـا
وكن بين هاتين من الخوف والرَّجا ... وأبشر بعفو الله إن كنت مسلمـا

وفيها:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرَّجا منِّي لعفوك سلَّما

وله:

قد كنت خفتك ثمَّ آمننـي ... من أن أخافك خوفك الله

وقال العتابي:

رحل الرَّجا إليك مرتقـبـاً ... حشدت إليه نوائب الدّهـر
ردَّت إليك ندامتـي أمـلـي ... وثنا إليك عنانـه شـكـري

وجعلت عتبك عتب موعظةٍ ورجاء عفوك منتهى عذري

وقال أعرابي، وقد أدخله البعيث في شعره:

وإني لأرجو الله حتّى كأنـمـا أرى بجميل الظَّنِّ ماالله صانع

وقال منصور الفقيه:

قطـعـت رجـائي مـن بـنـــي آدم طـــرًّا فأصـبـحـت مـن رقّ الـرَّجـاء لـهـم حـرًّا

وعدّل يأسي بينهم فأجلّهمإذا ذكروا قدراً كأدناهم قدرا

غنيٌّ لهم بالله لا متطاولاً علـى أحـدٍ مـنـهـم ولا قـائلاً هــجــرا

وكـيف يعـيب الـنَّـاس بـالـمـنـع مـؤمــنٌ يرى النَّفع مـمـن يمـلـك الـنَّـفـع والـضُّرَّا

علـيه اتّـكـالـي فـي الـشَّـدائد كـلِّـهـــا وحـسـبـي بـه عـنـد الـشَّـدائد لـي ذخــرا

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف رحمه الله لنفسه:

أسير الخطايا عند بـابـك واقـف على وجلٍ ممَّا به أنـت عـارف

يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبـهـا ويرجوك فيها فهو راجٍ وخـائف

فمن ذا الّذي يرجو سواك ويتَّقـي ومالك من فصل القضاء مخالف

فياسيّدي لا تخزني في صحيفتـي إذا نشرت يوم الحساب الصَّحائف

وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما يصدُّ ذوو ودِّي ويجفو المؤالـف

لئن ضاق عنِّي عفوك الواسع الّذي أرجِّى لإسرافي فإنِّي لـتـالـف

وقال أبو العتاهية:

إذا ما اتَّقى الله امرؤٌ لان جـانـبـه وقارب بالإحسان مـن لا يقـاربـه

يقول الفتى أرجو وأرجو ومـا لـه نزوعٌ عن الذَّنب الذي هو راكـبـه

ألا ليس يرجو الله مـن وليس يخاف الله مـن لا

لاّ يخـافـه يراقـبـه
من النَّاس من يبصر الدَّهر جهـلـه ويزداد فيه الضِّعف حتّى يعاتـبـه
كفى بصروف الدهر علماً وحكـمة لمن لم يخنه علـمـه وتـجـاربـه
ومن لم يثق بالله لم يصـف عـيشـه ومن ضاق عنه الحقّ ضاقت مذاهبه

كان أبو سعيد السيره في كثيراً ما ينشد في مجلسه:

اسكن إلى سكنٍ تسرُّ بـه ذهب الزَّمان وأنت منفرد
ترجو غداً وغدٌ كحامـلـةٍ في الحيِّ لا يدرون ما تلد

قرأت على سعيد بن نصر، أن قاسم بن أصبغ حدثهم، قال حدثنا عبد الله ابن روَّاح المدائنيّ، قال يزيد بن هرون، قال: حدثنا أبو موسى التميمي، قال: توفيت النَّوار امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة وخرج فيها الحسن، فقال للفرزدق: ماأعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادة ألاَّ إله إلا الله منذ ثمانين سنة، فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم يعافنيأشدَّ من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائدٌ عنـيفٌ وسـوَّاقٌ يســوق الــفـــرزدقـــا
لقـد خـاب مــن أولاد آدم مــن مـــشـــى إلـى الـنـار مـغـلـول الـقـــلادة أزرقـــا

قال: فبكى وأبكى.

باب العافية والبلاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلوا الله العافية والمعافاة في الدُّنيا والآخرة،فإنه لم يؤت عبدٌ بعد اليقين بالله بأفضل من المعافاة".
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من يرد لله به خيراً يصب منه"ـ
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "أشدُّ الناس بلاءً النبيُّون، ثم الأمثل فالأمثل"ـ والأحاديث عنه صلّى الله عليه وسلم في هذا الباب كثيرة جدّاً.
قال عيسى عليه السلام: إنما النّاس مبتلًى ومعافًى، فإذا رأيتم أهل البلاء فارحموهم، وسلوا الله العافية.
قال علي بن الحسين: ماصاحب البلاء الذي قد طال به أحقّ بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.
قال مطرِّف بن الشِّخِّير: لأن أعافى فأشكر،أحبّ إليَّ من أن أبتلى فأصبر، قال مطرِّف: ونظرت في النعمة التي لا يشوبها كدر فإذا هي العافية.

قال سليمان التَّيمي:إن المؤمن ليبتلى ويعافى، فيكون بلاؤه كفارةً واستعتاباً، وإن الكافر ليبتلى ويعافى فيكون مثل بعيرٍ عقل،لا يدري فيم عقل ولا لم أرسل.
قال منصور الفقيه:

رأيت البلاء كقطر السَّمـاء وما تنبت الأرض من ناميه
فلا تسألنّ: إذا ما سـألـت إلهك شيئاً سوى العـافـية

وله أيضاً:

حفظ الفتى لسانـه محبةً في العافيه
واقية من البلاء إن كان منه واقـيه

قال أكثم بن صيفي:العافية الملك الخفيّ.
كان يقال: لا خير في بدن لا ينكأ ولا في مال لا يرزأ.
كان يقال: من عمل بالعافية فيمن هو دونه رزقها ممن هو فوقه.
قال الشاعر:

بلاءٌ لـيس يشـبـهـه بـلاءٌ عداوة غير ذي حـسـبٍ ودين
يبيحك منه عرضاً لم يصـنـه ويرتع منك في عرض مصون

وقال آخر، وهو أبو راسب:

فلوأنِّي بليت بهـاشـمـيِّ خؤولته بنو عبد الـمـدان
صبرت على عدواته ولكن تعالوا فانظروا عن ابتلاني

قال بشار بن برد:

إنِّي وإن كان جمع المال يعجبنـي فليس يعدل عندي صحَّة الجسـد
في المال زينٌ وفي الأولاد مكرمةٌ والسُّقم ينسيك ذكر المال والولـد

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "البلاء موكَّلٌ بالقول".
أخذه الشاعر:

إنَّ البلاء موكَّلٌ بالمنطق

وقال آخر:

فإذا رأيت أخا البليّة فاستعذ بالله من شرِّ البلاء النَّازل

قال إبراهيم النَّخعي: كانوا يكرهون أن يسألوا الله العافية بحضرة المبتلى.

باب المرض والطِّبِّ

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "أنزل الدَّاء الذي أنزل الأدواء".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خير ما تداويتم به الحجامة".
وقال عليه السلام: "إن كان دواءٌ يبلغ الداء فالحجامة تبلغه".
قال محمد بن سيرين كنا بساباط المدائن، فمر بي رجل، فقيل لي:هذا حجم كسرى، فدعوته فقلت له:أنت حجمت كسرى؟
قال: نعم. قال وكم حجمته؟ قال:واحدة. قلت: ولم اقتصر على واحدة؟ قال: كان يقول: آخذ من الدواء أدناه، فإن كان نافعاً من نفعه، وإن كان ضارَّاً لم أكن استكثرت من ضرره.
روى النزَّال بن سبرة عن عليّ، أنه قال: من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه كل دائه،ومن أكل إحدى وعشرين زبيبة كل يوم لم يرفي جوفه شيئاً يكرهه، واللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب، ولحم البقر داء، ولبنها دواء، وسمنها شفاء، والشحم يخرج مثله من الداء.قال النزال: أظنه يريد شحم البقر.قال عليّ رضي الله عنه:وما استشفي بأفضل من السمن،والسمك يذيب البدن، أو قال:الجسد، ولم تستشف النفساء بشيء أفضل من الرطب ، والسواك وقراءة القرآن يذهبان البلغم، ومن أراد البقاء -ولا بقاء- فليباكر الغداء، وليخفف الرِّداء، وليقلّ غشُّيان النّساء. قيل له: ياأمير المؤمنين وما خفة الرِّداء؟ قال: خفة الدَّين.
قال شريح: امش بدائك ماحملك.
قال حسَّان بن خريم بن الأغر: دع الدَّواء ما احتمل جسمك الداء.
سئل الحارث بن كلدة طبيب العرب: ماالدواء الذي لا داء فيه؟ قال: هو ألا يدخل بطنك طعام وفيه طعام.
قال غيره: هو أن يقَّدم الطعام إليك وأنت تشتهيه، ويرفع عنك وأنت تشتهيه. قالوا: ثلاثة تقتل: الحمَّام على الكظَّة، والجماع على البطنة، والإكثار من أكل القديد اليابس.
كانوا يقولون: لو أمات العليل الداء أعاشه الدواء.
قال الربيع بن خيثم: ذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرسّ وقروناً بين ذلك كثيراً، كانت فيهم الأدواء، وكانت فيهم الأطباء، فلا المداوي بقي ولا المداوى.
وقيل له في علّته: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: قد نظر إلي الطبيب. فقيل له:ما قال لك؟ فقال إنِّي فعال لما أريد.
وهذا نحو قول أبي الدرداء وقد قيل له: ألا ندعو لك طبيباً؟

قال الطبيب أمرضني. وقد أوردنا عن العلماء في هذا المعنى ما فيه كفاية يكتفى بها في كتاب "التمهيد" والحمد لله.

ولأبي العتاهية، ويروى لغيره:

إنَّ الطَّبيب بـطـبِّـه ودوائه   لا يستطيع دفاع مكروهٍ أتـى

ماللطَّبيب يموت بالدَّاء الـذي   قد كان يبرئ مثله فيما مضى

كان سفيان بن عيينة، يستحسن قول عديّ بن زيد، حيث يقول:

أين أهل الدِّيار من قـوم نـوح   ثمَّ عادٌ من بعدهـم وثـمـود

بينما هم علـى الأسـرَّة والأن   ماط أفضت إلى التُّراب الجلود

ثمَّ لم ينقض الحـديث ولـكـن   بعد ذا الوعد كلُّـه والـوعـيد

والأطبَّاء كلُّهم لـحـقـوهـم   ضلَّ عنهم سعوطهم واللّـدود

وصحيح أضحى يعود مريضـاً   وهو أدنى للموت ممن يعـود

أخذه علي بن الجهم، فقال:?

كم من عليلٍ قد تخطَّاه الرَّدى   فنجا ومات طبيبه والعـوَّد

وقال أبو العتاهية:

نعى لك ظلَّ الشَّباب المشـيب   ونادتك باسم سواك الخطـوب

وقبلك داوي المريض الطبيب   فعاش المريض ومات الطّبيب

يخاف على نفسه مـن يتـوب   فكيف ترى حال من لا يتوب

وقال منصور الفقيه:

كذبت إن أنا سمَّـي من لاّ يعـاشـر إلاَّ   ت محسناً أو مصيبا منجِّماً أو طبـيبـاً

وقال آخر،وهو يزيد بن خذاق العبدي:

هل للفتى من بنات الدَّهر مـن واق   أم هل له من حمام الموت من راق

هوِّن عليك ولا تولـع بـإشـفـاق   فإنَّما مالنا لـلـوارث الـبـاقـي

وقال ابن الطَّثريَّة:

وكنت كذي داءٍ تبغَّي لدائه طبيباً فلمَّا لم يجده تطبَّبا.

وقال محمود الوراق: ?قد قلت لمّا قال لي قائلٌ=قد صار بقراط إلى رمسه

فأين ما دوّن من كتبه وجمعه الأحجار مع جسِّه

لم يغنه إذا حمَّ مقداره ولم يساو العشر من فلسه

هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه

وقال منصور الفقيه:

ياسيداً باتت القلوب لأنبات كما لا يحبُّ محترقه

إنّ ذوي الطِّبِّ لا أقول بمالا يعلم ربّي خلافه فسقه

فلا تشاورهم فليس لهم على شحيح بدينه شفقه

واتل من الوحي ما استطعت ولو في كل يومٍ وليلةٍ ورقه

فما يداوي العليل يرحمك الله بمثل القرآن والصَّدقه

جاء في الخبر: " من كان به مرض قديم فليأخذ درهماً حلالاً، فليشتر به عسلاً ثم ليشربه بماء السماء فإنه يبرأ بإذن الله".

قال منصور الفقيه يخاطب بعض إخوانه: ?ياذا الّذي أنزلني منزلي=علمي بما أنزله منزله

إن كنت في الصِّحَّة ذا رغبةٍ فاعتض من المجزرة المبقله

واستعمل الماشَّ وأشباهه وباعد الميل عن المكحله

فإنَّما الجاهل كلّ امرئ يأكل في الصِّحَّة ماعنَّ له

قال أبو عمر رضي الله عنه: دخلت على الشيخ أبي الوليد بن عباد، عائداً له من بطن كان يشكوه قد اشتد عليه، فوجدته قد أخذ شيئاً من حسو، فقلت له: يا سيدي ما لصاحب البطن والحسو?فقال: شيء تاقت نفسي إليه،وسئمت أكل الجامد واليابس، فانصرفت من عنده ثم كتبت إليه:

ياسليل الكرام مـن آل لـخـم	وأخا الرَّأي والدَّها والـوفـاء
إنَّ لي من سقام جسمك سقمـاً	ثابتاً في الفـؤاد والأحـشـاء
وبقلبي ممَّا بجسمك ضـعـفٌ	للذي تشتـكـي مـن الأدواء
وبودِّي لو كنت عـنـك فـداءً	بدلاً عند هجـمة الـضَّـراء
فاقبل النُّصح سيِّدي واسمع القو	ل فإنِّي أحكي عن الحكمـاء
لا يداوي الإسهال بالإحتـسـاء	لا ولا بالأمراق والبـاقـلاء
إنَّما الطبُّ طردك الضِّدَّ بالضِّ	دِّ ودفع الأهواء بالإحتـمـاء
حسم ذا الدَّاء ما كـان قـوتـاً	يألف الطَّبع في قوام الغـذاء
وعليك الدُّعاء فاللـه يشـفـي	ليس شافٍ سواه من كـلِّ داء
نعم عون العليل تـوبة صـدق	وكذا البرُّ جالبٌ لـلـشـفـاء
وسلامٌ عـلـيك مـنِّـي دأبـاً	ما جرى الدَّمع قاطعاً للسَّماء

ولمنصور الفقيه أيضاً:

ياشريفاً طـيُّ أمـثـا	لي عنه النُّصح بدعـه
لو مطلت النَّفس بالفرُّو	ج بعد اليوم جمـعـه
لم تمت همَّاً ولـم تـل	مم بك الحمَّى بسرعه
فاحترس بعد فحسب ال	مرء أن يخدع خدعـه

باب الطَّاعة والمعصية

قال الله عزوجل: "يا أيُّها الَّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول وأولي الأمر منكم". وقيل في تأويل أولي الأمر قولان: أحدهما أمراء السرايا كان يرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والآخر العلماء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا طاعة إلا في معروف، ومن أمر بمعصية فلا طاعة له".

قال عبد الله بن مسعود في قول الله عزَّوجل: "اتَّقوا الله حقَّ تقاته": أن يطاع فلا يعصى،ويشكر فلا يكفر،ويذكر فلا ينسى.

وقال قتادة، مثل ذلك وزاد عليها: " فاتَّقوا الله ما استطعتم".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عزَّوجلَّ يا ابن آدم! ما أنصفتني أتحبَّب إليك بالنِّعم، وتتبغّض إليّ بالمعاصي، خيري إليك نازلٌ، وشرُّك إليّ صاعدٌ، كم من ملك كريم يصعد إليَّ منك بعمل قبيح".
قال الهلاليّ: من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه، ومن تعزز بمعصية الله،أذاقه الله ذلاً بحقّ.
قال علي بن عبد الله بن عباس: من لم يجد نقص الجهل في عقله، وذل المعصية في قلبه، ولم يستبن موضع الخل من لسانه عند كلال حده، فليس ممن يرغب عن ذنبه، ولا ينزع عن حال معجزةٍ، ولا يكترث لفضل ما بين حجّة وشبهة.
قال جعفر بن محمد: من نقله الله عزوجل من ذل المعاصي إلى عزّ الطاعة أغناه بلا مال، وآنسه بلا أنيس وأعزّه بلا عشيرة.
أخذه محمود الوراق فقال:

هاكَّ الدَّليل لمن أرا — د غنىً يدوم بغير مال
وأراد عزَّاً لم توطِّ — ده العشائر بالقتال
ومهابةً من غير سل — طانٍ وجاهاً في الرِّجال
فليعتصم بدخوله — في عزِّ طاعة ذي الجلال
وخروجه من ذلة ال — عا صي له في كلِّ حال

قال الحسن: لا يغرك توطّيهم رقاب المسلمين، وإن هملجت بهم خيولهم ورفرفت بهم ركابهم، إن ذل المعصية في قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.
كان يقال: من أحبك نهاك ومن أبغضك أغراك.
قال العتبي: خطب يزيد بن الوليد فأرجز وقال: أيها الناس! الأمر أمر الله، والطاعة طاعة الله،فأطيعوني ما أطعت الله، يغفر الله لي ولكم.
قالت هند: الطاعة مقرونة بالمحبة، فالمطيع محبوب، وإن نأت داره، وقلّت آثاره، والمعصية مقرونةٌ بالبغضة، فالعاصي ممقوت، وإن مسَّتك رحمته، ونالك معروفه.
كتب ابن السَّماك إلى أخ له: أفضل العبادة الإمساك عن المعصية، والوقوف عند الشبهة، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة، وقاله سفيان بن عيينة.
ذكر إبليس عند أبي حاتم،فقال: وماإبليس! فوالله لقد عصى فما ضرَّ، وأطيع فما نفع.
قال محمود الوراق وتنسب إلى الشافعي:

تعصي الإله وأنت تظهر حبَّه — هذا محالٌ في القياس بديع
لو كان حبُّك صادقاً — إن المحبَّ لمن يحبُّ

لأطعتـه مطيع
في كل يوم يبتديك بنـعـمةٍ منه وأنت لشكر ذاك مضيع

وقال إسحاق الموصلي:

الملك والعزّ والمروءة والفط نة والنبل واليسـار مـعـا
مجتمعاتٌ في طاعة العبد لل ه إذا العبد أعمل الـورعـا
واللُّؤم والذُّلُّ والضَّراعة وال فاقة في أصل أذن من طمعا

وقال أبو العتاهية:

أراك امرءاً ترجو من الله عفـوه وأنت على مالا يحـبُّ مـقـيم
فحتّى متى تعصي ويعفو إلى متى تبـارك ربِّـي إنَّـه لـرحـيم

وله أيضاً:?

أطع اللـه بـجـهـدك صادقاً أو بعض جهدك
أعط مولاك كمـا تـط لب من طاعة عبـدك

باب الغيبة والنَّميمة

قال الله عزوجل: "ويلٌ لكلِّ همزةٍ لمزةٍ"، قال مجاهد: هو الطّعَّان الآكل لحوم الناس.
قال الله عزوجل: "ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو في بيته".
قال عمر بن الخطاب: من أدى الأمانة، وكف عن أعراض المسلمين فهو الرجل.
وقع بين سعد وخالد كلام،فذهب رجل يقع في خالد عند سعد فقال سعد:مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قلت في أخيك ما فيه مما يكره فقد اغتبته، وإن قلت فيه ما ليس فيه فذلك البهتان." قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كف عن أعراض المسلمين لسانه أقاله الله يوم القيامة عثرته".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شراركم أيها الناس المشَّاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون لأهل البر العثرات".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثةٌ لا غيبة فيهم: الفاسق المعلن بفسقه، وشارب الخمر، والسُّلطان الجائر".
قال رجل لابن سيرين: إني وقعت فيك، فاجعلني في حلّ، قال: لا أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك.
قال رجل للحسن البصري: إني اغتبت فلاناً وإني أريد أن أستحله فقال: لم يكفك أن أغتبته حتى تريد أن تبهته.
قال ابن عباد الصاحب:

??احذر الغيبة فهي ال فسق لا رخصة فـيـه
إنَّما المغـتـاب كـالآ كل من لحـم أخـيـه

قال حذيفة: كفارة من اغتبته أن تستغفر له.
قال عبد الله بن مبارك لسفيان بن عيينة:التوبة من الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته،قال سفيان:بل تستغفره مما قلت فيه:قال ابن المبارك:لا تؤذه مرتين.
قال عديّ بن حاتم: الغيبة مرعى اللّئام.
قال أبو العتاهية: الصَّائم في عبادةٍ ما لم يغتب.
قال ابن محيريز: مامن ذنبٍ أجدر أن تجده من الرجل -وإن أعجبك- من الغيبة.
قال أبو حاتم: أربح التّجارة ذكر الله، وأخسر التجارة ذكر النّاس.
قال الفضيل بن عياض:ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء.
سمع قتيبة بن مسلم رجلا يغتاب آخر،فقال:لقد مضغت مضغة طالما لفظها الكرام.
سمع أعرابيّ رجلا يقع في الناس، فقال:قد استدللت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب النّاس، لأنّ الطالب لها يطلبها بقدرما فيه منها.
قال الشاعر:

?ويأخذ عيوب النَّاس من عيب نفسه	**مرادٌ لعمـري مـا أراد قـريب**

وقال آخر:

واجرأ من رأيت بظهر غـيبٍ	**على عيب الرِّجال أخو العيوب**

وقال آخر:

فكلّ عيَّابٍ له منـظـرٌ	**مشتمل الثَّوب على عيب**

كان يقال: ظلم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه.
قال أبو عاصم النبيل: لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارعونَّ عن ذكر الفاسق بما فيه يعرفه الناس".
قال الحجاج بن الفرافصة: قلت لمجاهد: الرجل يكون وقّاعاً في الناس، فأقع فيه،أله غيبة؟ قال:لا. قلت:من ذا الذي تحرم غيبته؟ قال:رجلٌ خفيف الظّهر من دماء المسلمين، خميص البطن من أموالهم، أخرس الّلسان عن أعراضهم،فهذا حرام الغيبة، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له، ولا غيبة فيه.
قال رجل لعمرو بن عبيد:إنّي لأرحمك مما يقول النّاس فيك. قال:فما تسمعني أقول فيهم?قال:ما سمعتك تقول إلاّ خيراً.قال:إيَّاهم فارحم.
قال عتبة بن أبي سيفيان لابنه عمرو: يا بنيّ نزّه نفسك عن الخنا، كما تنزّه لسانك عن البذّا، فإن المستمع شريك القائل.
وهذا عندي مأخوذ من قول كعب بن زهير:

?إن كنت لا ترهب عن ذمِّي لما	**تعرف من صفحي عن الجاهل**

فاخش سكوتي إذ أنا منصتٌ فيك لمسموع خنا القائل
فالسَّامع الذَّمِّ شريكٌ له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السُّوء إلى أهلها أسرع من منحدرٍ سائل
ومن دعا النَّاس إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فلا تهج إن كنت ذا ريبةٍ حرب أخي التَّجربة العاقل
فإنَّ ذا العقل إذا هجته هجت به ذا حبل حابل
يبصر في عاجل شدَّاته عليك غبَّ الضَّرر الآجل

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

فلو شئت أدلي فيكما غير واحد علانيةً أو قال عندي في السِّرِّ
فإن أنا لم آمر ولم أنه عائباً ضحكت له حتَّى يلجَّ ويستشري

ومن هذا أيضاً قول محمود الوراق:

تحرَّ من الطُّرق أوساطها وعدّ عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبي ح كصون اللِّسان عن النُّطق به
فإنك عند استماع القبي ح شريكٌ لقائله فانتبه

قالت الحكماء: حسبك من شرٍّ سماعه.
قال الله عزّوجلّ: "سماعون للكذب أكَّالون للسُّحت".
قال عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنه،قال لي أبي:إني أرى أمير المؤمنين- يعني عمر- يدنيك ويقربك، فاحفظ عني ثلاثاً:إياك أن يجرّب عليك كذبة، وإياك أن تفشي له سرَّاً، وإيَّاك أن تغتاب عنده أحداً، ثم قال:يا عبد الله! ثلاثاً وأيّ ثلاث. فقال له رجل: يا ابن عباس كلُّ واحدةٍ خير من ألف. فقال: بل كلُّ واحدةٍ خيرٌ من عشرة آلاف.
قال عبد الصمد بن المعذّل:

قد هجرنا مجلس الغي بة هجران التَّقال
ألَّفته عصبة نو كى لقيلٍ ولقال
ربّ من يشجيه ذكري وهو لا يجري ببالي
قلبه ملآن من خو في وقلبي منه خال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفع إلينا عورة مسلم".
وقال صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل الجنة قتّات".
وقال عليه السلام: " إياك ومهلك الثلاثة" قيل: وما مهلك الثلاثة؟ قال:"رجل سعى بأخيه المسلم فقتله، فأهلك نفسه وأخاه وسلطانه".
وقالوا: قبول السِّعاية شرٌّ من السعاية، لأن السعاية دلالة والقبول إجازة.
قال يحيى بن أبي كثير: يفسد النَّمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة.
قال سابق:

?إذ الواشي بغى يوماً صديقاً فلا تدع الصَّديق لقول واشٍ

وقول سابق هذا- والله أعلم- أخذه من قول معاذ بن جبل في قوله:إذا كان لك أخ في الله فلا تماره، ولا تسمع فيه من أحد، فربما قال لك ماليس فيه فحال بينك وبينه.
تنقّص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير عليَّ بن أبي طالب، فقال له أبوه: مهلا يا بنيّ لا تنقّصه، فإن بني مروان شتموه ستين سنة، فلم يزده الله بذلك إلا رفعة، وإن الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا، وإن الدنيا لم تبن شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته.
كان يقال: المعرِّض بالناس اتقى صاحبه، ولم يتق ربه.
قال الفرزدق:

تصرَّم عنِّي ودَّ بكر بن وائلٍ وما خلت عنِّي ودَّهم يتصرَّم
قوارص تأتيني وتحتقرونهـا وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقال يزيد بن الحكم الثقفي:

تكاشر من لاقيت لي ذا عـداوةٍ وأنت صديقي ليس ذاك بمستوى
بدا منك غشٌّ طالما قد كتمـتـه كما كتّمت داء ابنها أمُّ مـدّوى
جمعت وفحشاً غـيبةً ونـمـيمةً ثلاث خلالٍ لست عنها بمرعوي

وقال زياد الأعجم:

إذا لقيتك تبدى لـي مـكـاشـرة وإن أغب فأنت الهامز الُّلـمـزه
ما كنت أخشى وإن طال الزمان به حيفٌ على النّاس أن يغتابني غمزه

وقال منصور الفقيه:

هبني تحرَّزت ممَّن ينمُّ بالكـتـمـان
فكيف لي باحتراسٍ من قائل البهتـان

وقال أيضاً:

لي حيلةٌ فـيمـن ينـمُّ وليس في الكذَّاب حيله
من كان يخلق ما يقـو ل فحيلتي فيه قليلـه

قال موسى عليه السلام: ياربّ إن الناس يقولون فيَّ ماليس فيَّ، فاجعلهم ياربّ يقولون فيما فيّ. فأوحى الله تعالى إليه: ياموسى لم أجعل ذلك لنفسي، فكيف أجعله لك.

قال المسيح عليه السلام: لا يحزنك قول الناس فيك،فإن كان كاذباً كانت حسنة لم تعملها، وإن كان صادقاً كانت سيئة عجلت عقوبتها.

باب البغي والحسد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مامن ذنبٍ هو أجدر أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع مايدّخره له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحِم".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا ظننتم فلا تحقّقوا، وإذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا".

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثلاثةٌ لا يكاد يسلم منهن أحد: الطِّيرة، والحسد والظَّن". قيل: فماالمخرج منهنّ يارسول الله؟ قال: "إذا تطيرت فلا ترجع وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقّق" .

روي عن مجاهد عن ابن عبَّاس أنه قال: لو بغى جبلٌ على جبلٍ ،لدكّ الباغي منهما.

أخذه الشاعر فقال:

?ولو بغى جبلٌ يوماً على جبلٍ لدكَّ منه أعاليه وأسـفـلـه

وقال آخر:

ذر البغي إنَّ البغي موبق أهـلـه ولم يعدم الباغي من النَّاس مصرعا

قال عمر بن الخطّاب:ما كانت على أحد نعمةٌ إلا كان لها حاسد، ولو كان الرجل أقوم من القدح لوجد له غامزاً.

قال ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله عزّوجل. قيل: ومن يعادي نعم الله؟ قال:الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

قال الحسن البصري: ليس أحدٌ من خلق الله إلا وقد جعل معه الحسد، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغي والظّلم لم يتبعه منه شيء.

وعن أنس بن مالك أنه مرّ على ديار خربة خاوية، قال: هذه أهلكها وأهلك أهلها البغي والحسد، إن الحسد ليطفئ نور الحسنات، والبغي يصدَّق ذلك أو يكذبه، فإذا حسدتم فلا تبغوا. قيل للحسن: يا أبا سعيد! أيحسد المؤمن؟ قال: لاأمَّ لك! أنسيت إخوة يوسف.

قال بعض الحكماء: البغي من فروع الحسد، وأقدم الناس على البغي من جهل المعرفة بسرعة نصر الله لمن بغي عليه.

وقالوا: ثلاثةٌ عائدة على فاعلها: البغي والمكر والنِّكث.

قال الله عزوجل: "إنَّما بغيكم على أنفسكم"، وقال: "ولا يحيق المكر السَّيِّءُ إلاَّ بأهله"، وقال تعالى:"ومن نكث فإنَّما ينكث على نفسه".

وقال يزيد بن الحكم:

إنَّ الأمور دقيقهـا مما يهيج به العظيم

والبغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم: "لا حسد إلاّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب". وقد ذكرنا كثيراً من الآثار المرفوعة وغيرها في الحسد عند قوله عليه السلام: "لا تحاسدوا" في كتاب" التمهيد" بما فيه كفاية والحمد لله.
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أفضل? قال: "المؤمن النقي القلب، ليس فيه غل ولا حسد".
كان يقال: أقبح الأشياء بالسلطان اللجاج،وبالحكماء الضجر، وبالفقهاء سخافة الدين، وبالعلماء إفراط الحرص، وبالمقاتلة الجبن، وبالأغنياء البخل، وبالفقراء الكبر وبالشباب الكسل، وبالشيوخ المزاح، وبجماعة الناس التباغض والحسد.
كان يقال: كادت الفاقة تكون كفراً، وكاد الحسد يغلب القدر، والهم نصف الهرم، والفقر الموت الأكبر.
قال عليُّ بن أبي طالب في خطبة خطبها على المنبر بالكوفة: ما لنا ولقريش بلى. ولهم، إن الله فضلنا فأدخلهم في فضلنا.
قال عليُّ بن أبي طالب،قال إبليس لجنوده:ألقوا بين الناس التحاسد والبغي، فإنهما يعدلان الشرك.
كان يقال: أول ما عصى الله به في السماء والأرض الحسد والحرص. ذهبوا إلى أن إبليس حسد آدم فلم يسجد له، وحرص آدم على الخلود فأكل من الشجرة، وحسد ابن آدم أخاه حين تقبِّل منه قربانه فقتله.
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "احذروا ثلاثاً: الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة، والكبر فإنه حطّ إبليس عن مرتبته، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه".
قال عمر بن أبي ربيعة:

وقديماً كان في النَّاس الحسد

قال سابق:?

جنى الضَّغائن آباءٌ لنا سلفوا فلن تبيد وللآبـاء أبـنـاء

قال أبو الدرداء:مكتوب في التوراة:إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه قرابته وجيرانه.
كان يقال :الحسد في الجيران، والعداوة في الأقارب.
قال ثمامة بن الأشرس في أحمد بن خالد:

أفكِّر ماذنبي لديك فلا? عليَّ سبيلاً غير أنَّك

أرى وإنا لموسومان كلٌ بسيمةٍ — حاسد أقرَّ مقرٌ أو أبى ذاك جاحد

قال بكر بن عبد الله المزني: حظُّك من الباغي حسن المكاشرة، وذنبك إلى الحاسد دوام النعمة.

قال الحسين الخليع:

ما للحسود وأشياعه — ومن كذب الحقَّ إلَّا الحجر

قال عبد الله بن المقفع:إن الحسد خلق دنيء ومن دناءته أنه موكّل بالأدنىفالأدنى.

قال يزيد بن الحكم الثَّقفي:

تكاشرني كرهاً كأنَّك ناصحٌ — وعينك تبدى أنَّ قلبك لي دوى

بدا منك عيبٌ طالما قد كتمته — كما كتمت داء ابنها أمٌّ مدَّوى

لسانك ماذىّ وقلبك علقم — وشرُّك مبسوطٌ وخيرك منطوي

تمَّلأت من غيظٍ عليَّ فلم يزل — بك الغيظ حتَّى كدت بالغيظ تشتوي

ومابرحت نفسٌ حسودٌ حشيتها — تذيبك حتَّى قيل: هل أنت مكتوي

وقال النَّطاسيُّون إنك مشعرٌ — سلالاً ألا بل أنت من حسدٍ جوى

أراك إذا لم أهو أمراً هويته — ولست لما أهوى من الأمر بالهوى

وكم موطنٍ لولاي طحت كما هوى — بأجرامه من قلّة النِّيق منهوي

عدوُّك يخشى صولتي إن لقيته — وأنت عدوِّي ليس ذاك بمستوي

وفي رواية أخرى:?

تصافح من ألفيت لي ذا عداوةٍ — وأنت صديقي ليس ذاك بمستوي

قال ابن المعتز:

ماعابني إلاّ الحسو — د وتلك من خير المعايب

والخير والحسَّاد مق — رونان إن ذهبوا فذاهب

وإذا ملكت المجد لم — أملك مذمَّات الأقارب

وإذا فقدت الحاسدي — ن فقدت في الدُّنيا

المطايب

وأنشد ابن عائشة:

خليليَّ إنّي للثّريّا لحاسدٌوإني على ريب الزمان لواجد أيجمع منها شملها وهي سبعةوأفقد من أحببته وهو واحد

وقال سويد بن أبي كاهل:

كيف ترجُّون سقوطي بعدما عمَّم الرَّأس بياضٌ وصلع
بئس ما ظنُّوا وقد عرَّفتهم عند غايات المدى كيف أقع
ربَّ من أنضجت غيظاً صدره قد تمنّى لي موتاً لم يطع
ويراني كالشَّجا في حلقه عسراً مخرجه ما ينتزع
مزبداً يخطر ما لم يرني فإذا أسمعته صوتي انقمع
لم يضرني غير أن يحسدني فهو يزقو مثل ما يزقو الضُّوع
ويحيِّيني إذا لاقيته وإذا يخلو له لحمي رتع
قد كفاني الله ما في نفسه وإذا ما يكف شيئاً لم يضع

وقال أبو الأسود الدُّؤلي، ويقال إنها للعرزمي:

تلقي اللّبيب محسَّداً لم يجترم شتم الرِّجال وعرضه مشتوم
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالنَّاس أعداءٌ له وخصوم

وقال المرَّار الفقعسيّ:

لاتسأل النَّاس عن مالي وكثرته قد يقتر المرء يوماً وهو محمود
أمضي على سنَّةٍ من والدٍ سلفت وفي أورمته ما ينبت العود
مطالبٌ بتراتٍ غير مدركةٍ محسَّدٌ والفتى ذو الُّلبِّ محسود

وقال أبو الطيب:

أعادي على ما يوجب الحبَّ للفتى ... وأهدأ والأفكار فـيَّ تـجـول
سوى وجع الحسَّـاد داو فـإنَّـه ... إذا حلَّ في قلبٍ فـلـيس يزول
ولا تطمعن من حاسدٍ في مـودةٍ ... وإن كنت تبديهـا لـه وتـنـيل

وقال لبيد بن عطارد بن حاجب التَّميمي:

إن يحسدوني فإنَّـي غـير لائمـهـم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مـا بـي ومـا بـهـم ... ومات أكثرنا غـيظـاً بـمـا يجـد
أنا الّذي يجدوني فـي حـلـوقـهـم ... لا أرتقي صـعـداً فـيهـا ولا أرد

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

ماضرَّني حسد اللئام ولـم يزل ... ذو الفضل يحسده ذوو النُّقصان

وقال مروان بن أبي حفصة:

ماضرَّه حسد اللـئام ولـم يزل ... ذو الفضل يحسده ذوو التَّقصير

قال معاوية بن أبي سفيان:كل الناس أرضيته إلا حاسد نعمة،فإنه لا يرضيه إلا زوالها.
أخذه الشاعر فقال:

كلُّ العداوة قد ترجى إماتتهـا ... إلاَّ عداوة من عاداك من حسد

قال معاوية بن أبي سفيان:ليس في خلال الشر أشر من الحسد، لأنه قد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.
كان يقال: الحاسد إذا رأى نعمة بهت،وإذا رأى عثرة شمت.
قال الخليل بن أحمد:لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد.
قال محمود الوراق:

?أعطيت كلَّ النَّاس من نفسي الرِّضا ... إلاَّ الحـسـود فـإنَّـه أعـيانـي
لا أنَّ لي ذنبـاً لـديه عـلـمـتـه ... إلاَّ تظاهر نـعـمـة الـرَّحـمـن
يطوي على حنقٍ حـشـاه لأن رأى ... عندي كمال غنىً وفـضـل بـيان
ماإن أرى يرضـيه إلاَّ ذلّـتـــي ... وذهاب أموالي وقطع لـسـانـي

وقال آخر:?

إن يكثر الله حسُّاداً لهم ... مقدار ما كثرت فيهم

فعلـي من النِّعم

وقال محمّد بن زياد الحارثي:

إذا ما حملت الشُّكر في كلِّ نعمةٍ يحقُّ عليك شكرها واحتمالهـا

فدع لحسودٍ بعـد ذلـك خـطَّةً يكون عليه همُّهـا ووبـالـهـا

لك الأجر والمهنى وللحاسد الَّذي يكيدك فيها جرمها ونكـالـهـا

وقال آخر:

تمنَّى لي الموت المعجَّل خـالـدٌ ولا خير فيمن ليس يعرف حاسده

وقال نصر بن أحمد:

كأنَّما الدَّهر قد أغرى بنا حسداً ونعمة الله مقرونٌ بها الحسد

وقال آخر:

إنَّ العرانين تلقاها محسَّـدةً ولن ترى للئام النَّاس حسَّادا

وقال آخر:

محسَّدون على ما كان من نعمٍ لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

وقال آخر:

إنِّي نشأت وحسَّادي ذوو عـددٍ ياذ المعارج لا تنقص لهم عددا

وقال بشار العقيلي:

فاللـه أسـألـه إدوام دائهـم وأن يديم لنا ما يوجب الحسدا

وقال أيضاً:

قد أذهب الدَّاء حسَّادي بكثرتهم ولو فنوا عزَّ دائي من يداويني

لا عشت خلواً من الحسَّاد إنَّهم أعزُّ فقداً من اللَّائي أحبُّونـي

أبقى لي الله حسَّادي وغمَّهـم حتَّى يموتوا بداءٍ غير مكنون

وقال محمود الوراق:

لا تحسدنَّ أخـاك وار ع له على الأيَّام عهده

حسد الصَّديق صديقـه وأخاه من سقم المودَّه

وقال حبيب:?

وإذا أراد الله نـشـر فـضـيلةٍ	طويت أتاح لها لسـان حـسـود
لولا اشتعال النَّار فمـا جـاورت	ما كان يعرف فضل عرف العود

وقال أبو القاسم الداعية: أدنى الأعراض عرض لا يرتع فيه ذم.
ولأحد بني الطيفان:

?ومولى كمولى الزِّبرقان دملته	كما دملت ساقٌ يهاض بها كسر
تراه كأنَّ اللـه يجـدع أنـفـه	وعينيه إن مولاه ثاب له وفـر

وقال ابن أبي طاهر:

ياحاسداً فضل امـرئٍ سـيِّدٍ	أصبح قد أحسن في فعـلـه
لا زلت إلاَّ باغـياً حـاسـداً	لكلِّ ذي نبلٍ على نـبـلـه
وزاد من تحـسـده نـعـمةً	دائمةً تبقى عـلـى مـثـلـه
ولم يزل ذو النَّقص من نقصه	يحسد ذا الفضل على فضله

وقال أبو فراس الحمداني،وهو الحارث بن سعيد بن حمدان:

لمن جاهد الحسَّاد أجر المجاهـد	وأعجز ما حاولت إرضاء حاسد
ولم أر مثل اليوم أكثر حـاسـداً	كأنَّ قلوب النَّاس في قلب واحد

باب السّباب والمشاتمة

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إيّاكم والفحش، فإنّ الله لا يحبُّ الفحش ولا التَّفحُّش".
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:"المتسابَّان ماقالا، فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم.
قال بعض الحكماء:ما استبّ رجلان إلاّ غلب ألأمهما.
قال الزِّبرقان بن بدر: خصلتان كبيرتان في امرئ السُّوء: شدة السّبِّ، وكثرة اللّطام.
كان يقال: الغالب في الشر مغلوب.
شتم رجلٌ أبا ذر، فقال له: ياهذا لا نغرقنَّ في شتمنا ودع للصلح موضعا، فإنّا لا نكافئ من عصى الله فينا، بأكثر من أن نطيع الله فيه.
قال أبو مسلم صاحب الدعوة، عصبة الأشراف تظهر بأفعالها، وعصبة الأدنياء تظهر بألسنتها.
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه". كان يقال:ظنُّ الحكيم كهانة. ويروى هذا لمعاوية رضي الله عنه.
سئل بعض العرب عن العقل،فقال: الإصابة بالظّنون، ومعرفة ما لم يكن بما كان.
قال علي بن أبي طالب :لله درّ ابن عباس إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق.
قال بلعاء بن قيسٍ:

?وأبغي صواب الظَّنِّ	إذا طاش ظنُّ المرء

أعـلـم أنَّـه طاشت مقادره

وقال أوس بن حجر:

الألمعيُّ الذي يظنُّ بك الظنَّ كأن قد رأى وقد سمـعـا

كان يقال: صحة الظن أول اليقين، أخذه سعيد بن حميد فقال:

أهابك أن أدلَّ عليك ظنَّا لأنَّ الظَّن مفتاح اليقين

وقال آخر:

يظنُّ فلا يعدو الضَّمير كأنَّمـا له في الأمور الغائبات رقيب

وقال كثير بن عبد الملك:

رأيت أبا الوليد غداة جمـع به شيبٌ وما فقد الشَّبـابـا
ولكن تحت ذاك الشَّيب عزمٌ إذا ما ظنَّ أمرض أو أصابا

وقال آخر:؟

وإنِّي لطرف العين بالعين زاجرٌ فقد كدت لا يخفى عليَّ ضمير

وقال عبد الله بن محمد الأشبوني:

ذكيٌّ يرى ما في الضمير بظنِّه كأن له غيباً على غامض السِّرِّ

وقال آخر:

أحسن الظَّنَّ بمن قد عوَّدك حسناً أمس وسـوَّى أودك
إنَّ ربَّا كان يكفيك الـذي كان بالأمس سيكفيك غدك

سمع أعرابي رجلا يقول: إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه. فقال الأعرابي:إن الكريم إذا تولى شيئاً أحسن فيه.
قال ابن عباس رضي الله عنه:الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عزوجل.
قيل لبعض العلماء:من أسوأ الناس حالا؟ قال:من اتسعت معرفته، وضاقت مقدرته، وبعدت همته، وأسوأ منه حالا:من لم يثق بأحد لسوء ظنه ولم يثق به أحدٌ لسوء فعله.
قال غيره من الحكماء: حسب البعيد الهمة أن تكون غايته الجنة.
قال أبو العتاهية:

الظَّنُّ يخطئ تارةً ويصيب

وقال آخر:

وإنِّي بها في كل حالٍ لـواثـقٌ ولكنّ سوء الظَّنِّ من شدّة الحبِّ

قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصَّدق ما يعتاده من تـوهُّـم

قال ابن هرمة:

وحسبك تهمةً لنصيح قومٍ يمدُّ على أخي غدرٍ جناحا

قال أبو حازم: العقل التَّجارب، والحزم سوء الظن.
قال الحسن البصري: لو كان الرجل يصيب ولا يخطئ، ويحمد في كل ما يأتي لداخله العجب.
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس كلُّهم -فيما علمت- ثلاثة: العزيز في قوله لامرأته حين تفرّس في يوسف: "أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولداً"، وصاحبة موسى حين قالت: "ياأبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويُّ الأمين". وأبو بكر حين تفرّس في عمر رضي الله عنهما فاستخلفه.
نظر إياس بن معاوية يوماً، وهو بواسط، في الرحبة إلى آجرّة، فقال:تحت هذا الآجرّة حيّة، فنزعوا الآجرة فإذا تحتها حيةٌ منطوية، فسئل عن ذلك فقال: إنّي رأيت ما بين الآجرتين ندِيًّا من بين تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس.
قال عمرو بن بحر: إذا نظر الأعرابي موضع منتفخ في أرض مستوية، فإذا رآه يتصدع في تهيّل، وكان تفتحه مستوياً علم أنها كمأة وإن خلط في التصدع والحركة علم أنها دابّة، فاتقى مكانها.
نظر إياس بن معاوية يوماً إلى صدع في الأرض، فقال:في هذا الصدع دابة. فنظروا فإذا فيه دابة. فقال: إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات.
قال معن بن زائدة:ما رأيت قفا رجل قطّ إلا عرفت عقله، فقال له الفضل بن شهاب:فإن رأيت وجهه؟ قال:فذلك حينئذ في كتاب أقرأه.
ومر إياس بن معاوية ذات يوم بماء،فقال: أسمع صوت كلب غريب،قيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب. قالوا:فإذا كلب غريب مربوط، والكلاب تنبحه.
وأماقول العماني:

ويفهم قول الحكل لو أنّ ذرّةً تساود أخرى لم يفته سوادها

فالحكل:كل من لم يكن له صوت تستبان مخارجه، أو كلام يفهم من الجواب كله. وأما قوله: تساود فمعناه تسارّ، والسَّواد:السِّرار،ومنه قول ابنة الخسِّ:حملني على هذا قرب الوساد، وطول السِّواد.

وفي حديث ابن مسعود: تعالى أساودك، أي أسارّك.

قال وهب بن منبّه خصلتان إذا كانتا في الغلام رجيت نجابته:الرَّهبة والحياء.

قال غيره: إذا استثقل الصبي الأدب، وضج من الحصر إلا أنه إذا حفظ وعي، وإذا فهم أدّى، كان ذلك ممن يرجى.

قال غيره:إذا كان الغلام حازماً في الخلاء، فظيع اللسان في الملاء، يبغض التعليم، ويوارب المعلم، ويقدم أباه على أمه، ويؤخِّر خاله على عمه، وكنيته أحبُّ إليه من اسمه، فإنه يرجى خيره وينتظر عزّه.

وقال ابن الزيّات: إذا رأيت الصبي يحب عاجل المكروه من غير أن يعرف عاجل المنفعة فهو مضعوف، قاله إذ رأى ابنه عمر يحب الكتاب فاغتّم له، فسئل عن ذلك،فقال ما ذكرنا، قال أبو عمر رضي الله عنه:قوله عندي هذا ليس بشيء.
وقال غيره:يستدل على نجابة الصبي بشيئين الحياء وحبّ الكرامة، أما الحياء فهو خير كله، وأما حب الكرامة فيدعو إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل.
قال عمرو بن العاص: أنا للبديهة ومعاوية للأناة، والمغيرة للمعضلات، وزياد لصغار الأمور وكبارها.
أراد يوسف بن عمر بن هبيرة أن يولّي بكر بن عبد الله المزنيّ القضاء،فاستعفاه، فأبى أن يعفيه، فقال: أصلح الله الأمير،ما أحسن القضاء، فإن كنت كاذباً فلا يحلّ لك أن تولّي الكاذبين، وإن كنت صادقاً، فلا يحل أن تولّي من لا يحسن.
قال رجل من الأعراب ضرير النظر لابنته، وهي تقوده في المرعى:يا بنية انظري كيف ترين السماء؟ قالت كأنها قرون المعزي. قال:ارعي.فرعت ساعة، فقال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت كأنها خيل دهم تجرّ جلالها.قال:ارعي. فرعت ساعة ثم قال:انظري كيف ترين السماء؟ قالت: كأن الرباب نعام تعلق بالأرجاء من السماء، قال:ارعي. ثم قال:انظري كيف ترين السماء ?قالت. ابيضت واسودت ودنت فكأنها عين نفسٍ تطرف. قال: أنجي ولا أراك ناجية.
قال الشاعر:

أكلُّ وميض بارقةٍ كـذوب ... أمافي الدَّهر شيءٌ لا يريب

أشار ضيف لقوم إلى بنت لهم لتقبله، فقالت والله إني إذاً لطويل العنق.فسمعها الشيخ، فقال: أشار والله إليها لتقبله.
للبيد أو للبعيث:

لعمرك ما تدري الطّوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطّير ما الله صانـع

\باب الظّنّ والزّكانة قد تقدم في الباب الذي قبل هذا ، قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " إذا ظننتم فلا تحققوا " وقال اللّه تعالى : " إنّ الظّنّ لا يغنى من الحقّ شيئاً " وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : إياكم والظنّ ، فإن الظنّ أكذب الحديث .
قال عمر بن الخطاب : لا يحل لامرئٍ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظن بها سوءاً ، وهو يجد لها في شئ من الخير مخرجاً.
وقال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه.
قال علىّ بن طالب : حسن الظنّ باللّه ألا ترجو إلا اللّه ، ولا تخاف إلا ذنبك.
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللّه " .
قال الحسن البصرىّ : إنّ المؤمن إذا أحسن الظن أحسن العمل.
قال أبو مسلم الخزلانى : أتّقوا ظنّ المؤمن ، فإن اللّه جعل الحقّ على لسانه وقلبه.

قال عبد اللّه بن عباس : كفى بك ظلما ألا تزال مخاصماً ، وكفى بك إثماً ألا تزال ممارياً.
وعن ابن مسعود : قال عبد الرحمن بن أبى ليلى : ما أمارى أخي أبداً ، لأنى أرى أنى إما أن أكذبه وإما أن أغضبه.
قال عبد اللّه بن حسين على رضى اللّه عنهم : المراء رائد الغضب ، فأخزى اللّه عقلا يأتيك به الغضب.
قال محّمد بن على بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتنبت الشحناء في صدور الرجال.
كان يقال : لاتمار حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيك. قيل لعبد الله بن حسين : ما تقول في المراء ؟ قال : يفسد الصداقة القديمة ،ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون دريئة للمغالبه والمغالبه ، أمتن أسباب القطيعه. قال عبد الله بن عباس لمعاويه : هل لك في المناظرة فيما زعمت أنك خاصمت فيه أصحابى ؟ قال : وما تصنع بذلك ؟ أشغب بك وتشغب بي ، فيبقى في قلبك ما لا ينفعك ، ويبقى في قلبى ما يضرك.
قال إبراهيم التّيمى : إياكم والمخاصمات في الدين ، فإنها تحبط الأعمال.
قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل.
قال الأوزاعىّ : إذا أراد اللّه بقوم شراً ألزمهم الجدل ، ومنعهم العمل.
قال ابن أبي الزناد : ما أقام الجدل شيئاً إلا كسره جدل مثله.
وقد أفردنا في كتاب " بيان العلم " باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال ، وباباً فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة ، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلف ما فيه كفاية وبيان ، والحمد للّه وهو المستعان.
قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : من لاحى الرجال وماراهم قلت كرامته ، ومن أكثر من شئ عرف به.
وقال مسعر بن كدام الهلالى يوصى ابنه كداما :

إنّي منحتك يا كدام نصيحتـي ... فاسمع لقول أب عليك شفيق
أمّا المزاحة والمراء فدعهمـا ... خلقان لا أرصاهما لصـديق
إنّي بلوتهما فلم أحمـدهـمـا ... لمجاورٍ جـار ولا لـرفـيق
والجهل يزرى بالفتى في قومه ... وعروقه في النّاس أىّ عروق

وقال وصعب الزبيرى :

أأقعد بعدما وجفت عظـامـى ... وكان الموت أقرب ما يلينـى
أجادل كلّ معتـرض خـصـيمٍ ... وأجعل دينه غرضـاً لـدينـى
فأترك ما علمت لرأى غـيرى ... وليس الرّأى كالعلـم الـيقـين
وما أنا والخصومة وهى لبـس ... تصرف في الشّمال وفي اليمين

في أبيات قد ذكرناها بتمامها في كتاب " بيان العلم وفضله "

والحمد للّه.
قال أبو العبّاس النّاشئ :

وإذا بليت بجاهل متحامل يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته منّى السّكوت وربّما كان السّكوت على الجواب جوابا

باب المراء والخصومة والملاحاة

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم : " أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة ، وبيت في وسط الجنة ، وبيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقّا ، ولمن ترك الكذب وإن كان لاعباً ، ولمن حسنت مخالفته للنّاس " .
قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : لما أسرى بي كان أول ما أمرني به ربى أن قال : إيّاك وعبادة الأوثان ، وشرب الخمر ، وملاحاة الرجال .
قال قيس بن السّائب : كان رسول اللّه عليه وسلم شريكى في الجاهلية ، فكان خير شريك ، فكان لا يدارى ولا يمارى.
قال معاذ بن جبل : إذا كان لك أخ في اللّه فلا تماره ، ولا تساره الحديث.
قال لقمان لابنه : يا بنى لا تمارين حكيماً ، ولا تجادلن لجوجاً ، ولا تعاشرن ظلوماً ، ولا تصاحبنّ متهماً.
قال لقمان لابنه : يا بنى من قصّر في الخصة خصم ، ومن بالغ فيها أثم فقل الحق ولو على نفسك ، ولا تبال من غضب.
وفي الحديث المرفوع : " احذروا جدال كل مفتون ، فإنّه يلقّن حجّته إلى انقطاع مدته " .
سب أعرابي أعرابياً ، فسكت. فقيل له : لم سكتّ عنه ? فقال : مالى علم بما فيه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه.
ولمحمد بن زياد الحارثى :

وأرفع نفسى عن نفوس وربّما تذلّلت في إكرامها لنفوس
وإن رامني يوماً خسيس بجهله أبى اللّه أن أرضى بعرض خسيس

وقال حسان بن ثابت :

ما أبلى أنبّ بالحزن تيس أم لحانى بظهر غيب لئيم

وقال آخر :

وقل ليزيد إن شتمت سراتنا فلسنا بشتّامين للمتشتّم
ولكننا نأبى الجواب ونقتضى بكلّ رقيق الشّفرتين غشمشم

قال الخليل : الغشمشم : الجرئ الماضى ، قال الشاعر :

عبل الشّوى غشمشماً غاشما

وقال آخر :

وتبطش أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتّكلم

وقال الأخطل :

أنبئت كلبا تمنّى أن تسافهنـا وطالما سافهونا ثمّ ما ظفـروا
قد أنذروا حيّة في رأس هضبتهٍ وما يكاد ينام الحـيّة الـذّكـر

وقال آخر :

فإن تشتمونا على لؤمـكـم فقد تقرض العثّ ملس الأدم

العث دويّبة صغيرة ليس بها إلاّ أنّها تقرض كل شيءٍ وقال آخر :

هل يشتمنى لا أبـا لـكـم دنس الثّياب كطابخ القـدر
جعلٌ تمطّى في غثاثـتـه زمن المروءة ناقص الشّبر

أعطى الحسن بن على شاعراً ، فقيل له : تعطى من يقول البهتان ، ويعصي الرحمن ؟ فقال : إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابتغى الخير اتقى الشر. وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك فى شاعر مدحه فأعطاه. وقد كان يقال : إعطاءُ الشاعر من بر الوالدين. قال جرير :

وما حملت أمّ امرئٍ في ضلوعها أعق من الجاني عليها هجـائيا

وقال آخر :

اصحب الأخيار وأرغب فيهم ربّ من صاحبته مثل الجرب
ودع الناس ولا تشـتـمـهـم وإذا شاتمت فاشتم ذا حسـب
إنّ من سبّ لئيمـاً كـالّـذي يبدّل الصّفر بأعيان الذّهـب

وقال آخر :

مالى أكفكف من " وتشتمنى " ولو شتمت بني سعد لقد سكتوا

وقال آخر :

جهلاً علينا وجبنا عن عدوّهم لبئست الخلّتان الجهل والجبن

قيل للشعى : فلان يتنقصك ويشتمك. فتمثل بقول كثيّر :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخـامـرٍ لعزّة من أعراضنا ما استحلّت
أسيئى بنا أو أحسنى لاملـومةً لدينا ولا مقليّة إن تـقـلّـت

وقال قيس المجنون :

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا	هنيئاً ومغفوراً لليلى ذنوبها

وقال آخر :

إذا ما شئت سبئك غير قوم	وإن كنت المهذب واللّبابا
يها بك كلّ ذى حسب ودين	وأمّا في اللئام فلن تهابـا

وقال آخر :

من شاتم النّاس رموه بما	لم يك يعتدّه في الحساب

كأنه أخذه من قول كعب بن زهير :

ومن دعا الناس إلى ذمّه	ذموه بالحقّ والباطـل

وقال آخر :

ولست مشاتماً أحـداً لأبـى	رأيت الشّتم من عىّ الرّجال
إذا جعل اللئيم أباه نصـبـاً	لشاتمه فديت أبى بمـالـى

وقال آخر :

وتجزع نفس المرء من شتم مرّة	ويشتم ألفاً بعد ذاك فيصـبـر

وقال آخر :

لعمرك ما سبّ الأمير عدوّه	ولكنّما سبّ الأمير المبلّـغ

وقال آخر :

من يخبّرك بشتم عـن أخ	فهو الشّاتم لا من شتمـك
ذاك شتم لم يواجهـك بـه	إنّما اللّوم على من أعلمك

وقال آخر :

أبا حسنٍ يكفيك ما فـيك شـاتـمـاً	لعرضك من شتم الرّجال ومن شتمى

وقال آخر :

وما يقى عنك قوماً أنت خائفـهـم	كمثل دفعك جهّـالاً بـجـهّـال
فاقعس إذا حدبوا واحدب إذا قعسوا	ووازن الشّرّ مثقالاً بـمـثـقـال

وقال آخر :

ثالبنى عمرو وثالبـتـه	**فقد أثم المثلوب والثّالب**
قلت له خيراً فقال الخنا	**كلّ على صاحبه كاذب**

باب الكبر والعجب والتّيه

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم ، حاكياً عن اللّه عزّ وجل : " الكبرياء ردائي ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحداً منهما أدخلته النار " .
وقال رسول اللّه صلى اللّهّ عليه وسلم : " لا ينظر اللّه عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه خيلاء ، وفي حديث آخر : لاينظر اللّه عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه بطراً " .
قال رسول اللّه صلى اللهّ عليه وسلم : إنما الكبر أن يسفّه الحقّ ، ويغّمض النّاس.
قال محمّد بن عليّ بن حسين : ياعجباً من المختال الفخور الذي خلق من نطفه ، ثم يصير جيفة ثم لا يدرى بعد ذلك ما يفعل به.
قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : سمعت أحمد بن يوسف ، وذكر رجلا كان يذهب بنفسه في التيه ، فقال : يتيه فلان ، وما عنده فائدة ولا عائده ولا رأى جميل.
قال الشاعر :

يامظهر الكبر إعجاباً بصورتـه	**أبصر خلاءك إنّ المين تثـريب**
لو فكر النّاس فيما في بطونهـم	**ما استشعر الكبر شبّانٌ ولا شيب**

قيل لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، فقال : طوبى لمن علمه اللّه كتابه ، ولم يكن جباراً.
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " لا يزال الرّجل يذهب بنفسه في التّيه حتى يكتب في الجبّارين ، فيصيبه ما أصابهم " .
قال مالك بن دينار : كيف يتيه من أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بين ذلك حاملٌ عذرة.
أخذه أبو العتاهية فقال :

ما بال من أوّلـه نـطـفـةٌ	**وجـيـفة آخـره يفـخـر**
أصبح لا يملك تقـديم مـا	**يرجو ولا تأخير ما يحـذر**
وأصبح الأمر إلـى غـيره	**في كل ما يقضى وما يقدر**

وقال منصور الفقه :

تتيه وجسمك من نطفة	**وأنت وعاءٌ لما تعلـم**

وله أيضاً :

قولوا لزوّار الكنف	**والمنشئين من نطف**
يا جيفاً من الجـيف	**ما لكم وللصّـلـف**

كان يقال : لولا ثلاثٌ سلم النّاس : شحّ مطاع ، وهوى متّبع ، وإعجاب المرء بنفسه.
قال جعفر بن محمد : علم اللّه عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من العجب ، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنب.
قال بلال بن سعيد : إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً فقد تمت خسارته.
قال بعض الحكماء : البلية التي لا يؤجر عليها المبتلى بها : العجب ، والنعمة التي لا يحسد عليها :

التواضع.
كان يقال : لاشئ أكلم للمحاسن من العجب والتيه قال نصر بن أحمد :

ومن أمن الآفات عجـبـاً بـرأيه آحاطت به الآفات من حيث يجهل

وقال منصور الفقيه :

لاتحلقنّ بتـيّاه فـتـحـمـلـه على التّزيّد مما يسخط اللّـه
واهجره للّه لا للنّاس مبتـغـياً ثواب ربّك في هجران من تاها

وقال آخر :

إن عيسى أنف أنفه أنفه ضعفٌ لضعفه
لو تراه راكباً والتّيه قد مال بعطـفـه
لرأيت الأنف في السّر ج وعيسى مثل ردفه

وقال ابن السّلمانى :

أتيه على جنّ الـبـلاد وإنـسـهـا ولو لم أجد خلقاً لتهت على نفسى
أتيه فلا أدرى من التّـيـه مـن أنـا سوى ما يقول الناس فيّ وفى جنسى
فإن زعموا أنّى من الإنس مثلـهـم فما لي عيبٌ غير أنّى مـن الإنـس

وقال خلف الحمر :

لنا صاحبٌ مولعٌ بـالـخـلاف كثير الخطاء قليل الـصّـواب
ألجّ لجاجاً من الخـنـفـسـاء وأزهى إذا ما مشى من غراب

ولأبى العتاهية ، ويروى لمنصور الفقيه :

حّذتك الكبر لا يعلقـك مـيسـمـه فإنّه ملبـسٌ نـازعـتـه الـلّـه
يا بوس حامل رجسٍ ليس يغسلـه بالماء عنه إذا كلّـمـتـه تـاهـا
يرى عليك له فـضـلاً ومـنـزلةً إن نال في العاجل السّلطان والجاها
مثنٍ على نفسه راضٍ بـسـيرتـه كذبت يا صاحب الدّنيا ومـولاهـا

وقال منصور الفقيه :

قلت للمعجب لمّـا قال مثلى لا يراجع
يا قريب العهد بالمخ رج لم لا تتواضع

قال على بن محمد : إنما أهلك الناس العجلة والعجب ، ولو ثبتوا ولم يعجلوا لم يهلك منهم أحد.
قال ابن أبى ليلى : ما رأيت ذا عجب قطّ إلا اعتراني بعض دائه. يريد أنه يبعثه على مكافأته بالتكبر عليه.
قال بعض الحكماء : من استطاع أن يمنع نفسه أربعاً كان جديرا ألا ينزل به مكروه : العجلة ، واللجاجة ، والتواني ، والعجب. ولإبراهيم بن العبّاس الصولى في محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفر عرّج على خلطائكـاً وأقصر قليلاً عن مدى غلوائكا
فإن كنت قد أوتيت بالأمس رفعةً فإنّ رجائي في غد كرجـائكـا

ولمنصور الفقيه :

قد كنت أيام كنت مثلـكـم أرى الهلال الخفيّ بالعجله
لو مرّ بي تائهٌ على جمـل لم أره الآن قلّةً ولا جمله

باب التّواضع والإنصاف

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم ما تواضع عبدٌ للّه إلاّ رفعه اللّه.
وقال صلى اللّه عليه وسلم : تواضعوا يرفعكم اللّه ، واعفوا يعزكم اللّه.
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : طوبى لمن تواضع من غير منقصة ، وذل نفسه من غير مسكنة ، وأنفق مالاً جمعه من غير معصية ، طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته.
انتسب رجلٌ عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، حتى بلغ عشر آباء ، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم : لاحسب إلا في التواضع ، ولا نسب إلا بالتقوى ، ولا عمل إلا بالنية ، ولا عبادة إلا باليقين.وعنه عليه السلام أنه قال : من عظمت نعمة اللّه عليه فليطلب بالتواضع شكرها ، فإنه لا يكون شكوراً حتى يكون متواضعاً.
قال بعض الحكماء : رأس الحكمة طاعة اللّه ، وتقديم حسن النية ، وعراها التواضع في الحقّ ، والإنصاف في المناظرة ، والإقرار بما يلزم من الحجة ، وثمرتها حفظ الثواب ، في العاجلة ، والنجاة في العاقبة ، وحقّها العمل بها ، وألاّ تمنع من من مستحقها ، وأن توقر أوعيتها لوقارها.
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما من أحدٍ إلاّ وفي عنقه

حكمةٌ موكل بها ملك ، يقول اللّه به : إن تواضع عبدى فارفعه ، وإن ارتفع فضعه.
قال بكر بن عبد اللّه المزنى : ما أرى امرءًا إلاّ رأيت له الفضل علىّ ، لأنّي من نفسى على يقيين ، وأنا من النّاس على شك.
قال عبد اللّه بن مسعود : إن من التواضع الرّضا بالدّون من شرف المجلس ، وأن تسلّم على من لقيت.
قال عبد اللّه بن المبارك : التعزّز على الأغنياء تواضع.
كان يقال : بالتواضع تتمّ النعمة ، وبالتكبر تحق النقمة.
كان سليمان عليه السلام يجئ إلى أوضع المجالس بنى إسرائيل فيجلس معهم فيقول : مسكينٌ بين ظهرانى مساكين.
كان يقال : ثمرة القناعة الرّاحة ، وثمرة التواضع المحبة.
قال لقمان لابنه : يا بنىّ تواضع للحقّ ، تكن أعقل الناس قال أبو الدّرداء : ليس الذي يقول الحق ويفعله بأفضل من الذي يسمعه فيقبله.
قال بعض الحكماء : إذا نسك الشريف تواضع ، وإذا نسك الوضيع تكبّر.ولذى الرّمّة الأسدىّ :

إذا اصطحب الأقدام كـان أذلّـهـم	لأصحابه نفسـاً أبـرّ وأفـضـلا
وما الفضل في أن يؤثر المرء نفسه	ولكنّ فضل المرء أن يتفـضـلا

قال سالم بن قتيبه : ما تكبّر في ولايته إلا من كبرت عنه ، ولا تواضع فيها إلا من كبر عنها.
قال بعض الفلاسفة : أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فيمن يبعده.
قال بزر جمهر : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أحمد من الكبر مع الأدب والسخاء فأعظم بحسنه سترت من صاحبها سيئتين ، وأقبح بسيئة غطّت من صاحبها حسنتين.
قال عبد الملك بن مروان : أفضل النّاس من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة كان يقال : من حقوق الشّرف أن تتواضع لمن هو دونك ، وتنصف من هو مثلك ، وتنبل على من هو فوقك.
قال ابن السّماك للرشيد : تواضعك في شرفك أشرف من شرفك قال جعفر بن محمد : من أنصف النّاس من نفسه قضى به حكماً لغيره قال معن بن أوس :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجـدتـه	على طرف الهجران إن كان يعقل

قال مالك بن الرّيب :

فإن تنصفونا يال مروان نقترب **إليكم وإلا فأذنـوا بـبـعـاد**
ففي الأرض عن المذلّة مذهبٌ **وكلّ بلاد أوطنت كـبـلادى**

قال العباس بن عبد المطلب :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفـت **قواطع في أيماننا تقطر الدّمـا**
تركناهم لا يستحلون بـعـدهـا **لذي رحمٍ يوماً من الدّهر محرماً**

قال الحكم بن المنذر الجارود في الإنصاف :

بنى عمنّا لا تجزعوا من طـعـانـنـا **فقد كان قبل اليوم مبكى ومـجـزعـاً**
وذوقوا كما ذقنا من الـحـرب إنّـنـا **نرى شر أهل الأرض من قد تضعضعاُ**
ونـادى مـنـاد يال بـكـر بـن وائل **ونادى بعبد القيس نـاد فـأسـمـعـا**
فما خذلتـنـا الأزد إذ دارت الـرّحـى **ولكنّهم يحـمـون عـزّاً مـمـتّـعـا**
خطنا البيوت بالبـيوت فـأصـبـحـوا **بنى عمّنا من يرمهم يرمـنـا مـعـا**

وقال أبو الأسود الدؤلى :

إذا قلت أنصفنى ولا تظلمـنّـنـى **رمى كلّ حقّ أدّعيه بـبـاصـل**
فما طلته حتّى ارعوى وهو كـاره **وقد يرعوى ذو الشّغب عند التجادل**
وإنك لم تعطف إلى الحق ظالـمـاً **بمثل خصيم عاقل مـتـجـاهـل**

قالوا : ثلاثة من حقائق الإيمان : الاقتصاد في الإنفاق ، والابتداء بالسلام والإنصاف من نفسك.
وفي سماع أشهب ، قال مالك رضى اللّه عنه :ليس في الإنسان شئٌ أقل من الإنصاف.
قال جعفر بن سعد : ما أقلّ الإنصاف ، وما أكثر الخلاف ، الخلاف موكل بكلّ شئ حتى القذاة في رأس الكوز ، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك ، وإذا أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت.

قال الشاعر :

آخ الكرام المنصفين وصلهـم **واقطع مودّة كلّ من لا ينصف**

وقال أبو العتاهية :

إذا ما لم يكن لك حسن **أسأت إجابةً وأسأت**

فهم سمعا

وقال أبو عثمان الشريشى :

لو جرحت رأسى يدا منصف لما تـمـنّـيت بـأن أبـرا

باب الرّأى والمشورة

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ما تشاور قومٌ إلاّ هداهم اللّه لأرشد أمورهم.
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : لن يهلك امرؤٌ عن مشورة.
قال صلى اللّه عليه وسلم : المستشار مؤتمن.
قال الحسن : إن اللّه لم يأمر نبيّه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة.
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : من نزل به أمر فشاور فيه من هو دونه تواضعاً منه عزم له على الرّشد.
قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : شاور في أمرك من يخاف اللّه عز وجل.
قيل لرجل من بنى عبس. ما أكثر صوابكم ؟ ! قال : نحن ألفٌ وفينا حازم واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا ألف حازم.
قال عامر بن الظّرب : الرأى نائم والهوى يقظان ، فلذلك يغلب الهوى الرأى.
كان يقال : بإجالة الفكرة يستدرّ الرأى المصيب كان علىّ بن أبى طالب يقول : رأى الشيخ خير من مشهد الغلام
قال بزر جمهر : حسب ذا الرأي ومن لا رأى له أن يستشير عالماً ويطيعه. مرّ حارثه بن زيد بالأحنف بن قيس فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر. فقال : يا حارثه أجل ، كانوا لايشاورون الجائع حتى يشبع والعطشان حتى ينقع ، والأسير حتى يطلق ، والمضلّ حتى يجد ، والراغب حتى يمنح.
كان يقال : استشر عدوّك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإن العاقل يتقي على رأيه الزّلل ، كما يتقي الورع على دينه الجرح. قال ابن المقفع : ثلاثة لا آراء لهم : صاحب الخف الضيق ، وحاقن البول وصاحب المرأة السليطة. قال بعض البلغاء : لا نتيجة لرأى إلا عن طاعة ونصيحة ، ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبة ومودة. وقال بعضهم : لاتترك الأمر مقبلا ، وتطلبه مدبراً ، فإن ذلك من ضعف العقل وقلة الرأى.
كان يقال : لا تدخل في رأيك بخيلا فيقصّر فعلك ، ولا جباناً

فيخوّفك مالا تخاف ، ولا حريصاً فيعدك مالا يرجى.
قال بعض الأعراب :

ولو أنّ قومى أكرمونى وأتـأمـوا سجالاً بها أسقى الـذّين أسـاجـل
كففت الأذى ما عشت عن حلمائهم وناضلت عن أعراضهم من يناضل
ولكنّ قومى عزّهم سفـهـاؤهـم على الرّأى حتّى ليس للرأى حامل

قال النبى صلى اللّه عليه وسلم : الحزم : في مشاورة ذوى الرّأى وطاعتهم.
قال الملهب : إذا كان الرأى عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور.
قال الحكماء : إذا كنت مستشيراً فتوخّ ذا الرأى والنصيحة ،فإنه لا يكتفى برأى من لا ينصح ، ولا نصيحة لمن لا رأى له.
ولبشار بن برد ، وقيل إنها لعنترة ، وقيل : إنها للعجّاج الأسدى :

إذا بلغ الرّأى المشورة فاستـعـن برأى نصيحٍ أو نصـاحة حـازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً فإنّ الخوافى رافـدٌ لـلـقـوادم
وآذن من القربى المقدّم نـفـسـه ولا تشهد الشورى امرءًا غير كاتم
وما خير كفّ أمسك الغلّ أختـهـا وما خير سيف لم يوتّـد بـقـائم
فإنّك لا تستطرد الهمّ بـالـمـنـى ولا تبلغ العليا بغير الـمـكـارم

أنشدنى الأعرابي :

وأنفع من شاورت من كلّ ناصحـاً شفيقاً فأبصر بعدها من تـشـاور
وليس بشافـيك الـصّـديق ورأيه غريبٌ ولاذو الرّأى والصّدر واغر

وقال بكر بن أذينة :

ولا أشير على من لاّ يشاورنى إذا طوى ذات يومٍ أمره دونى

قال أكثم بن صيفى : المشورة مادة الرأى.
قال ابن هبيرة لبعض ولده : ولا تشر على مستبدّ ، ولا على عدوّ ، ولا على متّلون ، ولا على لجوج ، ولا تكون أول مستشار ، ولا أول مشير ، وإياك والرأى الفطير ، وخف اللّه في المستشير ، فإن التماس موافقه لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة.
قال سليمان عليه السلام لابنه : يا بنى لا تقطع أمراً حتى تشاور مرشداً فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم.
كان يقال : من اجتهد رأيه وشاور صديقه ، قضى ما عليه.
قال عمر بن العاص : ما نزلت بى قطّ عظيمةٌ فأبرمتها حتى أشاور عشرةً من قريش مرتين فإن

أصبت كان الحظّ لى دونهم ، وإن أخطأت لم أرجع على نفسى بلائمة.
قال بعض الأعراب :

خليلىّ ليس الرأى في صدر واحد — أشيرا علىّ الـيوم مـا تـريان
أأركب صعب الأمر إنّ ذلولـه — بنجران لا يقضى بـحـين أوان

وأظن هذين البيتين من الأعرابى القائل :

لقد هزئت منّى بنجران إذ رأت — مقامى في الكبلـين أمّ أبـان
كأن لم تر قبلى أسيراً مكبـلاً — ولا رجلاً يرمى به الرّجـوان

وقد تمثل بهذا البيت عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه ، وكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته.
كان يقال : أمران جليلان لا يصلح أحداهما إلاّ بالتفرّد ، ولا يصلح الآخر إلا بالتّعاون ، الملك والرّأى ، فإن استقام الملك بالشركاء استقام الرأى بالاستبداد ، وهذا لا يكون أبداً.
قال صالح بن عبد القدوس

وإن باب أمرٍ عليك التوى — فشاور لبيباً ولا تعصـه
وإن ناصح منك يوماً دنا — فلا تنأ عنه ولا تقصـه

قال الأحنف : اضربوا الرأى بعضه ببعض يتولّد منه الصّواب ، وتجنّبوا منه شدة الحزم ، واتّهموا عقولكم ، فإن فيها نتائج الخطأ ، وذمّ العاقبة.
كان يقال : خذ الأمر مقلا ، فشرّ الرأى : الدّبرىّ.
قال الشاعر ، وهو القطامىّ :

وخير الأمر ما استقبلت منه — وليس بأن تتبعه اتبـاعـا

قال بعض العرب : قبل الرّمي يراش السّهم وقال سابق : وقبل أوان الرّمى تملا الكنائن وقال الفارسىّ : بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة ، وأنشد :

تدارك الأمر قبل نهبتـه — أبلغ فيما تحبّ من دركه

قال بعض الحكماء : حقيق أن يوكّل إلى نفسه ، من أعجب برأيه.
قال عبد الملك : اللحن هجنة الشريف ، والعجب آفه الرأى.
قال قتيبه بن مسلم : من أعجب برأيه ، لم يشاور كفيا ، ولم يوات نصيحاً.
قال بزر جمهر : أفره الدّواب لاغنى به عن السّوط ، وأعفّ النساء لا غنى بها عن الزواج ، وأعقل الرجال لا غنى به عن المشورة.
قال عبد الملك بن مروان : لأن أخطئ وقد استشرت أحب إلىّ من أن أصيب من غير مشورة.
قال قتيبه بن مسلم : الخطأ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطئ ، والفرقة لا تصيب.
قال المأمون : ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشد فيهنّ : مشاورة ناصح ، ومداراة حاسد ، والتحبب إلى الناس.
كان عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يستشير في الأمر ، حتى إن كان ربما استشار المرأة ، فأبصر في رأيها فضلا.

كان يقال : ما من قوم تمالئوا على أمرهم ، ثم شاوروا امرأة إلا تبّر اللّه أمرهم.
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : لايفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة.
كان يقال : من طلب الرّخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند الشبهة ، من الأطباء عند المرض ، أخطأ الرّأى ، وحمل الوزر ، وازداد مرضاً.
قال الشاعر ، وأظنها لمنصور الفقيه :

إذا الأمر أشـكـل إنـفـاذه ... ولم تر منه سبيلا فـسـيحـا
فشاور بأمرك فـي سـتـرةٍ ... أخاك اللبيب المحبّ النّصيحا
فربّتما فرّج النّـاصـحـون ... وأبدوا من الرّأى رأياً صحيحا
ولا يلبث المستشير الـرّجـال ... إذا هو شاور أن يستـريحـا

وقال آخر :

إنَّ اللَّبِيب إذا تـفـرّق أمـره ... فتق الأمور مناظراً ومشاور
أخو الجهالة يستـبـدّ بـرأيه ... فتراه يعتسف الأمور مخاطرا

وقال آخر :

وعاجز الرّأى مضياعٌ لفرصته ... حتّى إذا فات أمر عاتب القدرا

وقال آخر :

أنتم أناسٌ عظامٌ لا حلوم لكـم ... لا تعلمون أجاء الرّشد أم غابا
لا تبصرون وجوه الرّأى مقبلة ... وتبصرون إذا ولين أذنـابـا

قال أبو عمر : الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورة محمودة عند غاية العلماء ، ولا علم أحداً رضى الاستبداد وحمده ، إلا رجل واحد مفتون ، مخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أو رجلٌ فاتك يحاول حين الغفلة ، ويرتصد الفرصة ، وكلا الرّجلين فاسقٌ مائق ، مثال أحدهما قول عمر بن أبى ربيعة. يخاطب من يخدعه.

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجـد
واستبدت مـرّة واحـدةً ... إنّما العاجز من لا يستبد

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العنبرى الأعرابى

إذا هم ألقى بين عينيه عـزمـه ... ونكّب عن ذكر العواقب جانبـا
ولم يستشر في رأيه غير نفسـه ... ولم يرض إلا قائم السّيف صاحبا

سئل الحسن البصريّ ، عن قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : لا تستضيئوا بنار المشركين فقال : أراد لا تستشيروا المشركين في أموركم ولا تأخذوا برأيهم.
باب كتمان السّر وإفشائه
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : من أسّر إلى أخيه سرّاً لم يحلّ له أن يفشيه عليه.
قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن عرّض نفسه للتّهمة فلا يلومنّ من أساء الظنّ به.
قال عباس بن عبد المطلب لابنه عبد اللّه رضى اللّه عنهما : يابنى إن أمير المؤمنين يدنيك- يعنى عمر بن الخطاب- فاحفظ عنى ثلاثاً : لا تفشينّ له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يطّلعنّ منك على كذبة.
قال أكثم بن صيفي : إن سرّك من دمك ، فانظر أين تريقه.
كان يقال : احفظوا أسراركم كما تحفظون أبصاركم وكان يقال : أكثر ما يتم به التدبير الكتمان.
قال قيس بن الخطيم :

أجود بمضمون التّلاد وإنّنـى	**بسرّك عمنّ سالنى لضنـيـن**
وإن ضيّع الإخوان سراً فإنّنى	**كتومٌ لأسرار الخليل أمـيـن**
يكون له عندى إذا ما ائتمنته	**مكان بسوداء الفؤاد مكـيـن**
إذا جاوز الإثنين سرٌّ فـإنّـه	**بنشرٍ وإفشاء الحديث قمـيـن**

وفي مثل هذا : إن السرّ لا يسمّى سرّاً حتى يسره رجلٌ واحد إلى رجل آخر.
قال الصّلتان العبدى :

وسرّك ما كان عند امرئ	**وسرّ الثّلاثة غير الخفى**

وقال سابق :

فلا تخبر بسرِّك ،كلُّ سرًّ	**إذا ما جاوز الإثنين فاشى**

وقال آخر :

لكلَّ امرىء يا أمّ عمرو طـبـيعةٌ	**وتفضيل ما بين الرّجال الطّبـائع**
فلا يسمعن سرّى وسرّك ثـالـثٌ	**ألا كلّ سرًّ جاوز اثنـيـن ضـائع**

وكيف يشيع القلب سرّاً وفـوقـه حجابٌ وما فوق الحجابٌ الأضالع

وذهبت طائفة إلى أن السرَّ ما أسررته في نفسك ،ولم تبده إلى أحد.
قال عمرو بن العاص : ما استودعت رجلا سرّاً فأفشاه فلمته ، لأنى كنت به أضيق صدراً حين استودعته إياه.
وإلى هذا ذهب القائل حيث قال :

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه فعدر الّذى يستودع السّـرّ أضـيق

وأنشد الأصمعى قال :أنشدنى أعرابي :

لا أكتم الأسرار لكن أبـثّـهـا ولا أدع الأسرار تقتلنى غمّـا
وإنّ سخيف الرّأى من بات ليله حريباً بكتمان كأنّ به حـمّـى
وفي بثّك الأسرار للقلـب راحةٌ وتكشف بالإنشاء عن قلبك الهمّا

وقال سحيم الفقعسىّ :

لا أكتم الأسرار لكـن أذيعـهـا ولا أدع الأسرار تغلى على قلبي
وإنّ ضعيف العقل من بات ليلـه تقلّبه الأسرار جنباً إلى جـنـب

ومثله قول الآخر :

لا تفشين سرّك إّلا إليك فإنّ لكلّ نصيح نصيحاً
فإّنى رأيت غواة الرّجال لا يتركون أديماً صحيحاً

وقال رجل من بني سعد :

إذا ما ضاق صدرك عن حديثٍ فأفشته الرّجال فمـن تـلـوم
إذا عاتبت من أفشى حـديثـى وسرّى عنده فأنا الـظّـلـوم
وإنّى حين أسأم حمـل سـرّى وقد ضمّنته صـدري سـؤوم
ولست محدثاً سـرّى خـلـيلاً ولا عرسي إذا خطرت هموم
وأطوى السّرّ دون النّاس إنّـي لما استودعت من سرّ كتـوم

وقال المتنبي :

رضاك رضاي الذي أوثر وسرّك سرّى فما أظهر
كفتك المروءة ما تتّقـى وآمنك الودّ ما تـحـذر

وسرّكم في الحشا مـيّتٌ إذا انتشر السّرّ لا ينشـر

وقال حارثة بن بدر الغداني :

خليليّ لولا حب زينب لم أسل أفي اليوم لقّيت المنيّة أم غدا
خليليّ إن أفشيت سرّى إليكما فلا تجعلا سرّى حديثاً مبددّا
فإن أنتما أفشيتماه فـلا رأت عيونكما يوم الحساب محمّدا

وقال آخر :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرّهـا فسرّك عند النّاس أفشى وأضيع

وقال ابن ميّادة واسمه الرّمّاح :

يا خـلـيـلـيّ هـجّـرا كـي تـروحـا هجتما لـلـرّواح قـلـبـاً قـريحـا
إن تروحا لتعـلـمـا سـرّ سـعـدي تجداني بـسـرّ سـعـدي شـحـيـحـاً
إنّ سعـدي كـمـنـية الـتـمـنّـى جمعت عـفّـةً ووجـهـاً صـبـيحـا
كلمتنـي وذاك مـا نـلـت مـنـهـا إنّ سعدي تـرى الـكـلام ربـيحـا

قيل لرجل : كيف كتمانـك لـلـسـر قال : أجحد المخبر. وأحلف للمستخبر.

أسر رجل إلى رجلٍ سراً ، فلما فرغ قال له : حفظت ? قال : لا. بل نسيت.

قال أبو محجن الثقفي :

قد أركب الهول مسدولا ستائره وأكتم السرَّ فيه ضربة العنق

وقال مسكين الدرامى :

وإني امرؤٌ منّى الحياء الذي تـرى أعيش بأخلاق قليلٌ خـداعـهـا
أواخى رجالاً لست مطلع بعضهـم على سرّ بعض غير أنّى جماعها
يظلّون شتّى في البلاد وسـرّهـم إلى صخرةٍ أعيا الرّجال انصداعها

وقال آخر :

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت منّى الضّلوع من الأسرار والخبر
لكنت أول من ينسى سرائره إذا كنت من نشرها يوماً على خطر

قال أبو الشِّيص :

ضع السِّرَّ في صمَّاء ليست بصخرةٍ صلودٍ كما عاينت من سائر الصَّخر
ولكنَّها قلب امرئٍ حفيظةٍ يرى ضيعة الأسرار شراً من الشَّرِّ
يموت وما ماتت كرائم فعله فيبلى وما يبلى ثناه على الدَّهر

كان يقال : لا تطلعوا النّساء على سركم ، يصلح لكم أمركم قال الشاعر :

ختمت الفؤاد على حبهَّا كختم الصحيفة بالخاتم
هوت بي في حبَّها نظرةٌ هويَّ الفراشة في الجاحم

وقال آخر :

فإن تلك ليلى حمَّلتني أمانةً فلا وأبي ليلى إذاً لا أخونها
حفظت لها السَّرَّ الّذي الذي كان بيننا ولا يحفظ الأسرار إلا أمنها

كان يقال : كل شئ تكتمه عن عدوك ، فلا تظهر عليه صديقك وقال آخر :

إذا كتم الصديق أخاه سرّاً فما فضل الصَّديق على العدوِّ

وقال آخر :

فبثثت عمراً بعض ما في جوانحي وجرَّعته من مرِّ ما أتجرَّع
ولا بد من شكوى إلى حفيظةٍ إذا جعلت أسرار نفسي تطلَّع

وقال أبو الشص :

لا تأمن على سرِّي و سرَّكم غيري و غيرك أو طيَّ القراطيس

وقال ابن وطيع :

إذا كنت ذا سرَّ تخاف من أعدا عليه ظهوراً فاطوه دون ذي الودَّ
فيا ربَّ خلَّ حال عمَّا فظل لما قد كنت

عهـدتـه أودعته يبـدي

وقال تشبيب بن البرصاء :

وإني لأكمن السِّرَّ عندي وإن أتـى لذلك من عـهـد الأمـانة حـين
كمون النوى لايشعر النَّـاس أنَّـه ثوى في رفاق الأرض وهو دفين

وقال آخر :

تبوح بسرِّك ضيقـاً بـه وتبغي لسرِّك من يكتـم
وكتمانك السِّرَّ ممن تخاف ومن لا تخوَّفـه أحـزم

وقال آخر :

أداري خليلي ما أستقـام بـودِّه وأمنحـه ودي إذا يتـحـبـب
ولست ببادي صاحبي بقطـيعةٍ ولا أنا مبدي سرَّه حين أغضب

ومما أنشده الرِّياشي رحمه الله :

بديهته قـبـل تـدبـيره متى رمته فهو مستجمع
وفي كفّه للغنى مطلـبٌ وللسِّرَّ في صدره موضع

باب الحرب والشَّجاعة والجبن

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : " لا تمنَّوا لقاء العدوّ ، وإذا لقيتموهم فاثبتوا " قال أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه في كتابه إلى خالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة : أخذه الشاعر فقال :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدَّمـا

ومن هذا قول الخنساء :

نهين النفوس وهون النَّفو س عند الكريهة أوقى لها

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض بني عبسٍ : كم كنتم في يوم كذا ؟ قال : كنا مائه ، لم نكثر فنتوا كل ونفشل ، ولم نقلَّ فنذلَّ. قال : فيم كنتم تظهرونّ على أعدائكم ، ولستم بأكثر منهم ؟ قال : كنا نصبر بعض الناس هنيهة.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لابنه الحسن ، وقد قيل لابنه محمد : يا بني! لاتدعون أحداً إلى البراز ، فإنه بغي ، ولا يدعونَّك أحد إله إلا أجبته.

وقد وفد على عمر بن الخطاب بفتح ، فقال : متى لقيتم عدوكم ؟ قالوا : أول النهار. قال : فمتى انهزموا ؟ قالوا : آخر النهار ، فقال : إناّ للّه! وأقام الشرك للإيمان من أول النهار

إلى آخره!! واللّه إن كان هذا إلاّ عن ذنب بعدى ، أو أحدثته بعدكم ، ولقد استعملت يعلى بن أميّة على اليمن استنصر لكم بصلاحه.
قيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق ? قال : كنا ألفاً مثل الذهب الخالص ، ليس فينا غيرنا ، لم نكثر فنفشل ، ولم نقل فنذل.
لم يكن قبيل في العرب ألف فارس إلا ثلاث قبائل : مرّة وعبس وبنو الحارث بن كعب.
قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه ، لعمرو بن معدى كرب : أخبرنى عن السّلاح.قال : سل عما شئت. قال : الرّمح ، قال : أخوك وربما خانك. قال النّبل ? قال : منايا تخطئ وتصيب. قال : التّرس ، قال : ذلك المجنّ وعليه تدور الدوائر. قال : الدّرع ، قال : مشغلة للرّاجل متعبةٌ للفارس ، وإنها لحصنٌ حصين. قال : السيف ? قال : قارعتك أمّك على الثّكل. قال عمر : بل أمّك.
قال : أخبرني عن الحرب ، قال : مرّة المذاق ، إذا قلصت عن ساق ، من صبر لها عرف ، ومن ضعف عنها تلف ، وهى كما قال الشاعر :

الحرب أولّ ما تكـون فـتـية	**تسعى بزينتها لكـلّ جـهـول**
حتّى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها	**عادت عجوزاً غير ذات خليل**
شمطاء جزّت رأسها وتنكـرت	**مكروهةً للشّمّ والـتـقـبـيل**

قال حذيفة بن اليمان : الفتنة تلقح بالنجوى ، وتنتج بالشكوى. أخذ نصر بن سيار قول حذيفة هذا ، واللّه أعلم ، حين قال : إن الحرب أوّلها الكلام وهى أبيات كتبها إلى مروان بن محمد :

أرى خلل الرّماد وميض نار	**ويوشك أن يكون لها ضرام**
فإن النّار بالعـودين تـذكـى	**وإنّ الحرب أوّلها الـكـلام**
فقلت من التّعجب ليت شعري	**أأيقـاظٌ أمـيّة أم نـــيام**

بلغ أبا الأغر أن أصحابه ، وقع بينهم شر ، فوجه ابنه الأغر ، وقال له : يا بنى كن يداً لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف ، فإنه ظل الموت ، واتق الرمح ، فإنه رسالة المنية ، ولا تقرب السهام ، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها ، قال : فبم أقاتل ? قال : بما قال الشاعر :

جلاميد أملاء الأكفّ كأنّـهـا	**رءوس رجالٍ حلّقت بالمواسم**

وهذا الشعر هو:

تغطّى نميرٌ بالعمائم	**وكيف يغطّ اللؤم طىّ**

لؤمها ... العمائم

فإن تضربونا بالسّياط فإنّنا ... ضربناكم بالمرهفات الصّوارم

وإن تحلقوا منّا الرّءوس فإننا ... حلقنا رءوساً باللّحى والغلاصم

وإن تمنعوا منّا السّلاح فعندنا ... سلاحٌ لنا لا يشترى بالدّراهم

جلاميد أملاء الأكفّ كأنّها ... رءوس رجالٍ حلقت بالمواسم

ومن أحسن ما قيل في الصبر على الحرب قول نهشل بن حرّى بن ضمرة :

ويومٍ كأنّ المصطلين بحرّه ... وإن لم يكن نارٌ قيامٌ على الجمر

صبرنا له حتّى تقضّى وإنّما ... تفرّج أيام الكريهة بالصّبر

ومثله قول الآخر :

بكى صاحبي لما رأى الموت موقناً ... مطّلاً كإطلال السّحاب إذا اكفهرّ

فقلت له : لاتبك عينك إنّما ... يكون غداً حسن الثناء لمن صبر

فما أخّر الإحجام يوماً مقدّماً ... ولا عجّل الإقدام ما أخّر القدر

ومن أحسن ما قيل في النظم في الصبر على الحرب ، قول قطرى بن الفجاءة التميمى الخارجي :

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك لن تراعى

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي

فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع

ولا ثوب البقاء بثوب عزّ ... فيطوي عن أخي الخنع اليراع

سبيل الموت غاية كلّ حيّ ... وداعيه لأهل الأرض داعي

ومن لم يعتبط يهرم ويسقم ... وتسلمه المنون إلى انقطاع

وقال أصرم بن حميد :

حرامٌ على أرماحنا طعن ... ويندقّ قدماً في الصّدور

مـديـرٍ صدورها
مسلّمةٌ أعجاز خيلي في الوغـى ودامية لبّاتـهـا ونـحـورهـا

وقول الآخر :

وقد يلتقى الجمعان والموت فيهـمـا فيقتل من ولى ويسلـم مـن ثـبـت
وقد ذكرت في " بـاب الاعـتـذار " احسن ما قيل في النظم ،في الاعتذار

ومن أحسن ما قيل في الإنصاف في صفة الحرب ،واللقّاء والصّدق في ذلك ،قول عبد الشّارق بن عبد العزّى الجهنى :

تنادوا يال بهثة يوم صبـر فقلنا : أحسني ضرباً جهينا
سمعنا دعوةً عن ظهر غيبٍ فجلنا جولةً ثم ارعـوينـا
فلماً أن تواقفـنـا قـلـيلاً أنخنا للكلاكل فارتمـينـا
ولما لم ندع قوساً وسهمـاً مشينا نحوهم ومشوا إلينـا
تلألؤ مزنةٍ برقت لأخـرى إذا جاءوا بأسـيافٍ ردينـا
شددنا شدّةً فقتلت مـنـهـم ثلاثة فتيةٍ وقتلـت قـينـا
وشدّوا شدّةً أخرى فجـروّا بأرجل مثلهم ورموا جوينا
وكان أخي جوينٌ ذا حفـاظٍ وكان القتل للفتـيان زينـا
فآبوا بالرّماح مسـكّـراتٍ وأبنا بالسّيوف قد انحنينـا
فباتوا بالصّعيد لهـم أحـاحٌ ولو خفّت لنا الكلمى سرينا

وقال العديل العجلى :

إذا ما حملنا حملةً ثبـتـوا لـنـا بمرهفةٍ تفرى السّواعد من بعـد
وإن نحن نازلنـاهـم ردوا في سرابيل الحديد

بـصـوارم كما نردى

وقال آخر :

نصل السّيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تـلـحـق

وقال آخر :

إنّ الرّماح نصيرة بالجاسر

وقال آخر :

وقلت لنفسي إنّما هو عـامـرٌ فلا ترهبيه وانظري أين يركب

قال قطريّ بن الفجاءة :

لا يركنن أحـدٌ إلـى الإحـجـام يوم الوغى متخوّفـاً لـحـمـام

فلقد أرانـي لـلّـرمـاح دريئةً من عن يميني مـرّة وأمـامـي

حتى خضبت بما تحدّر من دمـى أحناء سرجي بل عنان لجامـي

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جذع البصـيرة قـارح الإقـدام

قال عمر بن الخطاب :الجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء ،فالجبان يفر عن أهله وولده ،والجرئ يقاتل عمن لا يؤوب به إلى رحله : ومن شعر لأبى يعقوب الخريمى :

يفرّ جبان القوم عن عرس نفسـه ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

ويرزق معروف الجـواد عـدوّه ويحرم معروف البخيل أقاربـه

وقال قطريّ بن الفجاءة :

يا ربّ ظلّ عقاب قد وقيت بـهـا مهري من الشمس والأبطال تجتلد

وربّ يوم حمى أرعيت عقـوتـه خيلى امتساراً وأطراف القنا قصد

ويوم لهو لأهل الخفض ظـلّ بـه لهوى اصطلاء الوغى أو ناره تقد

مشهرّاً موقفي والحرب كـاشـفةٌ عنها القناع وبحر الموت مطـرّد

وربّ هاجرةٍ تغلى مراجـلـهـا مخرتها بمطـايا غـارةٍ تـخـد

تجـتـاب أودية الأفـزاع كأنّهـا أسـدٌ يقـتـادهـا

آمـنةً ... أسـد

فإن أمت حتف أنفي لا أمت كمداً ... على الطّعان وقصر العاجز الكمد

قالت الخنساء :

ومن ظنّ مّمن يلاقى الحروب ... بألاّ يصاب فقد ظنّ عجـزا

وقال حبيب الطائى :

ودنـونـا ودنـوا حـتّــى إذا ... أمكن الضّرب فمن شاء ضرب

تركوا القاع لـنـا إذ كـرهـوا ... غمرات الموت واختاروا الهرب

وقال دريد بن الصّمة ، ويقال : إنها لعمرو بن معدى كرب :

أعاذل إنَّما أفـنـى شـبـابـي ... ركوبي في الصّريخ إلى المنادى

مع الفتيان حتّى سلّ جـسـمـي ... وأقرح عاتقي حبل الـنّـجـاد

وقال آخر :

قوم إذا اشتجر الـقـنـا ... جعلوا القلوب لها مسالك

الّلابسـين قـلـوبـهـم ... فوق الدّروع لدفع ذلـك

ومن أحسن ما قيل في صفة الطعن ،قول الحارث بن حلّزة :

فرددناهم بضربٍ كمـا يخ ... رج من جرية المزاد الماء

وفعلنا بهم كما علـم الـل ... ه وما إن للخائنـين ذمـاء

وقال الفند الزّمّاني :

وطعن كفم الزّقّ ... إذا والزّق ملآنّ

وقال آخر :

ومثلك قد كسرت الرّمح فيه ... فآب بدائه وشـفـيت دائى

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء :

وقالوا : فارس الهيجاء، قلنا : ... كذاك الرّمح يكلف بالكـريم

وقال آخر :

ضممت إليه بالقناة قميصه ... فخرّ صريعاً لليدين وللفم

وقال عنترة :

فشككت بالرّمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّمّ

وقال آخر :

صراعنا طريفاً بأرماحـنـا ولا تأكل الحرب إلاّ السّمينا

وقال عليّ بن محمد العلوى ، المعروف بالمبرقع ، صاحب الزّنج :

ينثني الصّارم المهـنّـد والـرّم ح الرّد ينيّ والشجاع الجـرىّ
حيث لا أنثنـي ولا يتـثـنّـى بيدى صارمٌ ولا سـمـهـرىّ
من رآني فقد رأى مشرفـيّاً ماضياً في يمينه مـشـرفـيّ
شأني الفارس المدجّج في النّق ع إذا نازل الكمىّ الـكـمـىّ
ورأيت الفضاء أضيق مـا يس ى به حتى كـأنّـه مـطـوىّ
ياابنة العمّ أوقدي النّار في الليّ ل فـإنّـي لـكـل آتٍ أتـىّ
أكرم الضيف ما أستطعـت لآنّ مطعمي حاضرٌ وكأسي روىّ
كيف لا تزهق النفوس لشخصي حين أغشى الوغى وجدّي على
ذو التقى والنبل وذو العلم والحل م ومن خير طينة والـوصـي
والّذي قال إنّه الـبـوم مـنـى مثل هارون منه أخيه النـبـيّ

وقال عبيدة بن هلال :

يهوى وترفعه الرماح كـأنـه شلوٌ تنشّب في مخالب ضـار
فيرى صريعاً والرّماح وتنوشه إن السّراة قصيرة الأعـمـار

وقال مهلهل :

لم يطيقوا أن ينزلوا ونـزلـنـا وأخو الحرب من أطاق النزول

وقال ابن مقوم الضبى :

ودعوا نزال فكنت أول وعلام أركبه إذا لم

نازل أنـزل

وقال أعشى همدان :

أبلغ يزيد بنى شيبان مالـكـه أنّ الكتائب لا يهزمن بالكتب

إنّ الوعيد بظهر الغيب معجزةٌ فإن أردت قتال القوم فاقترب

من ها هنا واللّه أعلم أخذ حبيب :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

وقال آخر :

وخارج أخرجه حبّ الطّـمـع فرّ من الموت وفي الموت وقع

من كان يهوى أهله فلا رجع قال السموءل بن مادياء اليهودى :

يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطـول

كان معاوية رضى اللّه عنه يتمثل بهذين البيتين :

كأنّ الـجـبـان يى أنـه سيقتل قبل انقضاء الأجل

وقد تدرك الحادثات الجبان ويسلم منها الشّجاع البطل

أشعار الجبناء

قال أيمن بن خريم :

إنّ للفتـنة مـيلاً بـيّنـاً فرويد الميل منها يعتـدل

فإذا كان عطـاء فـأقـم وإذا كان قتال فاعتـزل

إنّما يسعرها جهـالـهـا حطب النّار فدعها تشتعل

وقال آخر :

أضحت تشجّعنى هند وقد علمـت أنّ الشّجاعة مقرونٌ بها العطـب

للحرب قوم أضل اللّه سعـيهـم إذا دعتهم إلى نيرانـهـا وثـبـوا

ولست منهم ولا أبغى فعالـهـم لاالقتل يعجبني منهم ولا السّلـيب

لا والذي جعل الفردوس جـنـتـه مايشتهي الموت عندي من له أرب

وقال أبو الغمر المدني كاتب الحسن بن زيد :

قد هان عندي لسان العار والـعـذل | فلست آنف من جبـن ولا فـشـل
إنّي بخلت بنفـس لا يجـاد بـهـا | ولست بالمال أفديها من الـبـخـل
هيهات تأبى لي التغرير فـلـسـفةٌ | ترى حضور الوغى من أكثر الزّلل
متى رأيت شجاعاً مـات بـالأجـل | ونال من لذّة الدنـيا مـدى الأمـل
كأنّ آجال شجعان الورى خلـقـت | في أنفس البيض والخطبّة الـذّبـل

وقال أيضاً :

إني أضن بنفـس لا يجـاد بـهـا | والجود بالنفس أقصى غاية السّرف
ما أبعد القتل من نفس الجبان ومـا | أحلّه بالفتى الحامي عن الشّـرف

وقال أيمن بن خريم :

يقول لي الأمير وقد رآني | تقدم حين جدّ بنا المراس
فمالي إن أطعتك غير نفسي | ومالي غير هذا الراس راس

وقال الهذلى يصف جباناً :

تحول قشعريراته دون لونه | فرائصه من الموت ترعد

وقال آخر :

وكـتـيبةٍ لـبـسـتـهـا بـــكـــتـــيبةٍ | حتّـى إذا الـتـبـسـت نـفـضـت لـهـا يدى
فتـركـتـهـم تـقـص الـرّمـاح ظـهـورهـم | من بـين مـنـجـدلٍ وآخـر مـــســـنـــد
ما كان ينفعني مقال نسائهموقتلت دون رجالهملاتبعد

وروينا أن مروان بن الحكم ، دعا أيمن بن خريم إلى القتال بمرج راهط ، فقال له : إن أبى وعمى شهداء بدر ، وعهدوا إلى ألا أقاتل مسلما ، ثم أنشأ يقول

ولست بقاتلٍ رجلاً يصّـلـى | على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعـلـى | معاذ اللّه من سفـه

أثـمـي وطـيش
أأقتل مسلماً في غـير جـرم فلست بنافعي ما عشت عيشى

وقد روى أن هذه القصة جرت لأيمن بن خريم مع عبد الملك بن مروان.
ولأبى الغمر كاتب الحسن بن زيد أمير المدينة :

لست غداة الكر بـالـكـرّار ولا على الطّعان بالصّـبّـار
هانت علىّ سبـلات الـعـار وما أبالي قبلـوا اعـتـذاري
أو وسموني سـمة الـغـدّار أنا طليق الرّكض والـفـرار
فديت نفسي منه بالإضـمـار فلو تراني أو ترى إحضـاري
لا أعرف اللّيل من الـنّـهـار لخلتني عجلان ذا انشـمـار
طرفاً نجا من وخزة البيطـار أحكم منه الصنّع في المضمار
أو عدو عير غير ما عـثـار أو كنجاء النقنـق الـطّـيّار

قيل لأسلم بن زرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير عبيد اللّه بن زياد فقال : لأن يغضب علىّ وأنا حىّ ، أحب إلىّ من أن يرضى عنى وأنا ميت.
وأسلم بن زرعة هذا هو القائل وقد عبأ جيشاً عظماً ليفزع به الخوارج ، فلما رآهم لم يفزعوا ، وجعلوا يقبلون إليه ، قال لهم : عزمتم خار اللّه لنا ولكم ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم ، ولما هزمه مرداس قال شاعرهم-وكانوا أربعين-وأسلم بن زرعة في ألفين :

أألفا مؤمنٍ منكم زعمـتـم ويهزمهم رجالٌ أربعونـا
كذبتم ليس ذلكم كـذا كـم ولكنّ الخوارج مؤمنونـا
هم الفئة القليلة قد علمـتـم على الفئة الكثيرة ينصرونا

وجه أبو جعفر المنصور ، روح بن حاتم إلى قتال بعض الخوارج ، فلقيه أبو دلامة ، فقال له روح : يا أبا دلامة! لو خرجت معنا في هذا الوجه ، فقاتلت فأبليت ، فذكرت بالشجاعة كما ذكرت بالشعر ، فضحك ، وقال : اسمع أبا خالد ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

آني أعوذ بروح أن يقربنـي إلى القتال فيشقى بي بنو أسد
إن الدّنوّ من الأعداء تعلمـه مما يفرّق بين الروح والجسد

قال : فضحك وأمر له بجائزة.
وقال أبو الغمر :

ظلّت تشجعني ضلاّ بتـضـلـيل ... وللشّجاعة خطبٌ غير مجهـول
هل غير أن عذلوني أنني فـشـلٌ ... فكلّ هذا نعم فاغروا بتعـذيلـى
الحرب تعقب من يصلى بها حزناً ... يتم البنين وإرمال الـمـثـاكـيل
واللّه ل أنّ جبريلاً تكـفّـل لـي ... بالنّصر خفت على علمي بجبريل
اللّه خلصني منهم وفلـسـفـتـي ... حتّى تخلصت مخضوب السّراويل

وله أيضاً :

لست بداء الحرب بوقـاف ... ولا على القرن بعطّـاف
قد أمّن اللّه عـدوّى فـمـا ... يخاف رماحي وأسـيافـي
إذا رأيت الحرب من فرسخٍ ... خذرفت رجلي آي خذراف

باب الاعتذار

روى عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال : " من اعتذر إليه أخوه المسلم فليقبل عذره ، مالم يعلم كذبه " قال عمر بن الخطّاب : لا تلم أخاك على ما يكون العذر في مثله قال الأحنف : إيّاك وما يعتذر منه ، فإنّه قلمّا اعتذر أحدٌ فسلم من كذب قال الحسن بن علىّ رضى اللّه عنهما : لو أنّ رجلا شتمني في آذني هذه ، واعتذر إلى في أذني هذه لقبلت عذره.
ومن النظم في معناه :

قيل لي قد أسا إلـيك فـلانٌ ... وقعود الفتى على الضّيم عار
قلت : قد جاءنا فأحدث عذراً ... دية الذنب عندنا الآعتـذار

وقال الأحنف :إذا اعتذر إليك معتذر ،فلتلقه بالبشر.
اعتذر إلى قتيبة بن مسلم رجل فقبل منه ،ثم قال :لا يدعونك أمرٌ قد تخلصت منه إلى الدخول فيما لعّلك لا تتخلص منه.
قال صالح بن أبى النجم :

ولربّما جاء الفتى بد نـيّةٍ ... ووراءها عذرٌ له لم يفهم

وكان يقال :اعتذار بمنع خير من وعد ممطول وقال صالح بن عبد القدوس :

يلومني النّاس فيما لو ... بالعذر منى فيه لم

أخبّرهم يلوموني

قال البحتري :

اقبل معاذير من يأتيك معتـذراً إن برّ عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعضيك مستترا

وله أيضاً :

إذا محاسني الـلاتـي أدل بـهـا عدّت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر ?

وقال محمود بن داود القياسي :

العذر يلحقه التخـويف والـكـذب وليس في غير ما برضيك لي أرب
فإن أسأت فبالنعمى التي سلـفـت لمّا منيت بعفـو مـالـه سـبـب

وقال أبو على البصير :

لم أجن ذنبا فإن زعمت بـأن جنيت ذنباً فغير معـتـمـد
قد تطرف الكف عين صاحبها فلا يرى قطعها من الرّشـد

وقال عاىّ بن الجهم :

إنّ ذلّ السّؤال والإعـتـذار خطّةٌ صعبةٌ على الأحرار
ليس جهلاً بها تورّطها الحرّ ملكن سـوابـق الأقـدار
ارض للسّائل الخضوع وللقا رف ذنباً مذلّة الإعـتـذار

وقال آخر :

وما كنت أخشى أن ترى لي زلّةٌ ولكن قضاء الله ما عنه مهرب
إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه وكلّ امرئ لا يقبل العذر مذنب

كان يقال :من وفّق لحسن الاعتذار خرج من الذنب.
اعتذر رجلٌ إلى أبى عبيد الله الوزير الكاتب ،فأساء الاعتذار ،فقال أبو عبيد الله : ما رأيت اعتذاراً أشبه باستئناف ذنب من هذا.
وللشافعي رضى الله عنه ، وقد قيل :أنما تمثّل بها :

يالهف نفسي على مـال أفـرّقـه على المقلّين من أهل الـمـروءات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألنـي ... **ما ليس عندي من إحدى المصيبات**

ومما ينشد للفراء من قوله :

أردت لكيما لا ترى لي عـثـرةٌ ... **ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل**

وقال محمود الوراق :

أرانـي إذا مـا زدت مـالاً ورفـعةً ... **وخيراً إلى خيرٍ تزيّدت في الـشّـرّ**

فكيف بشكر اللّـه إذ كـنـت إنـمـا ... **أقوم مقام الشكر للّـه بـالـكـفـر**

بآي اعـتـذار أم بـــأية حـــجةٍ ... **يقول الذي يدرى من الأمر : ما أدرى**

إذا كان وجه العذر لـيس بـواضـحٍ ... **فإنّ اطّراح العذر خيرٌ من الـعـذر**

قال أبو الصولى ، أخبرنى أبو بكر بن عبد اللّه ، قال : سألني أبو سليمان الشاشى حاجة فاعتذرت بشغل في تأخيرها ، فكتب إليّ :

سكنت نفسي لمّـا ال ... **تف حبلى بحبـالـك**

إنما أطلب مـن جـا ... **هك نفعاً لا بمـالـك**

لا تصيّر شغلك الـيو ... **م اعتذاراً لطـلابـك**

لو تفرغت من الشغـ ... **ل استوينا في المسالك**

وهذا عندي مأخوذ من قول أبى العتاهية :

ليس ذا الشغل عاذرٌ لك عندي ... **إنّما ترتجى إذا كان شـغـل**

وقال آخر :

ولا تعتذر بالشغل عنّا فـإنّـمـا ... **تناط بك الآمال ما اتّصل الشّغل**

ولا ترتفع عنّا بـشـئ ولـيتـه ... **كما لم يصغرّ عندنا شأنك العزل**

وقال آخر :

وقد علمت لو انّ العلم ينفعـنـي ... **أنّ انطلاقي إلأى الحجاّج تغرير**

لئن رحلت إلى الحجّاج معتـذراً ... **إنّي لأحمق من تجرى به العير**

وقال آخر :

لا ترج توبة مذنـب ... **خلط احتجاجاً باعتذار**

وقال ابن الدّمينة :

بنفسي ومالي من إذا ... **ببعض الأذى لم يدر**

عرضوا له كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البرئ ولـم يزل به سكتةٌ حتّـى يقـال مـريب

وقال آخر :
فلا تعذراني في الإساءة إنّـه شرار الرّجال من يسئ ويعذر

وقال آخر :
وما حسنٌ أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر النّاس عاذر

وقال آخر :
هي المقادير فلمـنـى أو فـذر إن كنت أخطات فما أخطأ القدر

وقال آخر :
وعاجز الرأي مضياعٌ لفرصه حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

وقال آخر :
إذا عيّروا قالوا مقادير قد جرت وما العار إلاّ ما تجرّ المقـادر

قال بعض الحكماء : إياك وما يسبق للقلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره.
قال محمود الوراق :
أراني مـع الأحـياء وأكـثـري على الدهر ميتٌ قد تخونّه الدّهر
فما لم يمت منّى لما مـات مـيّتٌ وبعض لبعض قبل قبر البلى قبر
فيا ربّ قد أحسنت بـدءاً وعـودةً إليّ فلم ينهض بإحسانك الشّكـر
فمن كان ذا عذر لـديك وحـجةٍ فعذري إقراري بأن ليس لي عذر

وفي الأشعار في الأعتذار من الفرار قال الأصمعي : أحسن ما قيل في الأعتذار من الفرار ، قول الحارث بن هشام المخزومى :
اللّه يعلم ما تركت قتـالـهـم حتّى علوا مهرى بأشقر مزبد
وعلمت أنّى إن أقاتـل واحـداً أقتل ولا يحزن عدوّى مشهدي
فصدرت عنهم والأحبّة فيهـم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وقال خلف الأحمر : أحسن ما قيل في الأعتذار في الفرار ، قول هبيرة بن أبى وهب المخزومى :

لعمرك ما وليت ظهري محمـداً وأصحابه جبناً ولا خفية القتـل
ولكنني قّلبت آمري فـلـم أجـد لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلى
وقفت فلما خفت ضيعة موقفـي رجعت لعود كالهزبر أبى الشّبل

فر ابن مطيع يوم الحرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قوتل ابن الزبير ، جعل يجتهد معه في القتال ، ويقول :

أنا الذي فررت يوم الحرّة والحرّ لا يفرّ إلا مـرّة
فاليوم أجزى فرّة بكـرّه يا حبّذا الكرّة بعد الفـرّه

وقال أوس بن حجر :

أتـونـا فـردوا حـافـتـينـا بـزاعـقٍ من الضّرب ضرم النّار في الحطب اليبس
وما بفرار اليوم عارٌ عـلـى الـفـتـى إذا عرفت منه الـشّـجـاعة بـالأمـس

قال الأحنف بن قيس : أسرع النّاس إلى الفتنة ، أقلّهم حياء من الفرار وقال آخر :

العبد يذيب والمولى يقـوّمـه والعبد يجهل والمولى يعلّمـه
إنّي ندمت على ما كان من ذلل وزلّة المرء يمحوها تنـدّمـه

باب المواعيد

أثنى اللّه عز وجل على إسماعيل عليه السّلام ، فقال : "إنّه كان صادق الوعد" ، وقال كعب : كان لا يعد أحداً إلا أنجزه ، وقال : انتظر رجلا وعده سنة كاملة.

ورى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم انتظر رجلاً وعده في موضع من طلوع الشمس إلى غروبها.

وروى عنه عليه السلام : أنه انتظره ثلاثاً ، والمنتظر عبد اللّه بن أبى الحمساء.

وروى عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ، أنه قال : " من وعده اللّه على عمل ثواباً فهو منجز له ما وعده ، ومن أوعده على عمل عقاباً فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له " " ، وعن ابن عباس مثله.

وقال المثنى بن حارثة لشيباني : لأن أموت عطشاً أحبّ إلى من أن أخلف موعداً.

قال بعض الحكماء : وعد الكريم نقد ، ووعد اللئيم تسويف كان

يحيى بن خالد يقول : المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الإخوان ، ألا تراهم يقولون : فلانٌ ينجز الوعد ، ويفي بالضمان ، ويصدق في المقال ، ولولا ما تقدم من حسن موقع الوعد ، لبطل حسن هذا المدح.
وكان يحيى بن خالد ، يقول : إنّ الحاجة إذا لم يتقدمها وعدٌ تنتظر نجحه ، لم تتجاوب الأنفس سرورها ، فدع الحاجة تختمر بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل.
ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضاً : " لا " الكريم أنجح من " نعم " اللئيم ، لأنّ " لا " الكريم ، ربما كانت في وقت غضب ، وإبّان سآمة ، " ونعم " اللئيم تصدر عن تصنع وفساد نيّة وقبح مآل.
أنشد أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهب ابن العمّ ما عشت صولتى ... ويأمن منّى صـولة الـمـتـهّـد
وإنّـي وإن أوعـدتـه أو وعـدتـه ... لمخلف إيعادي ومنجز مـوعـدي

وقال آخر :

لسانك أحلى من جنى النّحل وعده ... وكفّاك بالمعروف أضيق من نعل
تمنّى الذي يأتيك حتّى إذا انتهـى ... إلى أملٍ ناولته طرف الحـبـل

وقال زياد الأعجم :

للّه درّك مـن فـتـى ... لو كنت تفعل ما تقول
لا خير في كذب الجلوا ... دو حبّذا صدق البخيل

وقال آخر :

وإن جميع الآفات فالبخيل شرها ... وشر من البخل المواعيد والمطل

قال ابن عيينة : وعد رجل ابن شبرمة عدة فمطله بها ، فكتب إليه ابن شبرمة :

الخير أنفعه للناس أعجلـه ... وليس ينفع خيرٌ فيه تطويل

ومثل هذا قول سابق :

وتأخير ما يرجى بـلاء مـبـرحٌ ... وأفضل ما يرجى من الخير عاجله

وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطـيل

وقال الأشجعى :

وعدت وكان الخلف منك سجيّة   مواعيد عرقوبٍ أخاه بيتـربِ

قال ابن منبّه : هكذا قرأته على البصريين بيترب بالتاء ،وفتح الراء.
قال ابن الكلبي ، عن أبيه : كان عرقوبٌ رجلا من العماليق ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ،فقال له عرقوب : إذا طلع نخلى فلما طلع أتاه فقال له : إذا بلح ، فلما بلح أتاه ، فقال :إذا زهى ،فلما زهى أتاه ،فقال :إذا أرطب ،فلما أرطب أتاه ، فقال : إذا ثمر ، فلمّا ثمر جذّه ليلا ، ولم يعطيه شيئاً ، فضربت به العرب المثل في خلف الوعد.
وقال غيره : عرقوب جبل مكلّل بالسحاب أبداً ، ولايمطر شيئاً.
وقال الحكماء : من خاف الكذب ، أقل المواعيد.
وقالوا : أمران لا يسلمان من الكذب ، كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار.
قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : أنا والله منه في مواعيد ، تهيض العظم ،وخلفٍ يذكر العدم ، ولكنه إذا وعد الحريص علق نفسه لديه وأتعب رجليه ، وأنشد :

أمّلت منك نوالاً لسـت أدركـه   متى أقول الّذي أمّلت يأتـينـى
أفي حياتي فأرجوه وينفعـنـي   أم في مماتي فإنّ الموت يغنيني

وقال الشاعر :

فلا تعد عدةً إلا وفيت بها   ولا تكن مخلفاً يوماً تعد

وأظن هذا من قول المثقب العبدي :

لا تقولنّ إذا ما لـم تـرد   أن يتمّ الوعد في شيٍ نعم
وإذا قلت نعم فاصبر لهـا   بنجاح الوعد إنّ الخلف ذم

وروى لعمار الكلبي ، وأظن من شعره هذا :

قم لـوجـه الـلّـه وكـن   صادق الوعد فمن يخلف يلم

وقال آخر :

إذا قلت في شيٍ نعم فأتـمّـه   فإنّ نعم دين على الحرّ واجب
وإلا فقل لا واسترح وأرح بها   لئلا يقول النّاس إنّك كـاذب

وقال آخر :

إنّ الكريم إذا حباك بموعدٍ   أطاكه سلساً بغير مطال

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد   وشفت أنفسنا مما تجـد
واستبدّت مـرّةً واحـدةً   إنّما العاجز من لا يستبد

وقال آخر :

تمنيت ما أرجوه من حسن وعدكم	فكنت كمن يرجو منال الفراقـد
هبونى لم أستأهل العرف منكـم	أما كنتم أهلاً لصدق المـواعـد

وقال عباس بن الأحنف :

ما ضرّ من قطع الرّجاء ببخله	لو كان عللنى بوعـد كـاذب

وقال آخر :

إن لم يكن وصل لديك لما	يشفي الصبّابة فليكن وعد

وقال آخر :

فإن تدعى نجداً أدعه ومن بـه	وإن تسكني نجداً فيا حبّذا نجـد
وإن كان يوم الوعد يوم لقـائنـا	فلا تعذليني أن أقول متى الوعد

وقال محمد بن مناذر :

أنل المال ولا تبخل بـه	فإذا اعسرت بالمال فعد
لا تعد شراً وعد خيراً ولا	تخلف الوعد وأنجز مـا

باب عيونٍ من المدح

قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " أرحم أمتي بأمّتي أبو بكر ، وأقواهم على دين اللّه عمرُ ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم عليّ بن أبي طالب ، وأقرأهم أبيّ ابن كسب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجةٍ أصدق من أبى ذرّ ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح " .
مدح رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الأنصار ، فقال : " إنكم لتقلّون عند الطّمع ، وتكثرون عند الفزع " .
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم : " خير دور الأنصار دور بنى عبد الأشهل ، وفي كل دور الأنصار خيرٌ " .
وقال عليه السلام : " إن اللّه اختارني ، واختار لي أصحاباً وأنصاراً ، وجعل لي منهم مزراء وأصهاراً " .
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " خير نساء ركبن الإبل

نساء قريش ، أحناهنّ على ولد في صغره ، وأرعاهن لبعلٍ في ذات يده " .
ذكر أبو بكر الصديق عند ابن عباس ، فقال : كان واللّه بالمسلم حفيا ، وعلى الكافر قسيا ، وعن اللذة سليا ، يتواضع حيث لا توهن نصرته ، ويعلو حين لا تخاف سطوته ، القرآن قائده ، الموت إمامه ، لأن الأمر بين عينيه ، وعاقبته بين يديه ، رحمه اللّه وأحسن عنا مجازاته.
ذكر ابن عباس أبا بكر رضى الله عنهما ،فقال :كان ثاني اثنين إذهما فى الغار ، وثاني اثنين في العريش ،وثاني اثنين في القبر.
قال الشّعبيّ : لما مات على بن أبي طالب رضى اللّه عنه ، قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد اللّه وأثنى عليه وصلى على النبي صلى اللّه عليه وسلم ، واستغفر اللّه لآيه ، ثم قال : نعم أخو الإسلام كنت يا أبي ، جواداً بالخلق ، بخيلا بالباطل عن جميع الخلق ، تغضب حين الغضب ، وترضى حين الرّضا ، عفيف النظر ، غضيض الطّرف ، لم تكن مداحاً ولا ستاماً ، تجود بنفسك في المواطن التي تبخل بها الرجال ، صبوراً على الضّراء ، مشاركاً في النّعماء ، ولذلك ثقلت على أكتاف قريش.
ذكر على بن أبي طالب عند ابن عباس رضى اللّه عنهما ، فقال : كان واللّه يسكنه الحلم ، وينطقه العلم.
ذكر علي بن أبي طالب عند صعصعة بن صوحان العبدىّ ، فقال : هو باللّه عليم ، واللّه في عينيه عظيم.
قال معاوية لضرار الصّدائي : صف لي علياً. قال : اعفني يا أمير المؤمنين. قال : لتصفنّه. قال : أما إذ لا بد من صفته ، فكان واللّه بعيدة المدى ، شديدة القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجرّ العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة عن نواحيه ،يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان واللّه غزير العبرة ،طويل الفكرة ، يقلب كفه ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله ، ولا ييأس اللضعيف من عدله ، كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن واللّه مع تقريبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد تمثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، يقول : يا دينا!

غرّى غيري ، إلىّ تعرضت ? أم إلىّ تشوقت ? هيهات هيهات ، فد باينتك ثلاثاً لا رجعة لى فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.
فبكى معاوية ، وقال : رحم اللّه أبا حسن ، كان واللّه كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ? قال حزن من ذبح واحدها في حجرها.
سئل عبد اللّه بن عباس عن علىّ بن أبى طالب ، فقال : ما شئت من ضرس قاطع في العلم بكتاب اللّه ، والفقه في سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وكانت له مصاهرة النبي صلى اللّه عليه وسلم ، والتبطن في العشيرة ، والنجدة في الحرب ، والبذل للماعون.
نظر علىّ بن أبي طالب رضى اللّه عنه ، إلى زيد بن صوخان مقتولا ، فقال : واللّه لقد كنت ما علمت : عظيم المعونة ، خفيف المؤونة.
وقف علىّ على قبر طلحة بن عبيد اللّه رضى اللّه عنهما ، فقال :

وما تدرى إذا أزمعت أمراً ... بآي الأرض يدركك المقيل

ثم قال :

فتى كان يدنبه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وقال أبو خراش في الذي ألقى على أبيه رداءه

ولم أدر من ألقى علـيه رداءه ... ولكنه قد سلّ عن ماجد محض

ولأعرابي في يحيى بن خالد :

سألت النّدى هل انت حمٌّ فقال لا ... ولكنني عبدٌ ليحيي بن خـالـد
فقلت شراءً قال لا بـل وراثةً ... توارثها عن والدٍ بـعـد والـد

وقال آخر :

إنّ للنّاس غايةً في المعالي ... وقفوا عندها وأنت تـزيد
قد تناهيت في الكلام والمج ... د وحزت العلى فأين تريد

ولحبيب ويروي لإسحاق الموصلى :

إن يكن شئٌ جميلٌ حسنٌ فهو في دور عبد الملك
عقدت ألسنتهم عن قول لا فهي لا تحسن إلاّ هو لك

ومن عيون ما قيل في المدح نظماً ، قول حسان بن ثابت في بني جفنة :

يغشون حتّى ما تهرّ كلابهـم لا يسألون عن السّواد المقبل
بيض الوجوه أغفةٌ أحسابهـم شمّ الأنوف من الطراز الأول

قال جبلة بن الأيهم لحسان بن ثابت : أين أنا من النعمان ؟ فقال : واللّه لشمالك أندى من يمينه ، وقفاك أحسن من وجهه ، ولأمك أكرم من أبيه.
وقول الأعرابي في عمر بن عبد العزيز كأنه مأخوذ من قول حسان هذا ، وذلك قوله حين دخل عليه ، وهو خليفة ، فقال :

وأنت الذي كلتـا يديك مـفـيدةٌ شمالك خيرٌ من يمين سواكـبـا
بلغت مدى الجارين قبلك إذ جروا ولم يبلغ الجارون بعد مداكـمـا
فجدّاك لا جدّين أكرم منـهـمـا هناك تناهى المجد ثم هنـاكـا

وقال لقيط بن زرارة :

وإني من القوم الذين عرفـتـهـم إذا مات منهم سيّدٌ قام صاحبـه
نجوم سماء كلّما غار كـوكـبٌ بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكـبـه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههـم دجى اللّيل حتّى نظّم الجزع ثاقبه

وقال ظفيل الغنوىّ :

نجوم ظلام كلّما غاب كـوكـب بدا ساطعاً في حندس اللّيل كوكب

وقال آخر :

درارى نجومٍ كلّما انقضّ كوكبٌ بدا كوكبٌ ترفضّ عنه الكواكب

وقال المريمي يمدح بنى خريم من آل شيبان بن حارثة :

بقيّة أقوامٍ من العزّ لو خبـت لظلّت معدٌّ في العلا تتسكّـع
إذا قمرٌ منها تغوّر أو كـبـا بدا قمرٌ في جانب الأفق يلمع

ومدح بعض بنى عمرو إخوته فقال :

خبّر ثناء بنى عمـرٍو فـإنّـهـم **أولو فضول وأنفـالٍ وأخـطـار**
إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا **فالجهد يخرج منهم طيب أخبـار**
هينون لينون أيسارٌ بـنـو يسـرٍ **سوّاس مكـرمة أبـنـاءُ إيسـار**
من تاق منهم فقد لاقيت سـيّدهـم **مثل النجوم التي يهدى بها السّارى**
لا ينطقون عن العمياء إن نطقـوا **ولا يمارون إن ماروا بإكـثـار**

وقد قيل :إن هذا الشعر لبعض بنى كلاب يمدح بعض بنى غنىّ ،وكان أبو عبيدة ينكر هذا ،ويقول :محال يمدح كلابي غنوياً قالت الخنساء :

أشمّ أبلج يأتمّ الهداة بـه **كأنّه علمٌ في رأسه نار**

وقال آخر :

إذا قيل أىّ فتًى تعلمـون **أهشّ إلى الطّعن بالذّابل**
وأضرب للقرن في مفرقٍ **وأطعم في الزّمن الماحل**
أشارت إليك أكفّ الورى **إشارة غرقى إلى ساحل**

ومن أحسن ما قيل في المدح أيضاً في النظم ،قول أبى الجهم العدوى في معاوية رضى اللهّ عنه :

تقلّبه لتخبر حـالـتـيه **فتخبر منهما كرماً ولينا**
نميل على جوانبه كأنّـا **نميل إذا نميل على أبينا**

وفى هذا الشأن قول زهير في هرم بن سنان :

إن تلق يوماً على علاته هرماً **تلق السّماحة منه والنّدى خلقا**
أغرّ أبيض فيّاض يفكّك عـن **أيدي العناة وعن أعناقها الرّبعا**

وقوله أيضاً :

أخو ثقة لا تذهب الخمر ماله **ولكنّه قد يذهب المال نائلـه**
تراه إذا ما جئته متـهـلّـلاً **كأنّك تعطيه الذي أنت سائله**

وقوله أيضاً :

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلّين السّماحة والبـذل

وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقول القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى :

قومٌ إذا نزل الغريب بدارهـم ردّوه ربّ صواهـل وقـيان

وإذا دعوتهـم لـيوم كـريهةٍ سدّوا شعاع الشّمس بالفرسان

لا ينقرون الأرض عند سوالهم لنطلب العلاّت بـالـعـيدان

بل يبسطون وجوههم فترى لهم عند اللّقاء كأحسـن الألـوان

والجيّد من النظم لا يحصى كثرة ،وحسبنا أن نأتي منه بما يقرب حفظه للمذاكرة ، ويقوم ببهاء مورده في المجالسة.

قال عمر وبن أمية الضّمرىّ للنجاشى ،حين وجهّه إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم :أيها الملك! كأنك في الرّأفة علينا منّا ،لم نرجك قطّ لأمر إلا نلناه ،ولم نخفك قطّ على أمر إلا أمنّاه.

ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطّفيل ،فقال :كان واللّه لا يضل حتى يضل النّجم ،ولا يعطش حتى يعطش البعير ،ولا يهاب حتى يهاب السيل.

مدح أعرابىٌّ رجلا فقال :كان يغنى في طلب المكارم غير ضال في مصالح طريقها ولا متشاغل عنها بغيرها.

وذكر أعرابي جلد أخيه ،فقال :ما بعثته في سوادٍ إلاّ جلاّه ومحاه ،ولا في بياض إلا أزكاه وأضاءه.

وصف أبو مهديةّ الأعرابي قوماً ،فقال :أدبتهم الحكمة ،وأحكمتهم التجربة ،ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ،ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم ،فذلت ألسنتهم بالوعد ،وأنبسطت أيديهم بالإنجاز ،فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال.

ومدح أعرابي رجلا فقال :كالمسك إن تركته عبق ،وإن خبّأته عبق.

قال محمد بن زياد الحارثي :

تخالهم للحلم صماً عن الـخـنـا وخرساً عن الفحشاء عند التّفاخر

ومرضى إذا لاقوا حياءً وعـفّةً وعند الحفاظ كاللّيوث الكواسـر

لهم ذلّ إنصافٍ ولين تـواضـعٍ بهم ولهم ذلّت رقاب العـشـائر

كأنّ بهم وصماً يخافـون عـاره وما وصمهم إلا اتقّاء المعـاير

وقال آخر :

لو قيل لا بن محمّد : ياذا النّدى قل لا ، وأنت مخلدٌ ما قالهـا

إنّ المكارم لم تزل معـقـولة **حتّى حللت براحتيك عقالهـا**

مدح أعرابي رجلاً ، فقال : كان إذا خرست الألسن عن الرأي حذق بالصواب كما يحذق الأريب.
أثنى عمرو بن زياد العتكىّ على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين! هو سيفك الذي لاينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم. وكان الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه.
قال ابن شهاب : قال لي سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك.
ومن أحسن ما قيل في المدح نظماً ، وإن كان الحسن منه كثيراً جداً ، ما ذكره أو لي البندادي رواية عن شيخوخه : أن علىّ بن الحسين بن على بن أبي طالب رآه هشام بن عبد الملك وهو خليفة في حجة حجها ، وعلى يطوف بالبيت والناس يفرجون له عند الحجر تعظيما له ، وينظرون إليه مبجلين له ، فغاظ ذلك هشاماً ، فقال : من هذا ؟ كأنه لم يعرفه ، فقال الفرزدق منكراً لقول هشام ، ومادحاً لعلى بن حسين :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأتـه **بالبيت يعرفه والحـلّ والحـرم**
هذا ابن خير عباد اللّـه كـلّـهـم **هذا التّقّى النّقّي الطّاهر العـلـم**
إذا رأته قـريش قـال قـائلـهـا **إلى مكارم هذا ينتمـي الـكـرم**
ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت **عن نيلها عرب الإسلام والعجـم**
يكاد يمسكه عـرفـان راحـتـه **ركن الحطيم إذا ما جاء يستـلـم**
يغضى حياءً ويغضى من مهابتـه **فلا يكـلـم إلا حـين يبـتـسـم**
بكفه خيزران ريحـهـا عـبـقٌ **من كف أروع في عرنينه شمـم**
مشتقّةٌ من رسول اللّه نـبـعـتـه **طابت عناصره والخيم والـشـيم**
ينجاب ثوب الدجى عن نور غرّته **كالشمس ينجاب عن إشراقها الظّلم**
حمال أثقال أقـوام إذا قـرحـوا **حلو الشّمائل تحلو عنـده نـعـم**
هذا ابن فاطمه إن كنت جاهـلـه **بجده أنبياء اللّه قـد خـتـمـوا**
فليس قولك من هـذا بـضـائره **العرب تعرف من أنكرت والعجم**
اللّه فضّلـه قـدمـاً **جرى بذاك له في**

وشـرّفـه لوحة القـلـم
من جدّه دان فضل وفضل أمته دانـت
الأنبـياءِ لـه لـه الأمـم
سهل الخليفة لا تزينه خلتان
تخشـى بـوادره الحـلـم والـكـرم
مصدّق الوعد رحب الفناء أريبٌ
ميمون نقـيبـتـه حين يعـتـزم
أىّ القبائل ليست لأوّلـية هـذا أو لـه
في رقـابـهـم نـعــم
من يعرف اللّه فالدّين من بيت
يعـرف أولـية ذا هذا نالـه الأمـم

وفيها أبيات لم أذكرها لأني أظنها مضافة مفتعلة ،وقد أنشد بعض هذا الشعر حبيب في الحماسة للحر بن عبد اللّه الليثى في على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

هذا وذكر الفاكهى في أخبار مكة ،وقال :حدثنى أبو سعيد عبد اللّه بن شبيب ، قال حدثني ابن عائشة ،قال :أخبرني أبى ،قال :دخل الفرزدق مكة ،فإذا هو بعلىّ بن عبيد اللّه بن جعفر يطوف بالكعبة في حلّةٍ وهو محرم ،فقال :ويحكم يا معشر أهل مكة ،من هذا الرجل الذي يطوف بالبيت ،فو اللّه ما رأيت أحسن من وجهه ، ولا من حلّته ،فقالوا :هذا علي بن عبيد اللّه بن جعفر بن أبى طالب ،ولفاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فأنشأ يقول هذه الأبيات التي ينشدها الناس.

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحـرم

فذكر هذه الأبيات ولم يتمّها ،قال الفاكهىّ :ويقال إن الرجل الذي قال فيه الفرزدق هذا هو محمد بن علىّ بن حسين ،قال :وحدثني أبو سعيد ،قال :حدثني الزبير ،قال :قيل هذا الشعر فى قثم بن العباس ،قاله : بعض شعراء أهل المدينة ، وزاد في الشعر بيتين أو ثلاث منها قوله :

?كم صارخٍ بك مكروبٍ وصارخةٍ يدعوك يا قثم الخـيرات يا قـثـم

وأما قوله في الخبر الأول : ولفاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم ، فإن علىّ بن عبد اللّه أمه زينب علىّ بن أبي طالب ، وأمّها فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وقول من قال : إن هذا الشّعر قيل في علىّ بن عبيد اللّه بن جعفر ، أو في محمد بن علي بن حسين أصح عندي من قول من قال : إنه في علىّ بن حسين ، لأن على بن حسين توفي سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، وهشام بن عبد الملك إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة ، وعاش خليفةً عشرين سنة ، وجائز أن يكون الشعر للحر بن عبد اللّه في محمد بن علي بن حسين ، وممكن أن يكون للفرزدق في محمد ابن علي بن حسين بن أبي جعفر- وإن كان له في أبيه علي بن حسين - فلم يكن هشام يومئذ خليفةً كما قال أبو علي في روايته ، وأما قول الزبير : إنه قيل في قثم ابن عباس ، فليس بشئ ، وإنما ذاك شعر قيل في قثم على قافية هذا الشعر وعروضه ليس هو هذا.

قال عبدة بن الطبيب في قيس بن عاصم المنقرى : ??عليك سلام اللّه قيس بن عاصم=ورحمته ما شاء أن يترّحما

تحيّة من أوليته منـك نـعـمةً إذا زار عن شحط مزارك سلماً
فما كان قيسٌ هلكه هلك واحـد ولكنّه بنـيان قـومٍ تـهـدّمـاً

وقال آخر :

كريمٌ يغضّ الطّرف فضل حيائه ويدنو وأطراف الرّمـاح دوان
وكالسيف إن لاينته لان متـنـه وحداه إن خاشنته خـشـنـان

وللخريمي :

يلام أبو الفضل في جـوده وهل يقدر البحر ألا يفيضا

وقال أبو جعفر محمد بن مناذر :

أتانا بنو الأملاك من آل بـرمـك فيا طيب أخبار ويا حسن منظـر
لهم رحلةٌ في كلّ عام إلى العدى وأخرى إلى البيت الحرام المستّر
إذا نزلوا بطحاء مكّة أشـرقـت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغدادٌ ويجلو لنـا الـدّجـى بمكّة ما حجـوا ثـلاثة أقـمـر
فما خلقت إلا لجـود أكـفـهـم وأقدامهـم إلاّ لأعـواد مـنـير
إذا راض يحيى الأمر ذات صعابه وناهيك من راع لـه ومـدبّـر
ترى النّاس إجلالاً لهم وكأنّـهـم غرانيق ماءٍ تحت باز مصرصر

وقال آخر :

إذا سألت الناس أين المكروه والعزّ والجرثومة المقدّمـه
وأين فاروق الأمور المحكمه تتابع النّاس على ابن شبرمه

وقال آخر :

ما لقينا من جود فضل صيّر النّاس كلّهـم

بن يحيى شعـراء

أنشد الأصمعى : ?كلّ يومٍ كأنّه يوم أضحى=عند عبد العزيز أو يوم فطر وهذا عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وله يقول نصيب :

لعبد العزيز على قـومـه	**وغيرهم نعـمٌ غـامـره**
فبابك ألـين أبـوابـهـم	**ودارك مأهولة عامـره**
وكلبك آنس بالمعـتـفـين	**من الأمّ بالأبنة الـزّائره**
وكفك حين ترى السّائلـي	**ن أندى من اللّيلة الماطره**
فمنك العطاء ومنّى الثنـاء	**بكلّ مـحـبّـرةٍ سـائره**

وذكر رجل عند الحسن ، فقال : كان له خشوع الصابرين وبهاء الملوك.

ومن المدح :

له خلقان لم يدعـا	**له مالاً ولا نشبـا**
سخاءٌ ليس يملكـه	**وحلمٌ يملك الغضبا**

وقال آخر : ?فل كنت يوماً كنت يوم سعادةٍ=ترى شمسه والمزن تهضب بالقطر

ولـو كـنـت لـــيلاً صـــيّبٍ	**من المشرقات البيض في وسط الشهر**

وقال آخر :

بديهته وفـكـرتـه سـواءٌ	**إذا ما نابه الحدث الكـبـير**
وأحزم ما يكون الدّهـر رأياً	**إذا عمى المشاور والمشير**
وصدرٌ فيه للهـمّ اتـسـاعٌ	**إذا ضاقت عن الهمّ الصدّور**

وقال حمزة بن بيض في مخلد بن يزيد بن المهلب :

بلغت لعشرٍ مضت من سنيّ	**ك ما يبلغ السّيد الأشـيب**
نهمّك فيها جسـيم الأمـور	**وهم لداتك أن يلعـبـوا**

وقال ذو الرمة :

عطاء فتى بنى وبـنـى أبـوه	**فأعرض في المكارم واستطالا**

قال أبو اليقظان : ولىّ الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي ، قتال الأكراد فأبادهم ، ثم ولاه السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إن السّماحة والمروءة	**لمحمد بن القاسم بن**

والنّدى محمّـد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجّةً يا قرب سورة سؤدد من مولد

قال أبو اليقظان : وهو الذي جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاة فارس.
قال الحطيئة :

أولئك قومٌإن بنوا أحسنوا الـبـنـا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
أقلوا عـلـيهـم لا أبـاً لأبـيكـم من اللّوم أوسدوا المكان الذي سدوا

وقال أبو الغول الطّهويّ يمدح قومه :

فدت نفسي وما ملكت يمـيـنـي فوارس صدّقوا فيهم ظنونـي
معاشر لا يملـوز الـمـنـايا إذا دارت رحى الحرب الزبون
ولا يجزون من حسـنٍ بـشـرّ ولا يجزون من غلـظ بـلـين
ولا تبلى بسالـتـهـم وإن هـم صلوا بالحرب حينا بعد حـين
هم منعوا حمى الوقبى بضربٍ يؤلف بين أشتات الـمـنـون
فنكب عنهم ظـلـم الأعـادي وداووا بالجنون من الجـنـون

وقال آخر

بديهته مـثـل تـدبـيره متى رمته فهو مستجمع
وفي كفه للغنى مطلـبٌ وللسّرّ في صدره موضع

وباب المديح أوسع الأبواب ، لا يحيط به كتاب ، والاختصار أولى بنا فيه على ما شرطنا من الإكثار.
قال عبد اللّه بن مسعود : لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه ، فإنه رب من يسرك اليوم يسوءك غدا.
قال النّجاشى الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو الحارثي ، من بني الحارث ابن كعب.

إنّي امرؤٌ ما أثنى عـلـى أحـد حتّى أرى بعض ما يأتى وما يذر
لا تحمدن امرءًا حتّى تـجـرّبـه ولا تذمّنّ من لم تبله الـخـبـر

قال عليّ بن حسين : إذا قال فيك رجلٌ مالا يعلم من الخير ، أوشك أن يقول فيك ما يعلم من الشّر.

باب عيون من الذّمّ

قالت عائشة رضى اللّه عنها :استأذن رجلٌ على رسول اللّه

صلى اللّه عليه وسلم ،وأنا معه في البيت :فقال : " ائذنوا له فبئس ابن العشيرة ،أو قال :بئس أخو العشيرة ،ثم قال :إنّ من شرار النّاس من اتقّاه الناس لشرّة ،أو تركه الناس لشره " .هذا حديث ابن عيينة ،عن المنكدر ،عن عروة ،عن عائشة ،وليس بلفظ حديث مالك المرسل.
قال الحسن :ذمّ الرجل نفسه في العلانيه مدحٌ لها في السرّ.
كان يقال :من أظهر عيب نفسه فقد زكّاها.
ذمّ بعض البلغاء رجلا ،فقال :ما الحمام على الإصرار ، والدّين على الإقتار ، وشدة السّقم في الأسفار ،بآلم من فلان.
قيل لأعرابىّ :ما تنقم من أميرك ?قال :يقضى بالعشوة ،ويأكل الرّشوة ،ويطيل النّشوة.
قال ثعلب :النّشوة بالفتح :السّكر ،والنّشوة بالكسر :الريح.
ذمّ رجلٌ رجلا ،فقال :كان واللّه سيىّ الرّوية ، قليل التقية ،شديد السعاية ،ضعيف النكاية.
ذم خالد بن صفوان شبيب بن شيبة ،فقال :أنت واللّه ممن إذا سأل ألحف ،إذا سئل سوّف ، وإذا حدّث حلف ،وإذا وعد أخلف ،تنظر نظر حسود ،وتعرض إعراض حقود.
قال حسان بن ثابت : ?أبوك أبوك وأنت ابنه=فبئس البنىّ وبئس الأب

وأمّك سـوداء نـوبـيّةٌ	**كأنّ أناملها العنـظـب**
يبيت أبوك بها معـرسـاً	**كما ساور المهرة الثعلب**

وقال أعرابىٌّ : ?أكثر ما يأني على فيه الكذب=وإنّما الشّاعر مجنون كلب

حيّاكم اللّه فإنىّ منقلب

مر سفيان الثّورىّ رضى اللّه عنه ،بقوم في السوق ،أو غيرها ، فقال لمن معه أما ترون النعمة عند غير أهلها ،كأنها مسخوط عليها ،أخذه الشاعر فقال : ?يا حجة اللذه في الأرزاق والنّعم=يا محنة لذوى الأخطار والهمم

ما نراك أصبحت في نعماء ظاهرةٍ	**إلاّ وربّك غضبانٌ على الـنّـعـم**

قال بعض البلغاء :كفانى سقوط فلان إسقاكه.
ذم رجل رجلا فقال :ذلك أعيا ما يكون عند جلسائه ،ابلغ ما يكون عند نفسه.
لعمر بن سليمان البجلى ،في إسماعيل بن عبد اللّه أخى خالد بن عبد اللّه القسرى : ?لو كنت ماء كنت ماء آسناً=أو كنت مرعى لم يردك الورّد

أو كنت من شجرٍ لكنت إلاءةً	**أو كنت من ورقٍ نفاك النّاقد**

قال الحرمازىّ : ?قبّحتم آل فقيمٍ عدداً=لو كنتم قولاً لكنتم فندا

أو كنتم ماء لكنتم زبـداً	**أو كنتم شيئاً لكنتم نقـدا**

أو كنتم لحماً لكنتم غدداً

النّقد :المعز ،وفى المثل :لهو أدل من النّقد.
قال أبو عثمان العروضى :

لو كان حرفاً كان لا معنى له — **أو كان ظرفاً لم يكن إلاّ متى**

وقال آخر : ?لو كنت ماء كنت غير عذب=أو كنت سيفاً كنت غير غضب

أو كنت لحماً كنت لحم كلب — **أو كنت عيراً كنت غير ندب**

وقال آخر : ?لو كنت برداً كنت زمهريرا=أو كنت ريحاً كانت الدّبورا

أو كنت غيما لم تكن مطيرا — **أو كنت ماءً لم تكن طهورا**

أو كنت مخّا كنت مخّاريرا

ومما أنشده ثعلب : ?للّه درّك أيّما رجلٍ=يبنى أبوك وشأنك الهدم

لو كنت تصعد في السماء كما — **تنحط قصّر دونك النـجـم**

مر عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه ،بقوم يتبعون رجلا أخذ في ريبة ،فقال :لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر.
قال القطامي :

ألا إنما نيران قيس إذا اشتووا — **لطارق ليلٍ مثل نار الحباحب**

يقال : نار الحباحب ، ونار أبي الحباحب ، لكل نارٍ تراها العين ولا حقيقة لها قال دريد بن الصمّة :

ياآل سفيان ما بالى وبـالـكـم — **أنتم كثير وفي الأحلام عصفور**

وخير من هذا ، قول حسان بن ثابت يذم قوماً :

لاعيب في القوم من طول ومن عظم — **جسم البغال وأحلام العـصـافـير**

وقال آخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم — **حسنت مناظرهم لقبح المختبر**

وقال آخر :

له صورة تعمى العيون سماجة — **وإن تختبر يوماً فأقبح مخبـر**

وقال محمد بن مناذر ،في خالد بن طليق قاضى البصرة : جعل الحاكم يا للناس من آل طليق

حاكمٌ يحكم في النا — **س بحكم الجاثليق**

يدع الحقّ ويهوى — **في ثنّيات الطريق**

أىّ قاضٍ أنت — **ص وتعطيل**

للنـق الحقوق
يا أبا الهيثـم مـا أن ت لهذا بـخـلـيق
" لا ولا أنت بما حملت منه بمطيق
حبله حبل غرورٍ عقده غير وثيق
وله فيه أيضاً : ?قل لأمير المؤمنين الذي=في هاشم سرّها واللّباب
إن كنت للسّخطة عاقـبـتـنـا بخالدٍ فهـو أشـدّ الـعـقـاب
أصمّ أعمى عن طريق الهـدى وقد ضرب النّوك عليه الحجاب
كان قضاء الله فيمـا مـضـى من رحمة الله وهـذا عـذاب
يا عجباً مـن خـالـدٍ كـيف لا يخطئ فينا مرّةً بـالـصّـواب
قال أبو العتاهية : ?وليس بحاكم من لا يبالى=أأخطأ في الحكومة أم أصابا وقال آخر : ????????
فإن تصبك من الأيّام داهيةٌ=لم نبك منك على دنيا ولا دين وقال آخر : ?????????????إذا ما لقيت بنى عامر=لقيت جفاءً ونوكاً كثيراً
نعامٌ تجود بأعنـاقـهـا ويمنعها نوكها أن تطيرا
وقال آخر : ?وإنّك إن حللت بدار قومٍ=رحلت بخزيةٍ وتركت عارا وقال آخر :
خنازير ناموا عن المكرمات فنبّهـهـم قـدر لـم ينـم
فيا قبحكم في الّذي خوَّلـوا ويا حسنهم في زوال النّعم
وقال آخر :
فخير منك مالا خير فـيه وخير من زيارتك القعود
وقال آخر : ?وما ينفع الأصل من هاشمٍ=إذا كانت النّفس من باهله وقال آخر :
كأنَّ ريحهم من قبح فعـلـهـم ريح الكلاب إذا ما مسّها المطر
وقال خلف الأحمر :
إذا انتسبوا ففرعٌ من قريشٍ ولكنّ الفعال فعال عكـل
وقال أبو على البصير :
لعمر أبيك ما نسب المعلّى إلى كرم وفي الدّنيا كريم
ولكنّ البلاد إذا اقشعـرّت وصّح نبتها رعى الهشيم
وللحطيئة في أمة ، لا عفا اللّه عنه :

تنحّى فاقعدى منّى بـعـيداً … أراح اللّه منك العالميـنـا
ألم أوضح لك البغضاء منّى … ولكن لا إخالك تعقلـيـنـا
أغربا لاً إذا استودعت سراً … وكانوناً على المتحّدثـيـنـا
جزاك اللّه شراً من عجوزٍ … ولقّاك العقوق من البنينـا

وللفقيه أبى عمر بن عبد البر :

واصلت في شرب الشّمول سفاهةً … حتّى غدوت كأنّ أنـفـك دمّـل

قال أعرابيّ : أتيت بغداد فإذا ثياب أجواد على ألأم أجساد ، إقبال حظّهم إدبار حظوظ الكرام ، شجرٌ فروعه عند أصوله ، شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر.

قال أبو العتاهية :

أذمّ بغداد والـمـقـام بـهـا … من بعد ما خبرةٍ وتـجـريب
ما عند أملاكها لمر تـغـبٍ … رفدٌ ولا فرجةٌ لمـكـروب
خلّوا سبيل العلا لـغـيرهـم … ونازعوا في الفسوق والحوب
يحتاج راجي النّوال عنـدهـم … إلى ثلاث من غير تـكـذيب
كنوز قاروق أن تكـون لـه … وعمر نوحٍ وصـبـر أيوب

وقال آخر :

أما لو أنّ جهلك كان علمـاً … إذا لنفذت في علم الغـيوب
ومالك في الغريب يدٌ ولكـن … تعاطيك الغريب من الغريب

وقال الناشئ :

لو كما تجهل تدري … كنت للّه رسـولا

وقال حماد بن الزبرقان في حمّاد عجرد :

نعم الفتى لو كان يعرف ربّـه … ويقيم وقت صلاتـه حـمّـاد
هدلت مشافره الشّمول فأنـفـه … مثل القدوم يسنّـهـا الـحـدّاد

وابيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحـسـاب سـواد

وقال رافع بن إبراهيم اليربوعي :

ألستم أقلّ النّاس تحت لـوائهـم ... وأكثرهم عند الذبيحة والـقـدر

وأمساه بالشّيءٍ المحقّر بـينـهـم ... وأعجزهم عند الجسيم من الأمر

وقال أعرابي :

العبد يجتنب الهجاء لشـينـه ... ولك الهجاء إذا هجيت جمال

لم يبق عارٌ في البريّة كلّهـا ... إلا وأخبث منه فـيك يقـال

وقال أبو عيينة :

خالدٌ لـولا أبـوه ... كان والكلب سواء

لو كما ينقـص يز ... داد إذا نال السّماء

أنا ما عشت عليه ... أسوأ النّاس ثناء

إنّ من كان مسيئاً ... لحقيق أن يساء

وله أيضاً :

داود محمود وأنت مذمّـمٌ ... عجباً لذاك وأنتما من عود

ولرب عودٍ قد يشقّ لسجدٍ ... نفصاً وسائره لحشّ يهود

وقال الفرزدق :

أترجو كليباً أن تجئ صغارها ... بخير وقد أعيا عليك كبارها

وقال أبو نواس :

لأبي نوحٍ رغيفٌ ... أبداً في حجر دايه

برّةٍ تمسحه الـدّه ... ر بكـم ووقـاية

وله كاتـب سـوءٍ ... خطّ فيه بعنـايه

فسيكفيكهـم الـل ... ه إلى آخـر آلايه

وقال فيه أيضاً :

أبو نوحٍ دخلت عليه يومـاً ... فغدّائي برائحة الطّـعـام

فكان كمن سقى الظمآن آلا ... وكنت كمن تغدى في المنام

قال رجل خياط أعور لبعض الشعراء : واللّه لأخيطن لك قباء لا تدري أقباءٌ هو أم دوّاج ، فقال : وأنا واللّه أقول فيك شعراً ، لا تدري أمدح هو أم هجاء ، فلما خاطه له قال فيه :

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سـواء
قل لمن يسمع هذا أمديح أم هـجـاء

فلم يدروا ما أراد : صحة عينيه أم عماه.

ولرجل من بني تميم :

أمن عوز الرّجال وهم كثيرٌ حبا نصرٌ بإمرته عـقـيلا
فلو بكت المنابر مـن لـئيم سمعت لعود منبره عويلا

وقال آخر :

من دون سيبك لون ليل مظلـم وحفيف رائحةٍ وكلبٌ مرصد
والضيف عندك مثل أسود سالخٍ لا بل أحبّهمـا إلأيك الأسـود

وقال آخر :

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا في ديارهم الصّنيعـاً
إذا الحسب الرفيع تعاورته بناة السّوء أوشك أن يضيعا

وأحسن من هذا :

لسنا وإن أحسابنا كرمـت يوماً على الأحساب نتّكل
نبني كما كانت أوائلـنـا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال آخر :

إن تلق ريب المنايا أو تردّفهـا لم نبك منك على دين ولا حسب

وقال آخر :

وإن تصبك من الأيام قـارعةٌ لم أبك منك على دنيا ولا دين

قيل لمسلمة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال الفرذدق يبني ، وجرير يخرب ، وليس بقوّم الخراب شئ.

قال أعرابي في سعيد بن سلم :

مدحت ابن سلمٍ والمديح مهزّةٌ فكان كصفوانٍ عليه تـراب
لكلّ أخي مدح ثـوابٌ يعـدّه وليس لمدح الباهلّي ثـواب

قال أبو بكر السّامرى :

يا شاعراً يهتك من عـقـلـه	أضعاف ما يهتك من عرضى
إذا هجاني جاءنـي شـعـره	وبعضه يضحك من بعـض

وهذا الباب أكثر من الحصى والتراب.
باب العقل والحمق
أما العقل فقد أوردت في معناه واشتقاقه والدّلالة عليه ، وما جاء في ذلك من النثر والنّظم كتاباً كافياً ، ونوردها هنا من صفات العاقل والأحمق ما تحسن به المذاكرة ، ويجعل إيراده في المجالسة إن شاء اللّه تعالى.
ومن حديث ابن عمر ، عن النبي صلّى اللّه عليه وسلم : لا يعجبنكم إيمان الرجل حتى تعلموا ما عقدة عقله " وروى عن النبي عليه وسلّم ، أنه قال : " حقٌ على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يفضى فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويجعل ، فإن هذه الساعة عونٌ له على هذه الساعات ، وإجمام للقلوب.
وحقٌ على العاقل ألا يظعن إلا في إحدى ثلاث : زادٌ لمعاده ، ومرمّة لمعاشه ، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مالكاً للسانه ، مقبلاً على شانه " .
أوحى اللّه تعالى إلى موسى عليه السّلام : أتدرى لم رزقت الأحمق ? قال : لا قال : ليعلم العاقل أن الرزق ليس باحتيال.
قال النبي صلى اللّه عليه وسلّم : " ثلاثٌ من حرمهنّ فقد حرم خير الدنيا والآخرة : عقلٌ يداري به الناس ، وحلمٌ يردّ به السفيه ، وورعٌ يحجزه عن المحارم " .
افتخر رجلان عند عليّ بن أبي طالب رضى اللّه عنه ، فقال : أتفتخران بأجساد بالية ، وأرواح في النار ?! إن يكن لكما عقلٌ فلكما أصل ، وإن لم يكن لكما خلق فلكما شرف ، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم ، وإلاّ فالحمار خير منكما ، ولستما خيراً من أحد.
وقال عليّ بن أبي طالب رضى اللّه عنه : العاقل من لم يحرمه نصيبه من الدنيا حظّه من الآخرة.
قال عليّ بن أبي طالب في وصيته لابنه : لا مال أعوذ من العقل ، ولا قفر أشدّ من الجهل ، ولا وحده أوحش من العجب ،

ولا مظاهرة كالمشاورة ، ولا حسب كحسن الخلق.
كان يقال :إذا كان علم الرجل أكثر من عقله ،كان قميناً أن يضرّه علمه.
قال عمرو بن العاص :ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ،ولكنه الذي يعرف خير الشرين.
قال العتبيّ :العقل نوعان ،فأحدهما ما تفرد الله بصنعته ،والآخر ما يستفيده المرء بأدبه وتجربته ،ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلاّ بصحة العقل المركب ،فإنهما إذا اجتمعنا قوّى كلٌّ منهما صاحبه ،كما أن النار في الظلمة نور للبصر ،وأنشد :

إذا لم يكن للمرء عـقـلٌ يزينـه مع النّاس لم يجعل له مشفقٌ عقلا

وقال آخر :

ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم يزن حسن الجسوم عقـول

وقال أردشير بن بابك :نموّ العقل بالعلم.
وكتب عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه ، إلى بعض عماله : أمّا بعد ، فإنّ العقل المفرد لا يقوى به على أمر العامّة ،ولا يكتفي به في أمر الخاصّة ،فأحي عقلك بعلم العلماء والأشراف من أهل التّجارب والمروءات ،والسّلام.
قال أيوب بن القرّيّة :الناس
ثلاثة :عاقلٌ ،وأحمق ،وفاجرٌ ،فالعاقل :الدّين شريعته ،والحلم طبيعته ،والرأى الحسن سجيتّه ،إن نطق أصاب ،وإن سمع وعى ،وإن كلّم أجاب.والأحمق :إن تكلّم مجل ،وإن حدّث وهل ،وإن استنزل عن رأيه نزل.وأما الفاجر :فإن ائتمنته خانك ،وإن صحبنه شانك.
قال مطرّف بن الشّخّير :عقول كلّ قوم على قدر زمانهم.
كان يقال :ستّ خصال تعرف في الجاهل :الغضب في غير شئ ،والكلام في غير نفع ،والعطيّة في غير موضعها ،وإفشاء السّر ،والثقة بكلّ أحد ،ولا يعرف صديقه من عدوه.
قيل لابن شبرمة :ما حدّ الحمق ?قال :لا جدّ له.
سئل بعض الحكماء عن العقل ،فقال :الإصابة بالظّنون ،ومعرفة ما لم يكن بما قد كان.
كان يحيى بن خالد ،يقول :ثلاثة أشياء تدلّ على عقول أربالها :الكتاب على مقدار عقل كاتبه ،والرسول على مقدار عقل مرسله ،والهديّة على مقدار عقل مهديها.

قال ابن الأعرابي :سمّى الرجل أحمق ،لأنه لا يميز كلامه من رعونته قال :والحمق أيضاً الكساد ،يقال :انحمقت السّوق إذا كسدت ،ومنه الرجل الأحمق لأنه كاسد العقل لا ينتفع برأيه ولا بعزمه.
والحمق أيضاً :الغرور ،يقال :سرنا في ليالٍ محمّقات ،إذا كان القمر فيهن يستتر بغيم أبيض رقيق ،فيغتّرُ الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتّى يملوا.
قال :ومنه أخذ اسم الأحمق لأنه يغرّك في أوّل مجلسه بتعاقله ،فإذا انتهى إلى آخر كلامه تبيّن حمقه.
وقيل للرّجلة البقلة الحمقاء ، لأنّها تنبت في مسيل الماء ،وفي طريق الإبل ،فهي أبداً مدوسة.
وفي الخبر المرفوع : " للعاقل خصال يعرف بها :يحلم عّمق ظلمه ،ويتواضع لمن هو مثله ،ويسابق بالبّر من هو فوقه ،وإذا رأى باب فرصة انتهزها ،لا يفارقه الخوف ،ولا يصحبه العنف ،يتدبرّ ثم يتكلم غنم ،وإن سكت سلم ، وإن عرضت له فتنة ،اعتصم بالله ثم تنكّبها ،وللجاهل خصالٌ يعرف بها :يظلم من خالطه ، ويتكلم بغير تدبّر فيندم ، فإن تكلّم أثم ، وإن سكت سها ، وإن عرضت له فتنةٌ أردته ، وإن رأى باب فضيلةٍ أعرض عنها.
ذكر المغيرة بن شعبة يوماً عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه ، فقال : كان واللّه أفضل من أن يخدع ، وأعقل من أن يخدع.
في كتاب " كليلة ودمنة " : رأس العقل التمييز بين الكائن والممتنع.
قال الحجاج يوماً : العاقل من يعرف عيب نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبك ? قال : أنا حسودٌ حقود ، قال عبد الملك : ما في إبليس شرٌ من هاتين.
قال الحسن البصري : صلة العاقل إقامةٌ لدين اللّه ، وهجران الأحمق قربة إلى اللّه ، وإكرام المؤمن خدمةٌ للّه وتواضعٌ له.
قال عبد بن الحسن : حمق الرجل يفسد دينه ، ولا دين لمن لا عقل له. وكان لا يجيز شهادة الأحمق العفيف ، فكلّم في ذلك ، فقال : سأريكم. ودعا بحاجبه فقال : يا ممدود ، انظر لي ما الرّيح ? فخرج ثم رجع ، فقال : هي شمالٌ يشوبها شئٌ من الجنوب.فقال : أترون أن أجيز شهادة مثل هذا ?! فقال أردشير : رضاء المرء عن نفسه دليل على عقله.
قال أنو شروان : ثقة الرجل برأيه ، وإقراره بتوفير عقله ، دليل على عقله ، قيل : هل ينتهي من أول الزّجر أحمق كان

يقال : إذا تمّ العقل نقص الكلام.
قال على بن أبي طالب : لا تؤاخ الأحمق ، ولا الفاجر ، أمّا الأحمق فمدخله ومخرجه شين عليك ، وأما الفاجر : فيزيّن لك فعله ، ويود أنك مثله.
قال سابق :

المرء يجمع والزّمان يفـرّق	**ويظلّ يرفع والخطوب تمزّق**
ولئن يعادى عاقلاً خـيرٌ لـه	**من أن يكون له صديقٌ أحمق**

وقال آخر :

عدوّك ذو العقل أبقى علـيك	**من الصّاحب الجاهل الأحمق**
وذو العقل يأتى حسان الأمور	**ويعمد لـلأرشـد الأوفـق**

وقال دعبل بن على الخزاعى :

عداوة الـعـاقـل خـيرٌ إذا	**حصّلتها من خلةً الأحمـق**
لأنّ ذا العقـل إذا لـم يرع	**عن ظلمك استحيا فلم يخرق**
ولن ترى الأحمق يبقى على	**دين ولا ودّ ولا يتّـقـــى**

وقال آخر :

عداوة العاقل خيرٌ لـمـن	**عاداه من ودّ امرئٍ جاهل**
بوائق الجاهل مـبـثـوثةٌ	**وليس تخشاها من العاقل**

وقال صالح بن عبد القدوس :

ألا إنّما الإنسان غمـدٌ لـعـقـلـه	**ولا خير في غمدٍ إذا لم يكن نصل**
فإن كان للإنسان عـقـلٌ فـإنّـه	**هو النّصل والإنسان من بعده فضل**

وقال أيضاً :

وما المرء إلاّ اثنان عقلٌ ومنطقٌ	**فمن فاته هذا وذاك فقد دمـر**
ولا سيمّا إن كان ممّن نصيبـه	**من الدّين والدّنيا قليلٌ إذا حضر**

وقال ابن الرومى :

وليس عتاب المرء للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء عقل يعاتبه

وقال آخر :

زعمت أبا سهلٍ بأنّك جـامـعٌ فنوناً من الآداب يجمعها الكهل

فهبك تقول الحقّ أىّ فضـيلةٍ تكون لذي علمٍ وليس له عقل

وقال آخر :

لكلّ امرئٍ شكلٌ من النّاس مثـلـه فأكثرهم شكلاً أقلـهـم عـقـلاً

لأنّ صحيح العقل لـيس بـواجـدٍ له في طريقٍ حين يسلكها مثـلاً

ولا خير في طول السّبال وعرضها إذا الله لم يجعل لصاحبها عـقـلا

وقال آخر :

قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلاً على اللّبيب اختبـاره

وقال بشار بن برد :

وما أنا إلا كالزّمان إذا صـحـا صحوت وإن ماق الزّمان أموق

وقال آخر :

وأنزلني طول النّوى دار غربةٍ إذا شئت لاقيت امرءا لا أشاكله

تحامقته حتّى يقـال سـجـيّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنت أعاقلـه

وقال آخر :

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهـم ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل

فإنّى رأيت المرء يشقى بعقلـه كما كان قبل اليوم يسعد بالعقـل

وقال أبو يزيد البسطامى رحمه الله :

ياذا الـذي لـيس لـه والـدٌ يسعى على الأرض ولا والده

قد مات من قـبـلـهـم آدم فأىّ نفس بـعـده خـالـده

إن جئت أرضاً أهلها عورٌ فغمّض عينك

كلّـهـم الواحـده

سمع عمر بن العزيز رجلا يكنى أبا العمرين ،فقال :لو كان لك عقل كفاك أحدهما.
قال الحسن :هجرة الأحمق قربة إلى الله تعالى.
قال منصور الفقيه :

أجالس كلاّ وإن لـم يكـن على ما أحبّ سوى الأموق
فإبّـى أجـالـسـه مـرّةً وأنهض عنه فلا نلتـقـى
فما نعمةٌ بعد تقـوى الإلـه أفضل من هجرة الأحمق

قال بعض الحكماء :ينبغي للعاقل أن يتمسك بستّ خصال :أن يحفظ دينه ،ويصون عرضه ،ويصل رحمه ،ويحفظ جاره ،ويرعى حقّ إخوانه ،ويحزن عن البذاء لسانه.
كان الحسن البصرىّ إذا أخبر عن أحد بصلاح ،قال :كيف عقله ؟ ثم يقول :ما يتم دين أمرئٍ حتّى يتم علقه.
روى أنه أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى الأرض ،أتاه جبريل ،فقال :ياآدم! إن الله تعالى قد أحضرك ثلاث خصالٍ لتختار منهنّ واحدة ،وتخلّى عن اثنتين.
قال :وما هنّ ؟قال :الحياء والدين والعقل :قال آدم :إنى اخترت العقل.
قال جبريل للحياء والدين :ارتفعا فقد اختار العقل ،قالا :لا نرتفع ،قال :ولم عصيتما ؟قالا :لا ،ولكنا أمرنا ألاّ نفارق العقل حيث كان.
كان يقال :لا تعتمدّ بمن ليس له عقدةٌ من عقل.
قال بعض الحكماء :وكّل الحرمان بالعقل ،والرزق بالجهل ،ليعتبر العاقل فيعلم أنّ الرزق ليس عن حيلة.
قيل لزرعة بن ضمرة :متى عقلت ؟قال :يوم ولدت.قيل :وكيف ذلك ؟ قال :منعت الثّدى فبكيت ،وأعطيتها فسكتّ.
قال الحسن :لأنا للعاقل المدبر ،أرجى منّى للأحمق المقبل.
قال الأوزاعى :قيل لعيسى عليه السلام يا روح الله!أنت تبرئ الأكمه والأبرص وتحيى الموتى بإذن الله ،فما دواء الأحمق ؟ قال :ذلك أعيانى.
قال قيس بن الخطيم :

وبعض الداء ملتمسٌ دواه وداء النوّك ليس له دواء

وقال آخر :

جنونك مجنون ولست طبيباً يداوى من جنون

بواجدٍ جنون

وقال آخر :

قالوا جننت بمن تهرى فقلت لهم ما لذّة العيش إلاّ للمـجـانـين
الحبّ لا يستفيق الدّهر صاحبـه وإنما يصرع المجنون في الحين

كان يقال :الأحمق بشأنه أعلم من العاقل بشأن غيره.
قال زيد بن أسلم ، قال لقمان لا بنه : يا بنّي لئن يقصيك الحكيم خيرٌ من أن يدنيك الأحمق.
قال عمر بن عبد العزيز : خصلتان لا تعدمك إحداهما من الأحمق ، أو قال من الجاهل : كثرة الالتفاف ، وسرعة الجواب.
كانوا يعبّرون عن الأحمق بالجاهل ، ومن ثم قالوا : غضب كسرى على عاقل فسجنه مع جاهل. يريدون سجنه مع أحمق ، ويعبّرون أيضاً عن العاقل بالحلم ، قال الشاعر :

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإيّاه
فكم من جاهـلٍ أردى حليماً حـين واخـاه
يقاس المرء بالمـرء إذا ما هو مـاشـاه

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان : والغيران ، والسّكران. قيل : فما تقول في المنعظ ؟ قال :

وما شرّ الثّلاثة أم عمرو بصاحبك الذّي لا تصبحينا

قال تمام بحيج : إذا قام ذكر الرجل ، ذهب ثلثا عقله قال محمود الوراق ، وقد نسب إلى ابن الزّيات :

ليس شئٌ مما يدبـرّه الـعـا قل إلاّ وفـيه شـئٌ يريبــه
فأخو العقل ممسـكٌ يتـوقّـى ويخاف الدّخول فيما يعـيبـه
وأخو الجهل لا يقدر فـي الأم ر وإن أشكلت عليه ضروبـه
راكب ردعه كحاطـب لـيلٍ يخطئ الأمر كلّه أو يصيبـه
تتأتّى له الأمور على الـجـه ل إذا ما أرادها وتحـبـيبـه
وأخو العقل بعد ينتتـج الـرّأ ى فيرضى ومرّة يستـريبـه
وإذا صيّر البـعـيد قـريبـاً عاد فيه فازداد بعداً قـريبـه
فهو الدّهر شاخص القلب فكراً ما تقضّى همومه وكـروبـه

وقال آخر :

ألا إنّ عقل المرء عـينـا فـؤاده فإن لم يكن عقلٌ فلن يبصر القلب

وقال آخر :

أرى زمناً نوكاه أسعـد أهـلـه ولكنّما يشقى به كلّ عـاقـل

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبّ الأعالى بارتفاع الأسافل

وقال آخر :

عذلوني على الحماقة جـهـلاً وهي من عقلهم ألذّ وأحـلـى

لو لقوا ما لقيت من حرفة العق ل لساروا إلى الحماقة رسـلا

حمقى قائم بـقـوت عـيالـى ويموتون إن تعاقلـت هـزلا

قال هشام بن عبد الملك : يعرف حمق الرجل بأربع : بطول لحيته ، وشناعة كنيته ونقش خاتمه ، وإفراط شهوته. فدخل عليه ذات رجل طويل العثنون ، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين الثلاث ؟ قالوا : أنا أبو الياقوت الأحمر.قالوا : فما نقش خاتمك ؟ قال : " وجاءوا على قميصه بدمٍ كذب " .

وفي خبر آخر : أن معاوية جرت له مثل هذه الحكاية ، إلاّ أنّ في خبر معاوية ، قيل له : فما كنيتك ؟ قال : أنا أبو الكوكب الدرىّ. قيل له : فما نقش خاتمك ؟ قال : " وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين " قال يحيى بن الحكم الغزال :

يعرف عقل المرء في أربع مشيته أوّلها والـحـرك

ودورعينـيه وألـفـاظـه بعد عليهنّ يدور الفـلـك

وقال آخر :

طلبت الرّزق بالعقـل من الغرب إلى الشّرق

فلم يكسبنى الـعـقـل سوى البعد من الرّزق

فأدبرت عن العـقـل وأقبلت على الحمـق

فلم أتعب ولم أنصـب ولم أضرع إلى الخلق

قال بعض الحكماء : من الحمق التماس الإخوان بغير وفاء ، والتماس الآخرة بالرّياء. والتماس مودة النّساء بالغلظة ، والتماس العلم والفضل بالدّعة والخفض .

سمع الأنف رجلا يقول : ما أبالى أمدحت أم هجيت. فقال : استرحت من حيث تعب الكرام.

وقالت العرب : استراح من لا عقل له.

وقالت الفرس : مات من لا عقل له.
أنشدني بعض شيوخي رحمهم اللّه :

كم كافرٍ باللّـه أمـوالـه تزداد أضعافاً على كفره
ومؤمنٍ ليس لـه درهـم يزداد إيماناً على فقـره
لا خير فيمن لم يكن عاقلاً يمدّ رجليه علـى قـدره

وقال آخر :

ما إن يزال ببغداد يزاحمـنـا على البراذين أشباه البـراذين
أعطاهم اللّه أمـوالاً ومـنـزّلةً من الملوك بلا عقـلٍ ولا دين
ما شئت من بغلةٍ شقراء ناجيةٍ أو من أتان وقول غير موزون

باب من أجوبة الحمقى

ومراجعة السّخفاء ، وألفاظ النّوكى والجهلاء استعمل معاوية رجلاً من كلب ، فذكر المجوس يوماً ، فقال : لعن اللّه المجوس ينكحون أمهاتهم ، واللّه لو أعطيت عشرة آلاف درهم ، ما نكحت أميّ فبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبحه اللّه! أترونه لو زيد فعل ؟!! قال أبو عبيدة : أجريت الخيل فطلع منها فرسٌ سابق ، فإذا رجلٌ من النظّارة يكرّ ويثب من الفرح ، فقال له رجل إلى جنبه : يا فتى! هذا الفرس فرسك ؟ قال : لا ،ولكنّ اللجام لجامي.
أرسل رجلٌ من بنى عجل بن لجيم فرساً في الحلبة ،فجاء سابقاً ،فقال لابنه : يا بنيّ!بأيّ شئ أسميه ?فقال :ياأبت افقأ عينه وسمه الأعور.قال الشاعر :

رمتنى بنو عـجـل بـداء أبـيهـم وأيّ عباد الله أنوك مـن عـجـل
أليس أبوهـم عـار عـين جـواده فأضحت به الأمثال تضرب بالجهل

قال أبو كعب القاصّ في قصصه :إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كبد حمزة ما علمتم ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة.
وقال أيضاً في قصصه :إن اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا ،قالوا له :فإن يوسف لم يأكله الذئب ،قال :فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.
وتلا في قصصه يوماً قول الله عز وجل : " يتجرعه ولا يكاد يسيغه.
فقال :اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه.
قيل لبرذعة الموسوسر :أيّما أفضل غيلان أم معلّى ?
قال :معلّى ، قالوا : ومن أين ?قال : لأنه لما مات غيلان ،ذهب معلّى إلى جنازته ، فلما مات معلّى لم يذهب غيلان إلى جنازته.
رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنّه

يتزندق ،فسأله الوالي عن قوله الذي نسبه به إلى
الزندق ،فقال :هو مرجى قدريّ ناصبيّ رافضى ،من
الخوارج ،يبغض معاوية بن الخطاّب الذي قتل علىّ بن
العاص.فقال له ذلك الوالي :ما أدرى على أي شيء أحسدك ؟
أعلى علمك بالمقالات ،أم على بصرك بالأنساب.
كان قوم من أهل العلم يتناظرون في أمر معاوية
وعلّى ،ويذكرون أبا بكر وعمر ، وكان قريباً منهم رجل من
العامة ،ينسب إلى أنه من أعقلهم ،وكان ذا سبلةٍ طويلة ،فقال
لهم :كم تطنبون في أمر علىّ ومعاوية وفلان وفلان!!فقال له
أحد القوم :وتعرف أنت من على ومعاوية وفلان وفلان ؟
قال :نعم!أو ليس هو أبو فاطمة ?قال :ومن كانت فاطمة ?
قال :امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بنت عائشة أخت
معاوية.قال :فما كان قصة علىّ ?قال :قتل في غزاة حنين مع
النبي صلى الله عليه وسلّم.
دخل رجلٌ من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل
العلم ،فقال :أصلح الله الشيخ ،لقد
سمعت في السوق الساعة شيئاً منكراً ،ولا ينكره أحد قال :وما
سمعت ?قال :سمعتهم يشتمون الأنبياء!قال :ومن المشتوم
من الأنبياء ? قال :سمعتهم يشتمون معاوية.قال : يا أخي ليس
معاوية بنبىّ.قال :فهبه نصف نبىّ لم يشتم.
قال عمرو بن بحر :ذكر لي شيخٌ من الإباضية أنه جرى عنده
ذكر الشيعة يوماً فغضب وشتمهم ،وأنكر ذلك عليهم إنكاراً
شديداً.قال فأتيته يوما فسألته عن سبب إنكاره على الشيعة
ولعنه لهم فقال :لمكان الشين في أول الكلمة ،لأني لم أجد
ذلك قطّ إلا في مسخوط ،مثل شومٍ وشرّ وشيطانٍ وشيصٍ
وشحّ وشغبٍ وشعبٍ وشركٍ وشتمٍ وشقاقٍ وشطرنج وشينٍ
وشانى وشحطٍ وشوصة وشوكٍ وشكوى وشنآن.فقلت له :إن
هذا كثير ،ما أظنّ أن القوم تقيم لهم علماً مع هذا أبداً كان
عندنا رجل شاهدناه ،وكان من جيراننا على غاية من الجهل
والغباوة ،وكان إذا سلّم من صلاته في جماعة أو
وحده ،يقول :السّلام على الملكين الكاتبين لأبي بكر
وعمر ،وكان ألثغ يجعل مكان الكاف تاء.
اشترى باقل ،وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزاً بأحد عشر
درهما ،فقالوا له :بكم اشتريت الغز ?ففتح كفّيه وفرّق
أصابعه ،وأخرج لسانه ،يريد أحد عشر درهماً ،فلما عيروه ،قال :
يلومون في حمقه كأنّ الحماقة لم تخلـق

باقـلاً

فلا تكثروا العذل في عيّه	**فللعيّ أجمل بالأحمـق**
خروج اللسان وفتح البنان	**أحب إلينا من المنطـق**

ذكر الصّولى عن ابن الجوهريّ ضروباً من العيّ والحماقة والجهل ،وكان له تسبيح ظريف يسبحه بإثر كل صلاة :سبحانك يا عالمين ،والحمد لله الأكرمين ،ولا إله إلا الله الطيبين ،والصلاة على النبي المباركين ،وأزواجه أمهات المؤمنين ،ونسأل الله خير عوائق الأمور.

رأى معاوية بن مروان بن الحكم حمار طاحونةٍ في عنقه جلجل في حانوت طحان ،فقال له : ما بال هذا الحمار في عنقه جلجل ?فقال :أنا مشتغلٌ في علاجى وطلب معيشتى خارج الحانوت ،وبحركة الجلجل أعرف وقوف الحمار فأحرّكه للمشى ،فقال له معاوية له :أرأيت إن وقف الحمار وحرّك رأسه فتحرك الجلجل ?قال الطحان :ومن لحمارى بمثل عقل الأمير ?! ومعاوية هذا هو الذي أمر بغلق باب المدينة إذ انفلت له البازى.

قال طحطاح لابنه يوماً :ما الذي تشتهى ? قال : رأسي كبش.

فقال له أبوه : لا يكون للكبش رأسان ، قال : فرأس كبشينٍ ، فضحك منه.

قيل لمخنث : مالكم تحلقون لحاكم ? فقال : إن البرد لا تعرف إلا بحذف أذنابها.

دخل راكب البريد يوماً على المأمون ، فقال له : متى خرجت ، أو متى قدمت ? فقال له :بعد غد يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون : فإذاً أتيتنا وبيننا وبينك مرحلتان.

مرض رجلٌ من الأعراب ، فعاده جاره ، وقال له : ماتجد ? قال : أشكو دمّلا أهلكني ، وزكاماً أضربى. قال له : فقد بلغنا أن إبليس لا يحسد على شئ من الأمراض إلاّ على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة. فأنشأ الأعرابي يقول :

أيحسدني إبليس داءين أصبحا	**برأسي وإستى دملاً وزكاما**
فليتهما كـانـا بـه وأزيده	**رخاوة زبّ لا يطيق قياما**

وقال أبو نواس :

قد أضرت بي دمامي	**ل على الظّهر ملحّه**
ليتها في عين من يح	**سبه مالاً وصـحّـه**

سلم فزارة صاحب المظالم بالبصرة على يساره في الصلاة ، فقيل له في ذلك فقال : كان على يميني إنسان لا أكلمه.

وقال فزارة يوماً في مجلسه : لو غسلت يدى مائة مرة ما تنظفت ، أو أغسلها مرتين وفيه يقول ابن المعذّل :

ومن المظالم أن تـكـو	**ن على المظالم يا فزارة**

تقديم رجل مع خصمه إلى قاض ، فقال : أصلح اللّه القاضى ، لي عند هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا. فقال القاضي لخصمه : ما تقول فيما سمعت من دعوى خصمك ? فقال : لا أعرف شيئاً فيما يقول ، وأنا منكر لما يدعيه. فقال للمدعى : هات بينه إن كان لك. فأتاه برجلين فجلسا بين يديه ، فقال لهما : بم تشهدان ? قالا : نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزاني ابن الزانيه كذا وكذا لدعوى خصمه.

فقال لهما :قد قبلتكما.قم يازاني ابن الزانية ،فأد ما شهدا به. فقال المشهود عليه :
أيها القاضي! إن كان هؤلاء استحلوا قذفى وقذف أمي بجهلهم ، فما الذي استحللت به أنت ذلك منى ؟ فقال : واللّه يا ابن أخي ما حسبت إلا أنه اسمك واسم أمك ، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا على شاهديه.
مر قاض بواسط أو بحمص على السوق في يوم رمضان ، فرأى رجلا قد صنع معزفاً ، فوقف عليه وقال : أيها الفاسق في الشهر المبارك تعمل آلات اللهو وظروف الشرّ فقال : أصلح اللّه القاضي ، إنما هي مقلاة قال : لعن اللّه الشيطان ما حسبتها إلا معزفا ،فنهض شيئاً ثم عاد إليه ، فقال له :يا فاسق ???????وكيف تكون مقلاة من خشب ?هذا محال. فقال له :يا قاضي إني أطليها بالقار ، فلا تؤثر فيها النار. قال :صدقت ، ثم انصرف عنه.
وُلّى رجلٌ مقلّ قضاء الأهواز ، فأبطأ عليه رزقه ، وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحى به ولا ما ينفق ، فشكا ذلك إلى زوجته ، فقالت له : لا تغتم ، فإن عندي ديكاً جليلا قد سمنته ، فإذا كان عيد الأضحى ذبحناه. فلما كان يوم الأضحى ، وأرادوا الديك للذبح ، طار على سقوف الجيران ، فطلبوه وفشا الخبر في الجيران ، وكانوا مياسير ، فرقوا للقاضي ، ورثوا لقلة ذات يده ،فأهدى إليه كلّ واحد منهم كبشاً ، فاجتمعت في داره أكبش كثيرة ، وهو في المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ، ورأى ما فيه من الأضاحي قال لامرأته :من أين هذا ? قالت أهدى إلينا فلان وفلان- حتى سمَّت جماعتهم- ما ترى. قال : ويحك احتفظي بديكنا هذا فما فدى إسح اق بن إبراهيم إلا بكبش واحد ،وقد فدى ديكنا بهذا العدد.

باب الملح وما به النّفس ترتاح
من مباح المزاح

قال الأصمعىّ : وصلت بالعلم ، وكسبت بالملح.
قال عبد الرحمن بن أبي الزّناد : قلت لأشعب : أنت شيخ كبير ، فهل رويت شيئاً من الحديث ? قال : بلى! حدثني عكرمة عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم ، أنه قال : خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة. قلت : وما هما ? قال: نسيت أنا واحدة ، ونسى عكرمه الأخرى.
كان أشعب الطّمع كثير الإلمام بسالم بن عبد اللّه بن عمر ، فأتاه يوماً وهو في حائط مع أهله ، فمنعه البواب من الدخول عليه من أجل عياله ، وقال : إنّهم يأكلون. فمال عن الباب ، وتسوّر عليهم الحائط ، فلمّا رآه سالم ، قال : سبحان اللّه يا أشعب! على عيالى وبناتي تتسوّر. فقال له "لقد علمت مالنا في بناتك من حقّ ، وإنك لتعلم ما نريد". فقال له : انزل يأتك من الطّعام ما تريد.
أخذ قومٌ في قطع ، فقدّموا لضرب أعناقهم ، فقام منهم واحدٌ ، وقال : اللّه اللّه فيّ ، فو اللّه ما كنت في شيٍ مما كانوا فيه ، وإنما كنت أشرب معهم وأغنّى لهم ، فقالوا : هات فغنّ لنا ، فارتجت عليه الأشعار إلاّ قول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكلّ قرينٍ بالمقارن مـقـتـدى
فقالوا : صدق. اضربوا عنقه.
كان بعض أمراء خراسان يتشاءم بالحول ، فمتى رأى أحول ضربه بالسّياط ، وربما ضرب بعضهم خمسائة سوط ، وحدث أنه ركب في بعض الأيام ، فرأى أحول فأمر بضربه ، وكان الأحول جلداً ، فلما فرغ من ضربه ، قال له : أيها الأمير! أصلحك اللّه ، لم ضربتني ؟ قال : لأني أتشاءم بالحول. قال : فأينا أشدّ شؤماً على صاحبه ، أنت رأيتني ولم يصبك إلاّ خير ، وأنا رأيتك فضربتني خمسائة سوط ، فأنت إذا أشد شؤماً. فاستحيا منه ولم يضرب بعده أحداً.
كانت في سعيد بن فروخ بن القطان ، والد يحيى سعيد الفقيه ، غفلة شديدة مشهورة ، فخرج يوم الجمعة وقد تهيأ للصلاة ، فلقى رجلا من أهل البصرة كثير المزاح ، فقال له : قد أخروا الجمعة إلى غد ، فقال : حسن. ورجع إلى منزله.
كان إسماعيل بن يسار الشاعر قد خفّ على عروة بن الزبير حتى زامله مرّةً بعض أسفاره ، فقال ليلةً في سفره ذلك لغلامه : انظر هل اعتدل المحمل ؟ فقال الغلام : ما هو إلاّ معتدل ، فقال إسماعيل : واللّه ما اعتدل الحقّ والباطل قبل هذه الليلة ، فمحك عروة.
قال الأصمعىّ : قدم تاجرٌ من أهل الكوفوفة المدينة بأحمزة فباعها كلها إلاّ السّود منها ، فلم تنفق ، وكان صديقاً للدرامىّ الشاعر ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان الدرامىّ تنسّك ، وترك الشعر والغناء. فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنّي سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء اللّه تعالى ، ثم قال :

قل للمليحة في الخمار الأسود   ماذا صنعت بزاهدٍ متعـبّـد
قد كان شمر للصلاة ثـيابـه   حتّى عرضت له بباب المسجد
ردّى عليه صيامه وصـلاتـه   لا تقليه بحقّ دين مـحّـمـد

فشاع قول الدرامىّ هذا في الناس : وقالوا : رجع الدرامىّ عن نسكه ، وعاد إلى فتكه ، فلم يبق في المدينة امرأة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفد ما كان منها مع العراقي ، فلما علم الدراميّ ذلك ، رجع إلى نسكه ولزم المسجد. والدراميّ هذا أصله مكىّ ، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد

العزيز ، وعاش إلى خلافة بني العباس ، وانقطع إلى عبد الصمد بن على وكان شاعراً مطبوعاً ، ترك ذلك وتنسك ، وهو القائل :

ولما رأيتـك أولـيتـنـي ال قبيح وباعدت عنّي الجمـيلا
تركت وصالك في جـانـب وصادفت في النّاس خلاّ بديلا

طويسٌ الذي تضرب به العرب المثل في الشّؤم ، هو رجلٌ من أهل المدينة مولى لبني مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد اللّه ، وهو أول من أظهر الخنا والمجون بالمدينة ، وكان مغنيا يضرب الدف ، وسئل عن والده ، فقال : ولده ، فقال ، ولدت يوم مات النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وفطمت يوم مات أبو بكر ، وختنت يوم قتل عمر ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لي يوم قتل على بن أبي طالب فيقولون في أمثالهم السّائرة. أشأم من طويس.
كان الشّعبي يوماً جالساً في مجلسه ، والناس يتناظرون في الفقه عنده ، معه شيخ يطيل السكوت ، فقيل له يوماً : لو سألت عن مسألة تنتفع بها ، فقال : إني لأجد في قفاي حكّة ، أفترى لي أن أحتجم ؟فقال الشعبي :الحمد لله الذي صرنا من الفقه إلى الحجامة.
مر بالشعبي يوماً رجل يقود حماراً ،فقال له :ما اسمك ؟قال :وردان.قال :وما اسم حمارك ؟ قال :عمران.قال الشعبي :واخلافاه!! مر رجل معه كلب بابن أبي عتيق ،فقال له :ما اسمك ؟ قال :وثّاب.
قال :وما اسم كلبك ?قال :عمروزفقال ابن أبى عتيق :واخلافاه ،وأنشد :

ولو هيّا له الـلـه من التّوفيق أسبابا
لسمّى نفسه عمراً وسمّى الكلب وثّابا

أنشد رجل زبّان السّوّاق ،قول إسماعيل بن يسار :

ما ضرّ أهلك لو تطوّف عاشقٌ بفناء بيتك أو ألمّ فـسـلّـهـا

فبكى زبّان ،وقال :لاشئ والله ،إلا الضّجر وسوء الخلق وضيق الصدر ،وجعل يبكي ويمسح عينيه.
قيل لمدنّى :أما تتقى الله ،تؤذي جيرانك ؟!قال :فمن أوذى إذاً ؟ أوذى من لا أعرفه ؟! كان الفرزدق جالساً في حلقة الحسن رحمه الله ،فقال رجل :يا أبا سعيد!ما تقول في الرجل يحكي عن غيره ،يقول :قال فلانٌ طلقت امرأتى ،وأعتقت عبدي ،وفعلت وفعلت ولانّية له في ذلك.فقال الفرزدق :ياأبا سعيد :قد قلت أنا في ذلك.فقال :وما قلت يا أبا فراس ?فليس كلّ قول يؤخذ به. قال :قلت :

ولست بمأخوذٍ بشئ تقولـه إذا لم تعمّد عاقدات العزائم

قال الحسن :صدق أبو فراس ،القول ما قال.
اعترض الإسكندر جيشه يوماً ،فرأى فيهم رجلا أعرج ،فأمر بإسقاطه ،فضحك الأعرج.فقال له الإسكندر :مم ضحكك ?وقد أسقطتك.فقال :تعجبا منك لحبك آلة الهروب ،وكراهتك آلة الوقوف ،لأن معى آلة الوقوف في الحرب وتسقطني ،فأمر بإثباته في خاصته ،وأسنى رزقه.
سمع ابن أبي عتيق يوما نصيباً الشاعر ،وكان أسود ،ينشد لنفسه :

وددت ولم أخلق من الطّير أنّني أعار جناحي طائر فـأطـي

فقال له ابن أبي عتيق :يا ابن أخي!قل :غاق تطر.شبهه بالغراب لشدة سواده.هاج بأبي علقمة الأعرابيّ الدّم ،فأتوه

بحجّام ،قال له :يا حجّام!اشدد قصبة الملزم ،وأرهف ظبة المشرط ، وأسرع الوضع ، وأسرع الوضع ، وعجل النّزع ، وليكن شرطك وخزاً ، ومصّك نهزاً. فقام الحجام ناهضاً ، وقال : انتظر حتى يأتيك ابن القريّة فيحجمك.
قال الهيثم بن عدىّ : كنت يوماً بكناسة الكوفة إذ أنا برجل قد وقف على نخّاس الدّواب ، فقال له : اطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، إن خلا الطريق تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصادم في السّوارى ، ولا يدخل تحت البواري ، إن أقللت علفه صبر ، وإن أكثرت له شكر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبه غيري نام. فقال له النخاس : اصبر يا عبد اللّه ، فإذا مسخ القاضي حماراً ، أصبت حاجتك إن شاء اللّه تعالى.
خطب أبو القطوف إلى قوم وليةً لهم ، فأجابوه ، وقالوا لها من الضياع والمال كذا وكذا ، فما مالك أنت ؟ قال : إن كنتم صادقين فإن مالها يكفيني وإياها ما عشنا ، فما سؤالكم عن مالى ؟! وقال عبد الملك بن عبد الحميد الحارثي :

يا أخت كندة عافي شرب عثمان	وأزمعى لبنى عوف بهـجـران
يا أخت كنده سيرى سير ساخطةٍ	كي تنتوي غضبي وغضـبـان
يا أخت كنده ليس الرّزق في يده	الرّزق قي يد من لو شاء أغناني
الماء في دار عثمان لـه ثـمـن	والخبز فيها له شانٌ من الشّـان
عثمان يعلم أنّ الحمد ذو ثـمـن	لكنّه يشتهى حمـداً بـمـجّـان
والناس أكيس من أن يمدحوا أحداً	حتّى يروا عنده آثاره إحـسـان
اغسل يديك بأشنانٍ وأنقـهـمـا	غسل الجنانة من معروف عثمان
واسلح على كلّ عثمان مررت به	إلاّ الخليفة عثمان بن عـفّـاف

وقال الليث الحجام :

حلقت بموسي الهجر ناصية الصّـدّ	وأخريت مشط الصّدّ في طرّة الودّ
قصصت بمقراض القلا	فجبهة رأس الودّ

حجّة الوفا مكشوفة الجلـد
وشعر سبال الوصل ظلوماً بمنقاش
صرت منتفـاً القطيعة والـصَّـدَّ
وما زلت مصَّاصاً بـغـير إسـاءةٍ بمحجمة الخلف القبيح دم الوعـد

وذكروا أن إبليس قال :ماذا ألقى من أصحاب البلغم ؟ ينسون ويلعنونني.
قال حسين المعروف بالجمل الشاعر : كان أحمد بن المدبر بدمشق يقصده الشعراءفمن مدحه بشعر جيد أثابه ، ومن مدحه بشعر رديء وكل به من يحمله إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلى مائة ركعة. قال فدخلت عليه ، فقلت :

أردنا في أبى حـسـن مـديحـاً كما بالمدح تـنـتـجـع الـولاة
فقالوا يقبل الـمـدحـات لـكـن جوائزه عـلـيهـن الـصلاة
فقلت لهم : وما يغنـى عـيالـي صلاتى إنما الـشـأن الـزكـاة
ليأمر لي بكسر الصـاد مـنـهـا فتضحى لي الصلاة هي الصلات

قال ،فقال لي : أخذت هذا من قول أبى تمام :

هن الحمام فإن كسرت عيافة من حائهن فإنهـن حـمـام

قال الرياشي : خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال رمضان ، فرآه رجل منهم ،ولم يزل يومئ إليه حتى رآه غيره وعاينوه ، فلما كان هلال الفطر ، جاء الجار إلى ذلك الرجل ، فدق عليه الباب ، وقال له : تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه.

باب المزاح إباحة وكراهة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأمزح ولا أقول إلا حقًّا.
قال ابن عباس : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلاّ حقا.
قال غالب القطان : أتيت محمد بن سيرين ، وكان مزاحاً فسألته عن هشام ابن حسان ، فقال لي : توفى البارحة ، أما شعرت ؟ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون. فضحك وقال : ؟ " الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى " .
جاءت إمرأة إلى الحسن ، فقالت : إني نذرت أن أهدي البصرة إلى مكة ،فقال :ويحك إن أهل البصرة لا يدعونك تهدى

بصرتهم ، ولو تركوك ما قدرت ، كفري عن يمينك.
وفي الحديث المأثور : " أنّ عيسى عليه السلام كان يبكي ويضحك ، وكان يحيى عليه السلام يبكي ولا يضحك ، فكان خيرهما المسيح عليه السلام " .
قال خليفة بن زيد : كان خليفة الأقطع مزاحاً ، وكان يقف على أيوب السختياني فيمازحه.
قال حماد : وجاء خليفة الأقطع يوماً إلى أيوب ، وأنا غلام بين يديه ، فقال له :يا أبا بكر متى استحدث هذا ؟ يعنى متى طلب هذا الحديث.
وروى هارون بن موسى الأعور عن سالم العلوى ، قال : قال لي الحسن : خلّ بين الناس وبين هلالهم حتى يراه معك غيرك.
وكان شعبة يقول : سالم العلوي يرى الهلال قبل الناس بليلتين.
قال الخليل بن أحمد : الناس في سجن ما لم يمازحوا.
مزح الشعبي يوماً ، فقيل له : يا أبا عمرو أفتمزح ؟ قال : إن لم يكن هذا متنا من الغم ، داخل ، وهواء خارج.
كان محمد بن سيرين يداعب ويضحك حتى يسيل لعابه ، فإذا أردته على شئ من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك.
أتت ابن سيرين امرأة الفرزدق شاكية ، فلما خرجت تمثل :

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً   ولو رضيت زب استه لاستقرت

قيل لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمثل :

نبئت أن فتاة كـنـت أخـطـبـهـا   عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحا لصلاته.
وقال شعبة : أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مرة بيت شعر غزل ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم.
وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء.
كان يقال : لكل شئ بدء ، وبدء العداوة المزاح.
كان يقال : لو كان المزاح فحلاً ، ما ألقح إلا الشر.
قال سعيد بن العاص : لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنيء فيجترئ عليك.
قال ميمون بن مهران : إذا كان المزاح أمام الكلام فآخره الشتم واللطام.
قال جعفر بن محمد : إياكم والمزاح ، فإنه يذهب بماء الوجه.
كان خالد صفوان يكره المزاح ، ويقول : يسعط أحدهم أخاه بأحر من الخردل ويضحكه بأصلب من الجندل ، ويفرغ عليه أشد من إلى المرجل ، ويقول : مازحته.
قال إبراهيم ال نخعي : لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر.
قال أبو هفان :

مازح صديقك ما أحب   وتوق منه في المزاح

مزاحاً جماحاً
فلربما مزح الصديق بمزحةٍ كانت لباب عداوةٍ مفتـاحـاً

وقال ابن وكيع :

لا تمزحنَّ فإن مزحت فلا يكـن مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب
واحذر ممازحةً تـعـود عـداوةً إن المزاح على مقدمة الغضب

ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري :

لي صاحب ليس يخلو لسانه عـن جـراح
يجيد تمزيق عرضي على سبيل المـزاح

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه " .
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر ضحكه استخف به وذهب بهاؤه.
وقال غيره من الحكماء : إياك والمشي في غير أرب ، والضحك من غير سبب.
قال قتيبة بن مسلم لبنيه : لا تمازحوا فيستخف بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترقَّ أخلافكم ، ولا تبخلوا فيزدريكم أكفاؤكم.
قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن علي بن المعتصم :

الكبر ذل والتـواضـع رفـعة والمزح والضحك الكثير سقوط
والحرص ذل والقنـاعة عـزة واليأس من صنع الإله قنـوط

وقال آخر :

فإياك إياك الـمـزاح فـإنــه يجرى عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعـد بـهـائه ويورثه من بعـد عـزتـه ذلاًّ

وقال آخر :

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه وأحسن الصدق عند الله والناس

وقال آخر :

للجد ما خلق الإنسان فالـتـمـسـن بالجدّ حظك لا بالهزل والـلـعـب
لا يلبث الهزل أن يجنى لصاحـبـه ذما ، ويذهب عنـه بـهـجة الأدب
لا خير في الهزل فاتركه لـقـائلـه واهرب بعرضك منهم أوشك الهرب

وقال محمود الوراق :

تلقى الفتى يلقى أخاه وخدنـه — في لحن منطقه بما لا يغفـر
ويقول كنت ممازحاً وملاعبـاً — هيهات نارك في الحشا تتسعر
ألهيتنا وطفقت تضحك لاهـياً — عما به وفـؤاده يتـفـطـر
أو ما علمت ومثل جهلك غالب — أن المزاح هو السباب الأكبر

فهؤلاء كرهوا المزاح وذموه ، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير ، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :

لا تكثرن من الـفـكـا — هة في حديثك والدعابه
ودع الغريب من الكـلا — م لأهله عند الخطابـه
وإذا أصبت فكـل مـا — أغفلته دون الإصابـه

وقد أكثر أهل الأدب في المزاح من النظم ،وختلق ابن وكيع أكثر ذلك ، ورأيت الأقتصار فيه على الأختصار أولى من الإكثار.كان المأمون يعجبه القائل :

أخو الجدي إن لاقاك أرضاك جده — وذو باطل إن شئتألهاك باطـلـه

باب مدح الصدق والأمانه ذم الكذب والخيانه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن إذا حدث صدق ،وإذ وعد انجز ، وأذا اؤتمن وفى ، والمنافق إذا حدث كذب ،وإذا واعد أخلف ،وإذا اؤتمن خان " .
وقال صلى الله عليه وسلم : " لاتزال أمتي بخير مااتخذو الأمانه مغناً والصدق مغرماً قالت عائشة رضى الله عنها ،قالت : يارسول الله بم يعرف المؤمن ? قال " بوقاره ولين كلامه ، وصدق حديثه "
وقال صلى الله عليه وسلم : " أد الأمانه إلى من أئتمنك ،ولاتخن من خانك " وقال سعد :كلا لخصال يطبع عليها المؤمن ، إلا الخيانه والكذب.
وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه :من كانت له عند الناس ثلاثة وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حدثهم صدقهم ،وإذا ائتمنوه لم يخنهم ،وإذا وعدهم وفى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم ، وتنطق بالثناء عليهم ألسنتهم ،وتظهر له معونتهم.
قيل للقمان الحكيم : ألست عبد بن فلان ? قال : بلى. قيل : فما بلغ بك ما نرى ?قال :تقوى الله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانه وترك ما لا يعنينى.
قال نافع : طاف ابن عمر سبعاً ،وصلى ركعتين ،فقال له رجل من قريش : ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن وخرجت فقال أبن عمر :أنتم أكثر منا طوافاً وصياماً ،نحن نلتزم صدق الحديث ،وأداء الأمانة ، وإنجاز الوعد.
قتل محمود الوراق : اصدق حديثك إن في الصدق الخلاص من الدنس

ودع الكـذب لـشـأنـه — خير من الكذب ، الخرس

وقال منصور الفقيه :

الصدق أولى ما بـه — دان امرؤ فاجعله دينا
ودع النفاق فمـا رأي — ت منافقا إلا أهينـا

وله أيضاً :

الحمد الـلـه شـكـراً فالشكر أيسر حـقـه
أمسى الصدوق كثير ال عدو من اجل صدقـه

وقال أبو العتاهية :

الحمد لله كـل ذو مـكـاذبـهٍ أمسى التصادق لايسقى به الماء

قال الحسن البصري :لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، و لا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه.

كان يقال :كفى بالمرء خيانه أن يكون أمينا للخونه قال الشاعر :

إن الأميرإذا استعان بخائنٍ كان الأمير شريكه المأثم

قال الفارابي :كنت على الأوزعى إذ جاءه رجل فقال :يا ابا عمرو هذا كتاب صديقك فلان من بلاد كذا ،وهو يقرأ عليك السلام. فقال له : متى قدمت ؟ قال أمس.قال :ضيعت أمانتك لا كثر الله في المسلمين أمثالك.

قال الشاعر :

إذا أنت حملت الخئون أمانة فإنك قد أسندتها شر مسند

وقال محمود الورق :

تصنّع كي يقال لـه أمـينٌ وما معني التّصنّع للأمانـه
ولم يرد الإله بـه ولـكـن أراد به الطّريق إلى الخيانة

وقال آخر :

هو الذّئب أو للذّئب أوفى أمانة وما منهمـا إلا أذلّ خـئون

أستراح رجل إلى جليس له في السلطان ،فرفع ذلك عليه ،فلما أوقف السلطان ذلك القائل على قوله ،أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه ، فقال : بل فلان سمع ذلك منك ، فهل ترضى به ؟ قال : نعم. فكشف الستر عن الرجل ، فقال : بلى. أنت قلت ذلك لي ، فسكت المرفوع عليه ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أنت امرؤٌ إمّا ائمنتك خـالـياً فخنت وإمّا قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذّي قلت بيننا بمنزلةٍ بين الخـيانة والإثـم

أنشدني على بن إسماعيل لنفسه :

لا يرى إلا لدينـا طالباً فيها ديانـه
وإذا قـيل أمـينٌ قد تحلّى بالأمانه
وقع التحصيل منه بين غدر وخيانه

وقال آخر :

لايخون الأمين شيئاً ولكن ربّما تحسب الخؤون أمينا

وقال آخر :

ألا ربّ من تعتده لك ناصحاً ومؤتمناً بالغيب غير أمـين

وقال أبو يعقوب الخريمي :

يا للرجال لقومٍ قد بـلـوتـهـم أرى جوارهم إحدى البـلـيّات
ماذا تظنّ بقوم خبر كسـبـهـم مصرّح السّحت سمّوه الامانات

وفي الحديث المرفوع : " الصدق يهدي إلى البرّ ، والبرّ يهدي إلى الجنّة ، والكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النّار " .
يقال : صدق وبرّ ، وكذب وفجر.
قال بعض الحكماء : من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه.
وقال محمود الوراق :

إذا عرف الكذاب بالكذب لـم يكـن لدي النّاس ذا صدقٍ وإن كان صادقا
ومن آفة الكذّاب نـسـيان كـذبـه وتلقاه ذا حفـظ إذا كـان حـاذقاً

وقال آخر :

لا يكذب المرء إلاّ من مهانتـه أو عادة السّوء او من قلّة الأدب

قال بغضهم : ما أراني أوجر في ترك الكذب. قيل له : ولم ? قال : لأني أدعه اتقاء.
قالوا : الصدق عز ، والكذب خضوع.
قال الحسن : خرج عندنا رجل بالبصرة ، فقال : لأ كذبن كذبه يتحدث بها الوليد ، قال الرجل : فما رجعت إلى منزلي حتّى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت الناس يتحدثون بها.
وقال كعب بن زهير :

ومن دعا النّاس إلى دمّه ذموه بالحقّ وبالباطـل
مقالة السّوء إلى أهليها أسرع من منحدرٍ سائل

قال لقمان لابنه : يا بني! احذر الكذب فإنه شهى كلحم العصفور ، من أكل شيئا منه لم يصبر عنه.
عوتب بعض الأعراب على الكذب ، فقال للذي عاتبه : واللّه لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه.
وقال الأصمعي : قيل لكذّاب : ما يحملك على الكذب ? فقال : أما إنك لو تغرغرت به مرة ما نسيت حلاوته.
قيل لكذاب : هل صدقت قط ? قال : أكره أن أقول لا فأصدق.
قال جميل العذرى :

لحا اللّه من لا ينفع الودّ عنده ومن حبله إن مد غير متين
ومن هو ذو لو نين ليس بدائم على خلق خوّان كلّ أمـين

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك " .

باب الحقّ والباطل

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم : " الحق ثقيلٌ ، فمن قصّر عنه عجز ، ومن جاوزه ظلم ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى " . ويروي هذا لمجاشع بن نهشل.
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " لا يبطل حق امرئ وإن قدم " .
وقال عليه السّلام : " رحم اللّه عمر بن الخطّاب ، تركه الحقّ ليس له صديق " .
لما استخلف أبو بكر عمر ، قال لمعيقيب الدّوسى : ما يقول النّاس في استخلافي عمر ؟ قال : كرهه قومٌ ، ورضيه آخرون. قال : فالذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه ؟ قال : بل الذين كرهوه.
قال : إن الحقّ يبدو كريها وله تكون العاقبة ، والعاقبة للتقوى.
قالوا : من قصد إلى الحقّ اتسمت له المذاهب حجة ، ومن تعداه ضاق به أمره ، وما هلك امرؤٌ عرف قدره.
قالوا : الحكمة تدعو إلى الحقّ ، والجهل يدعو إلى السّفه ، كما أنّ الحجة تدعو إلى المذهب الصّحيح ، والشبهة تدعو إلى المذهب الفاسد.
قال بعض الحكماء : من جهلك بالحق والباطل ، أن تريد إقامة الباطل بإبطال الحق.
قال الأعرابي ، وقد ذكر عنده الإصلاح والإفساد ، فقال : لاتمنعن كثيراً من حقّ ، ولا تضعنّ قليلاً في الباطل ، فما حرّك حقّ وباطلّ إلا كان لهما شهود. قال بعض الحكماء : لها يعيد الرجل عاقلا ، حتى يستكمل ثلاثاً : إعطاء الحق من نفسه في حال الرّضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وألاّ ترى له زلّة عند ضجره. وقد تقدّم قول أبي العتاهية في باب الرّجاء والخوف :

ومن ضاق عنه الحقّ ضاقت مذاهبه

ولأبي العتاهية أيضاً :

الباطل الدّهر يلفي لا ضياء له — والحقّ أبلج فيه النور يأتلـق

لما احتضر أبو بكر الصّدّيق ، أرسل إلى عمر ، فقال : ياعمر! إن ولّيت على النّاس فاتق اللّه ، والزم الحق ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحقّ لميزان إذا وضع فيه الحقّ غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت يوم القيامة ، باتباعهم الباطل في الدّنيا وخفّته عليهم ، وحقّ لميزان وضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً ، واعلم أن اللّه عملاً بالليل لا يقبله بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، وأن اللّه عز وجل ذكر أهل الجّنة بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا كوتهم قلت : إنّي الخائف ألا ألحق بهم ، وأن اللّه عز وجل ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ، وردّ عليهم أحسنها ، فإذا ذكرتهم ، قلت : إني لخائف أن أكون مع هؤلاء ، وأن اللّه عزّ وجل ذكر آية الرّحمة مع آية العذاب ، ليكون المؤمن راغباً راهباً لا يتمنى على اللّه ولا يقنط من رحمة اللّه فإن أنت حفظت وصيّتي ، فلا يكوننّ غائبٌ أحب إليك من الموت وهو أيتك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكوننّ غائبٌ أبغض

إليك من الموت ولست بمعجزه.
كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية : أن الزم الحقّ ، ينزلك الحقّ في منازل أهل الحقّ ، يوم لا يقضى إلا بالحقّ ، أول كتاب كتبه علىّ بن أبي طالب في خلافته : أمّا بعد ، فإنّما هلك من كان قبلكم ، أنّهم منعوا الحق حتى اشترى ، وبسطوا الباطل حتى اقتدى.
وقال علىّ بن أبي طالب لرجل من الخوارج : واللّه ما عرفت حتى ظهر الباطل قال وبرة المكىّ : سمعت عن ابن عباس كلمات لهى أحبّ إلى من الدّهم الموقفة ، قال : لا تتكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً ، فرب متكلم بالحقّ في غير موضعه قد غيب ، لا تمارينّ سفيهاً ولا حليماً ، فإنّ السّفسه يؤذيك ، والحلم يقليك ، ولا تذكرنّ أخاك إذا غاب عنك إلاّ بمثل ما تحبّ أن ذكرك به إذا غبت عنه ، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزىٌّ بالإحسان ، ومأخوذٌ بالأجرام ، فقال : رجل عنده : يا ابن عباس! لهذه خير من عشرة آلاف. قال : كلمة منها خير من عشرة آلاف.
قال ابن مسعود : من كان على الحقّ ، فهو جماعةٌ وإن كان وحده.
قال غيره : الحقّ ثقيل ، وطلابه قليل.
وقال غيره : الحق كثير ، والقائلون به يسير.
وقال غيره : الأحمق يغضب من الحق ، والعاقل يغضب من الباطل وكان يقال : من هلك في دولة الباطل ، أكثر ممن حيى بالباطل.
قال أنو شروان : إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط.
قال عبد اللّه بن مسعود : تكلّموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله.
قال أبو العتاهية :

وللحقّ برهانٌ وللموت فكرةٌ	**ومعتبرٌ للعالـمـين قـديم**

قال مالك ابن أنس : إذا ظهر الباطل على الحقّ ظهر الفساد في الأرض.
وقال : إن لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة.
قال سعد بن أبي وقاص لسلمان : أوصني. قال : أخلص الحقّ يخلّصك. وأظنّ هذا من قول القائل : أعزّ الحق يذلّ لك الباطل.
كان يقال : من لم يعمل من الحق إلاّ بما وافق هواه ، ولم يترك من الباطل إلا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب ، ولم يفلت من إثم الباطل.
قال العتابي :

وما كلّ موصوف له	**ولا كلّ من أمّ الصوى**

الحقّ يهتدي يستبينهـا

الصّوى : جمع صوّة ، وهي حجارة تجعل أعلاماً في الطريق.
قال رجل لخصمه : لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق وقال بعض الحكماء : المنعة نفور ، ولقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها ، فاستدع شاردها بالتوبة ، واستدم والرّاهن منها بكرم الجوار ، واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، فقد أعرب لك الحقّ عن نفسه ، وصدقك عن أمره.
قال منصور الفقيه : ?إن بين الحقّ والب-طل فرقاً لا يحيل

وعلى نـيّة ذي الـقـو ل من الـقـول دلـيل
فقل الـحـقّ وإن قـي ل لك الـحـقّ ثـقـيل
فاتـق الـلّــه إذا شوورت وانظر ما تقول
لا يضـرنّـك إن قــا ل من النّاس جـهـول
إن قول المـرء فـيمـا لم يسل عنه فـضـول

وقال الصّلتان العبدى : ??????وللحقّ بين النّاس راضٍ وجازع=وللأذناب فيه للرّءوس توابع

وليس الذنابي كالقدامـي وريشـه وما تستوي في الرّاحتين الأصابع

روى عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم : " أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لبيد : ألا كلّ شيءٍ ما خلا اللّه باطل " قالوا : أصدق بيت قالته العرب ، قول القائل : ??وما حملت من ناقةٍ فوق ظهرها=أبرّ وأوفى ذمّةً من محمّد قال الحاتمي : أشعر بيت قالته العرب ، قول امرئ القيس بن عانس لا ابن حجر.
?اللّه أنجح ما طلبت به=والبرّ خير حقيبة الرّحل وأنشد ثعلب :

وإنّ أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

قال جعفر بن محمد : ما ناصح اللّه عبدٌ مسلم في نفسه فأخذ الحق لها ، وأعطى الحق منها ، إلا أعطي خصلتان : رزق من اللّه يقنع به ، ورضى من اللّه عنه.
كان بعض الصالحين يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع.
قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

ترحّل ما ليس بـالـقـافـل وأعقب ما ليس بـالآفـل
فلهفي على السّلف الراحل ولهفي من الخلف النّازل
أبكّى على ذا وأبكـى لـذا بكاء المولّهة الـثّـاكـل
تبكّى على ابن لها وتبكى على ابن لها

قاطـع واصل
تقضّت غوايات سكر الصّبا وردّ التقى عنت الباطـل

بسم اللّه الرحمن الرحيم

باب الحياء والوقار

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " لكلّ دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء " .
وقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم " الحياء خيرٌ كلّه " .
وقال صلى اللّه عليه وسلم : " المؤمن حيّى كريم ، الفاجر خبّ لئيم " .
وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم " إن اللّه يحب الحيّى الحليم المتعفّف ، ويبغض الفاحش البذئ السائل الملحف " .
قال سليمان عليه السلام : الحياء نظام الإيمان ، فإذا نحل النظام ذهب ما فيه.
وفي التفسير : " ولباس التقوى " . قالوا : الحياء.
وقالوا : الوقار من اللّه ، فمن رزقه اللّه الوقار فقد وسمه بسيماء الخير.
وقالوا : من تكلّم بالحكمة لا حظته العيون بالوقار.
قال الحسن : أربع من كنّ فيه كان كاملا ، ومن تعلّق بواحدة منهن كان من صالحي قومه : دين يرشده ، عقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده.
قالت عائشة رضى اللّه عنها : رحم اللّه نساء الأمصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن.
وقالت عائشة أيضاً : رأس مكارم الأخلاق الحياء.
قال الشاعر :

ما إن دعاني الهوى تفاحشةٍ إلا نهاني الحياء والكـرم
ولا إلى محرم مـددت يدى ولا مشت بي لريبةٍ قـدم

وروى عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم أنه قال : " إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى ، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت " .
وقال حبيب بن أوس :

إذا لم تخش عاقبة الليالـي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا واللّه ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحـياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء

وقال أبو دلف العجلى :

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً ولم ترع مخلوقاً فما شئت فاصنع

وقال صالح بن جناح :

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حـياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

وقال آخر :

إذا رزق الفتى وجها تقلب في الأمور كما

وقاحا يشاء
ورب دينّةٍ ما حال بـينـي وبين ركوبها إلاّ الحـيـاء
وقال الحزين بن عبد اللّه اللّيثي ، وتنسب إلى الفرزدق :
يغضى حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلّم إلاّ حـين يبـتـسـم
وقال آخر :
كريمٌ يغضّ الطّرف فضل حيائه ويدنو وأطراف الرّماح دواني
وكالسيف إن لا ينته لان متنـه وحداه إن خاشنته خـشـنـان
وقالت ليلى الأخيليّه :
ومخرّق عنه القميص تخالـه وسط البيوت من الحياء سقيما
وقال أمية بن أبي الصّلت في ابن جد عان التيمى :
أأذكر حاجتي أم قد كفانـي حياؤك إن شيمتك الحـيـاء
كريمٌ لا يغـيّره صـبـاحٌ عن الفعل الجميل ولا مساء
إذا أثنى عليك المرء يومـاً كفاه من تعرضه الثـنـاء
قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : من كساه الحياء ثوبه ، خفي عن الناس عبيه.
أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا أحمد بن سعيد ، حدثنا ابن الأعرابي ، حدثنا العباس بن محمد ، حدثنا يحيى بن معين ، قال ابن كناسة :
فيّ اقباض وحشمةٌ فـإذا لاقيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

باب حسن الخلق وسوئه

قال رسول اللّه عليه وسلم : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا " .
قال معاذ بن جبل : آخر ما أرضاني به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حين وضعت رجلى في الغرز أن قال: " حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل " .
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: " أثقل شئ في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن " قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " حسن الخلق يمن ، وسوء الخلق شؤم " .
قال كعب الأحبار : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل ، الصائم بالنهار ، الظامئ بالهواجر.
وفي الخبر المرفوع أيضاً : " من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقائه سوء خلقه " .

مكتوب في الحكمة ، الرفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير رفيق ، والوحدة خير من جليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة.
كان يقال : من ساء خلقه قلّ صديقه.
وروى عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال : " يا بني عبد المطلب! إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فليسعهم منكم حسن الخلق ، والقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر " .
قال أبو الدراء : إنا لنكثر في وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم.
روى في قول اللّه تبارك وتعالى :" "وثيابك فطهرّ"، قالوا : وخلقك فحسّن.
قال سفيان بن عيينة : من حسن خلقه ساء خلق خادمه.
كان يقال : حسن الخلق يكسب حسن الذكر.
قال أبو العتاهية :

عامل الناس بوجهٍ طلـيق **والق من تلقى ببشر رفيق**
فإذا أنت جمـيل الـثـنـا **وإذا أنت كثير الصّـديق**

وقال محمد بن حازم :

وما اكتسب المحامد طالبوها **بمثل البشر والوجه الطليق**

وقال آخر :

خالق الناس بخلق حسـن **لاتكن كلباً على الناس يهرّ**

وقال أخر هو المغيرة بن حبناء :

وما حسنٌ أن يمدح المرء نفسه **ولكن أخلاقاً تـذمّ وتـمـدح**

وقال ابن وكيع :

لاق بالبشر من لقيت من النـا **س وعاشر بأحسن الإنصـاف**
لا تخالف وإن أتوا بـخـلافٍ **تستدم ودهم بترك الـخـلاف**
وإذا خفت فرط غيظك فانهض **مسرعاً عنهم إلى الإنصراف**
إنما الناس إن تـأمـلـت داءٌ **ماله غير أن تداويه شـافـي**

وقال آخر :

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهم **ودٌ فيزرعه التسليم واللّطـف**

وقال العتّابي يذم رجلا :

فكم نعمةٍ آتاكهـا الـلّـه جـزلة **مترّأةً من كل خـلـق يذيمـهـا**
فسلطت أخلاقاً عـلـيهـا دمـيمةً **تعاورنها حتى تـفـرّى أديمـهـا**

وكنت امرءًا لو شئت أن تبلغ المدى بلغت بأدنى نعمةٍ تستديمها
ولكن فطام النفس أثقل محملا من الصّخرة الصّماء حين ترومها

باب مكارم الأخلاق والسّؤدد

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " . ويروى " محاسن الأخلاق " .
أخذه أبو العتاهية فقال

ليس دينا بغير دين وليس الد ين إلاّ مكارم الأخلاق
إنّما المكر والخديعة في النا س هما من فروع أهل النّفاق

ولإبراهيم بن المهديّ :

لا خير في الدّنيا بلا دين ولا في المال إلاّ منه فيما يبذل
فأصب وأتلف واستفد وأفد وعش فيما اشتهت ممّا يحلّ ويجمل

وقال آخر :

وما المرء إلاّ حيث يجعل نفسه ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل

وقال آخر :

تزين الفتى أخلاقه وتشينه وتذكر أفعال الفتى حيث لا يدري

خطب ثلاثة إخوة من العرب إلى عمّهم ثلاث بنات له ، فقال : مرحباً بكم ، لا أذم عهدكم ، ولا أستطيع ردّكم ، خبّروني عن مكارم الأخلاق. فقال الأكبر : الصّون العرض ، والجزاء بالقرض. قال الأوسط : النهوض بالثقل ، والأخذ بالفضل. قال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجاز للوعد. قال : أحسنتم في الجواب ، ووفقتم إلى الصواب.

وقال صلى اللّه عليه وسلم : " إن اللّه يحبّ معالى الأخلاق وأشرفها ، ويكره سفسافها " قال الحسن : مكارم الأخلاق للمؤمن : قوة في لين ، وحزم في دين ، وإيمانٌ في يقين ، وحرصٌ على العالم ، واقتصاد في النفقة ، وبذلٌ في السّعة ، وقناعة في الفاقة ، ورحمةٌ للمجهود ، وإعطاءٌ في حقّ ، وبرّ في استقامة.

قالت عائشة رضي اللّه عنها : خلال المكارم عشر ، تكون في الرّجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكون في العبد ولا

تكون في سيّده ، يقسمها اللّه لمن أحبّ : صدق الحديث ، ومداراة النّاس ، وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة ، والتذمّم للجار ،وإعطاء السّئل ،والمكافأة بالصنّائع ، وقرى الضّيف ،والوفاء بالعهد ،ورأسهنّ كلهنّ الحياء.
قيل لبزر جمهر :أي شئ أنت به أسرّ ؟قال :قدرتي على مكافأة من أحسن إلى.
قال مصقلة بن هبيرة الشّيباني :سمعت صعصعة بن صوحان ،وقد سأله ابن عباس ما السؤدد فيكم ؟قال :إطعام الطعام ،ولين الكلام ،وبذل النّوال ،وكفّ المرء نفسه عن السؤال ،والتودّد للصّغير والكبير ،وأن يكون النّاس عندك في الحق شرعا.
سئل عبد الله بن عمر عن السّؤدد ،فقال :الحلم والجود.
كان يقال :خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ،واكتسب فيه الأجر ،وارتهن فيه الشكر ،واسترقّ فيه الحّر.
قال الأحنف بن قيس يوماً لقومه :إنّما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم ،ولكني أبسط لكم وجهي ،وأبذل لكم مالي ،وأفضى حقوقكم ،وأحفظ حرمتكم ،فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن زاد علىّ فهو خير مني ،ومن زدت عليه فأنا خير منه.قيل له :يا أبا محمد!ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال :أحضّنهم على مكارم الأخلاق.
وقال عبد الله بن عمر :نحن معشر قريش نعدّ الحلم والجود الؤدد ،ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة.
قال أسد بن عبد الله لرجل من بني شيبان :إن السؤدد فيكم لرخيص.
فقال له :أمّا نحن فما نسّود إلا فتى يوطئنا رحله ،ويفرشنا عرضه ،ويبذل لنا ماله.
قال :أشهد أن السؤود فيكم لغالٍ.
قيل لبعض العرب :من السيد فيكم ؟قال :الأحمق في ماله ،الذليل في عرضه ، المطّرح لحقده ،المعتنى بأمر عامته.
ورويت هذه القصة للأحنف ،أنه سئل :من أسود الناس فيكم ؟ فقال :الأخرق في ماله ثم ذكر مثله.
قال أبو عمرو بن العلاء :كان أهل الجاهلية لا يسوّدون إلاّ من كانت فيه ست خصال وتمامها في الإسلام سابة :السّخاء والنجدة ،والصّبر والحلم ،البيان والحسب.وفي الإسلام زيادة العفاف.
ذكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ

ومعاوية.فقال :كان معاوية أسود منهم ،وكانوا خيراً منه.
روى عن النّبي صلىّ الله عليه وسلّم أنه قال : " من رزقه الله مالاً فبذل معروفه وكفّ أذاه ،فذلك السّيد " .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار يوماً : " من سيّدكم ? " فقالوا :الجدّ بن قيس على بخل فيه.فقال عليه الّلام : " أيّ داءٍ أدوأ من البخل ?!بل سيّدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح " .فقال شاعرهم في ذلك :

وقال رسول الله والحقّ قـولـه	**لمن قال منا من تسمون سـيّدا**
فقالوا له الجدّ بن قيس على التي	**نبخّله فيهـا وإن كـان أسـودا**
فتىً ما تخطّى خطـوةً لـدنّـيةٍ	**ولا مدّ في يوم إلى سـوءٍة يداً**
فسوّد عمر بن الجموح بجـوده	**وحق لعمر بالنـدى أن يسـوّدا**

قال بكر بن وائل :ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس ،كان يحلم عن جاهلنا ويعطى سائلنا.
كان سالم بن نوفل سيد بني كنانة في زمانه ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما ، فأتى به سالم ، فقال له : ما أمنك من انتقامي ? قال : فلم سوّدناك إذاً ? إلا لتكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه. وفي سالم هذا يقول الشاعر :

نسود أقواماً وليسوا بـسـارة	**بل السيّد المعلوم سلم بن نوفل**

أنشد ابن عائشة :

لا يبلغ المجد أقوامٌ وإن كرمـوا	**حتى يذلوا وإن عـزوا لأقـوام**
ويشتموا فترى الألوان مسفـرةً	**لا عفو ذلّ ولكن عفو أحـلام**
وإن دعا الجار لبوا عند دعوتـه	**في النائبات بإسراج وإلـجـام**
مستلئمين ، لهم عند الوغى زجلٌ	**كأن أسيافهم أغرين بـالـهـام**

قال الأصمعي : كان يقال : لا يجتمع عشرة إلاّ وفيهم مقاتل أو أكثر ، ويجتمع ألف ليس فيهم حليم.
كان يقال : ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة حليم من سفيه ، وبر من فاجر ، وشريف من دنئ.
قال الأحنف بن قيس : ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال ، إن كان فوقي عرفت

له قدره ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه. أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سألزم نفسي الصفح عن كلّ مذنب ... وإن كثرت منه عليّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثةٍ ... شريفٌ ومثلى مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف فضله ... وألزم فيه الحقّ والحقّ لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن ... مقالته نفسى وإن لام لائم
وأما الذي مثلى فإن زلّ أو هفا ... تفضّلت إن الفضل للحرّ حاكم

وقال آخر :

لقد أسمع القول الذّي كاد كلّما ... تذكرّنيه النفس قلبي يصدّع
فأبدي لمن أبداه منّي بشاشةً ... كأنّي مسرورٌ بما منه أسمع
وما ذاك من عجبٍ به غير أنّني ... أرى أن ترك الشرّ للشرّ أقطع

قال الحسن البصرّى : ما سمعت اللّه عزّ وجلّ نحل عباده شيئاً أقل من الحلم ، فقال عزّ وجلّ : " إن إبراهيم لأوّاه حليمٌ " ، قال : " فبشرناه بغلام حليم " .
قال العتابيّ :

إذا سرّني دهري قبلت وإن أبي ... أبيت عليه أن أضيق له صدراً
فكم من مسيءٍ قد لقيت ومحسن ... فأوسعت ذا حلماً وأوسعت ذا شكراً

قال عمر بن أبي طالب رضى اللّه : إنّ السّفيه إذا أعرضت عنه اغتمّ ، فزده إعراضاً.
كان يقال : يحسن السّيرة يقهر المناوئ ، وبالحلم عن السّفيه يكثر أنصارك عليه.
قال الشاعر :

سكت عن السّفيه فظن أبي ... عييت وما عييت عن الجواب
متاركة السّفيه بلا جوابٍ ... أشدّ على السّفيه من العذاب
ولا شئ أحبّ إلى سفيه ... إذا وقع الكريم من السّباب

سبّ الشعبيّ رجل ،فقال له :إن كنت كاذباً يغفر الله لك ،وإن كنت صادقاً يغفر الله لي.
قال الشعبيّ :الغضب غول الحلم.
قال خالد بن صفوان :شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه ،فقال :آجرك الله على ما ذكرت من

صواب ،وغفر لك على ما ذكرت من خطأ ، قال :فما حسدت أحداً حسدي عمرو بن عبيد على هاتين الكلمتين.
مرّ الشّعبي بقوم ينتقصونه ،فأنشد :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخـامـرٍ لعزّة من أعراضنا ما استحلت

قال النّابنة الجعديّ :

ولا خير في حلمٍ إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال آخر :

وفي الحلم والإسلام للمرء وازع وفي ترك أهواء الفؤاد المتـيمّ
بصائر يرشدن الفتى مستـبـينةٌ وأخلاق صدق علمها بالتعلـم

قيل للحصين بن المنذر :بم سدت قومك ?قال :بحسب لا يطمع فيه ،ورأى لا يستغنى عنه.
وذكر السّؤدد عند معاوية بن أبي سفيان ،فقال :إنّه لينتقل في اليّ كما ينتقل الظلّ.
قال إياس بن قتادة :

وإن من السّادات من لو أطعته دعاك إلى نار يفور سعيرها

قال :كان سفيان بن عيينة يتمثل :

خلت الديار فسدت غير مسوّد ومن الشّقاء تفرّدى بالسّؤدد

قال :قال عمر بن عبد العزيز لرجل :من سيّد قومك ?قال :أنا.قال :لو كنته لم تقله.
قال الشاعر :

وإنّ بقوم سوّدوك لفـاقةً إلى سيدّ لو يظفرون بسيّد

قيل للملهب :ما السّؤدد ? قال : أن يركب الرجل في منزله وحده ،ويرجع إلى منزله في جماعة.
قيل لبعض العرب :ما علامة السيّد فيكم ? قال : هو الذّي إذا أقبل هبناه ،وإذا أدبر عبناه ،ويروى اغتبناه.
قال عبيد بن الأبرص :

إذا أنت لم تعمل برأيٍ ولـم تـطـع أولى الرّأي لم تركن إلى أمر مرشد
ولم تجتنب ذمّ العـشـيرة كـلـهّـا وتدفع عنها بالـلـسّـان وبـالـيد
وتحلم عن جهّالهـا وتقمع عنها نخـوة

وتـحـوطـهـا الـمـتـهـدّد
فلست ولو عللت نفسك بالـمـنـى بذي سؤدد بـاد ولا قـرب سـؤدد

قال أنس بن مدرك :

عزمت على إقامة ذي صلاح لأمر ما يسـوّد مـن يسـود

وقال أبو الحسن الموسوى :

ما السّؤدد المكسوب إلاّ دون ما يومي إليه السّؤدد المـولـود
فإذا هما اتفقا تكسّرت القـنـا إن غولبا وتضعضع الجلمـود

كان يقال :خصلتان لا يسود صاحبهما :الاستطالة في الأقرباء ،والبطر في الأغنياء.
قال المرّار بن سعيد :

إذا شئت يوماً أن تسود قبـيلة فبا لحلم سد لا بالسّفاهة والشّتم

وقال بعض أهل العلم :لا سؤدد إلاّ بالبخت والجدّ والسعّد ،وذلك أنا قد رأيناهم يقولون :الأفعال المحمودة والأخلاق الجميلة توجب السؤدد والرياسة ،والأفعال المذمومة والأخلاق الدنّية تمنع من السّؤود ،ثم رأينا قوماً سادوا بأخلاق لا تحمد ،وبأفعال لا ترضى ،فمن ذلك :أن الحمق يمنع من السّؤدد ،وقد ساد عيينة ابن حصن ،وكان محمّقاً ،وساد أبو سفيان وكان بخيلا ،والبخيل يمنع من السّؤدد ،وساد عامر بن الطّفيل ،وكان عاهراً ،ولا سؤدد مع العهر ،وساد أبو جهل وما طرّ شاربه ،ودخل دار النّدوة وما استوت لحيته ،والحداثة تمنع من السؤدد ،وساد شبل بن معبد البجلى ،وما بالبصرة بجلىّ غيره ، وهم يقولون :لا سؤود إلاّ بالعدد ،ولما قال قومٌ للأحنف :لولا أنا سوّدناك ما سدت.قال فمن سودّ شبل بن معبد البجلى ،وليس بالبصرة بجليّان.
وساد عتبة بن ربيعة وكان فقيراً إلى أن مات ،حتى قيل :إنه لم يشبع قطّ ،ولم يفضل عن قوت أهله قوت ضيفٍ واحد ،وهم يقولون إنّ الفقر يمنع من السؤدد.
هذا كلّه يدلّك على أن السّؤدد بالبخت.
وقال غيره :أسباب السّؤدد سبعة :العقل والعلم والصيانة وأداء الأمانة والحذق والحلم والسخاء.
أبو سلمى :

لا بدّ للسّؤدد من أرماح ومن سفيهٍ دائم النّبـاح
ومن عديد يتّقى بالرّاح

أي لا يتقى بالدّعاء.
وقال غيلان بن سلمة الثقفيّ :

لا بدّ للسّؤدد من عديد

قال النابغة الذبيانيّ :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتّقى صولة المستنفر الحامـي

قال الحسن بن سهل يوماً : الشّرف في السّرف ،فقيل له : لا خير في السّرف ،فقال : لا سرف في الخير ، فردّ اللّفظة واستوفى المعنى.
قال إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي : عجبت لمن لا يكتب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة.
ابن بشّار :

وإذا جزيت أخاً بذنب كان منه لم تسـده
ولقلّما طلب الفتـى لأخيه عيبا لم يجده

الهذلي :

وإنّ سيادة الأقوام فاعلـم لها صعداء مطلبها طويل

لما توفى عبد الله بن طاهر ،صلىّ عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه ،وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقبةً من غلمانه ،وفعل ذلك إخوته ،ودفع كل نجلٍ منهم إلى كلّ غلام خمس مائة درهم ،وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً ذكراً ،فقال أبو العميثل الشاعر لمصعب بن عبد الله وكان يختص بطاهر وينادمه :ألا أدلّك على شئ تفعله فتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر ?قال : بلى.فأنشده هذه الأبيات وقال :اكتب بها إلى الأمير ،وهي :

يا من يحاول أن تكـون خـلالـه كخلال عبد الله أنصت واسـمـع
فلأقصدنّك بالـنـصـيحة والـذّي حجّ الحجيج إليه فاقـبـل أو دع
إن كنت تطمع أن تحلّ مـحـلّـه في المجد والشّرف الأشم الأرفع
فاصدق وعفّ وبرّ وارفق واتـئّد واحلم ودار وكاف واصبر واشجع
والطف ولن وتأنّ وانصر واحتمل واحزم وجدّ وحام واحمل وادفع
هذا الطريق إلى المكارم مهيعـاً فاسلك فقد أبصرت قصد المهيع

فاستحسن طاهرٌ الأبيات ،وقال :والله لقد أفدتني ما يجب به شكرك ،فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين ،وأكسبه ألف ألف درهم.

وقال آخر :

إذ هلكت أسد العرين ولـم يكـن لها خلفٌ في الغيل ساد الثعالـب
كذا القمر السّاري إذا غاب لم يكن له خلفٌ في الجو إلاّ الكواكـب

قال بعض الحكماء :من ابتغى المكارم فليجتنب المحارم.

باب حمد الحلم وذمّ السّفه

قال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم لأشجّ عبد لقيس : " يا أشج عبد لقيس أو يا منذر!فيك خصلتان يرضاهما الله ورسوله :الحلم والأناة " فقال :يا رسول الله!أشئ جبلني الله أم شئ اخترعته من قبل نفسي ?.
فقال : " بل شئ جبلك الله عليه " .فقال :الحمد لله الذي جبلني على خلق يرضاه الله ورسوله.
قال الشّعبي :زين العلم حلم أهله.

قال رجاء بن أبي سلمة :الحلم أرفع من العقل ،لأن الله تسمّى به.
قال معاوية :إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أرجح من حلمي.
وقال معاوية لعمرو بن العاص :من أبلغ الناس ?قال :من ترك الفضول ،واقتصر على الإيجاز.
قال :فمن أصبر الناس ?قال :من بذل دنياه في صلاح دينه قال :فمن أشجع الناس ?قال :من ردّ جهله بحلمه.
قال محمد بن أبي شحاذ :

إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل — **علـيك بـروقٌ جـمةٌ ورواعـد**

سئل الأحنف عن الحلم ،فقال :هو الذلّ والصبّر.
كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه ،قال :إني لأجد ما تجدون ،ولكنّي صبور.
وقال أيضاً :وجدت الحلم أنصر لي من الرجال.
قال عمر بن عبد العزيز :ما قرن شئ إلى شئ أحسن من حلم إلى علم ،ومن عفو إلى قدرة.
وقد روينا هذا الكلام لمن هو أسنّ من عمر وأكبر.
وقال بلعاء بن قيس :

أبيت لنفسي الخسف لما رضوا به — **وأوليتهم سمعي وما كنت مفحما**

وقال شريح :الحلم كنز موقر ،والحليم مطية الجهول.
قالوا :بالعقل استخرج غور الحكمة ،وبالحلم استخرج غور العقل.
قال أبو العتاهية :

فياربّ هب لي منك حلماً فـإنـنـي — **أرى الحلم لم يندم عـلـيه حـلـيم**

ويارب هب لي منك عزماً على التقي — **أقيم به مـا عـشـت حـيث أقـيم**

ألا إنّ تقوى الـلـه أكـرم نـسـبةٍ — **تسامى بها عند الـفـخـار كـريم**

قال الخريمي :

أرى الحلم في بعض المواطن ذلّةً — **وفي بعضها عزّاً يسودّ فاعـلـه**

قال عمارة بن عقيل :

إذا أغضبت ذا كرمٍ تخطّى — **إليك ببعض أخلاق اللئيم**

وإن الله ذو حلمٍ ولـكـن — **بقدر الحلم منتصف الحليم**

وقال آخر :

بني هلال ألا تنهوا سفيهكم — **إنّ السّفيه إذا لم ينه مأمور**

وقال حسان بن ثابت :

رب حلمٍ أضاعه عدم المال — **وجهلٍ غطّى عليه النعـيم**

وقال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جـاهـل

وقال صالح بن جناح ،ويروي لغيره :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلـم إنـنـي إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج

وما كنت أرضى الجهل خدناً ولا أخاً ولكنني أرضى بـه حـين أحـرج

فإن قال بعض الناس فيّ سـمـاجةٌ فقد صدقوا والذّلّ بالحـرّ أسـمـج

وقال أبو يعقوب الخريمي :

وإنك تلقى صاحب الجهل نادمـاً عليه ولا يأسى على الحلم صاحبه

وقال حبيب الطائي :

إذا جاريت في خلق دنـيّا فأنت ومن تجاريه سـواء

إذا ما رأس أهل البيت وليّ بدا لهم من الناس الجفـاء

ولآخر :

أبا حسن ما أقبح الجهل بالفـتـى وللحلم أحيانا من الجهـل أقـبـح

إذا كان حلم المرء عـون عـدوّه عليه فإن الجهل أعـفـى وأروح

وفي العفو ضعفٌ والعقوبة قـوةٌ إذا كنت تخشى كيد من عنه تصفح

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحدٌ علـينـا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال آخر :

إذا نهى السفيه جرى إلـيه وخالف والسفيه إلى خلاف

كان عبد الله بن عمر إذا سافر معه بسيفه ،فقيل له في ذلك ،فقال :إن جاءنا سفيهٌ ردّ عنا سفهه ،لأنا لا ندري ما نقابل به السّفهاء.

وقال ابن المعتز :

ولكلّ عقلٍ غفوةٌ أو سهـوةٌ والحرّ محتاجٌ إلى التّنبـيه

والعاقل النّحرير محتاجٌ إلى أن يستعين بجاهل معتـوه

وقال آخر :

ولربما اعتضد الحليم بجاهـلٍ لا خير في اليمنى بغير يسارٍ

وقال آخر :

وليس الحليم الذي كلّ سـاعةٍ به غضبٌ في لأنفه بتوقّـد
إذا أمن الجهّال جهلك لم تزل عليك بوادي جهلهم تتـورّد
وإن عقاب الجاهلين لذاهـب بحلمك فانظر أي هاتين تعمد

كان يقال :ليس الحليم من قذف فكظم ، ولكن من صدم فصبر.

قال البحتري :

أرى الحلم بؤساً في المعيشة للفتى ولا عيش إلاّ ما حباك به الجهل

وقال آخر :

قل ما بدا لك من زورٍ ومن كذبٍ حلمي أصمُّ وأذني غير صمّـاء

وقال آخر :

ولا خير في عرض امرئٍ لا يصونه ولاَ خير في حلم امرئٍ ذلَّ جانبـه

وقال مروان بن الحكم :

إذا أمن الجهال جهـلـك مـرةً فعرضك للجهال غنم من الغنـم
وإن أنت باذيت السفـيه إذا بـذا فأنت سفيه مثله غير ذي حـلـم
فلا تقرضن عرض السفيه وداره بحلم فإن أعيا عليك فبالـصـرم
ومن عاتب الجهال لم يشف غيظه ولكنه يزداد سقماً إلـى سـقـم
فدع عنك في كل الأمور عتابـه فإنك إن عاتبته صار كالخصـم
وغمَّ عليه الحلم والجهل والـقـه بمنزلةٍ بين العداوة والـسـلـم
فيرجوك أحياناً ويأخذ فيما بين ذلك

ويخشاك تارةً بالحزم
فإن لم تجد بداً من الجهل فاستعن عليه بجهالٍ فذاك من العزم

وقال أبو دهبل الجمحي :

وكانوا أناساً كنت آمن غيبهم فلم ينههم حلم ولم يتحرجوا

قال منصور الفقيه :

إذا رشوةٌ من باب قومٍ تقحمت لتدخل فيه والأمانة فيه
سعت هرباً منه وولت كأنها حليمٌ تنحى عن جواب سفيه

وقال آخر :

العفو عند لبيب القوم مكرمةٌ وبعضه لسفيه الرأي تدريب

باب مدح الجود والكرم وذم البخل واللؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إياكم والشح ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وبالفجور ففجروا " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لولا ثلاث صلح الناس :شحٌ مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه " .

قال الزبير بن العوام في خطبة خطبها بالبصرة : أيها الناس إن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يوماً بعمامتي من ورائي فقال : " يا زبير إن الله يقول : أنفق أنفق عليك ، ولا توكئ فيوكأ عليك.

أوسع يوسع عليك ، ولا تضيق فيضيق عليك. واعلم أن الله يحبّ الإنفاق ولا يحب الإقتار ، ويحب السماحة ولو على فلق تمرة ، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب ، واعلم يا زبير أن لله كنوز أموال سوى الأرزاق التي قسمها بين العباد ، محتبسة عنده لا يعطى أحداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله ، فاسألوا الله من فضله " .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : البخل جلباب المسكنة ، وربما دخل السخي بسخائه الجنة.

قال : ومن البخل ترك حقّ قد وجب لخوف شيء لم يقع.

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أقيلوا الكرام عثراتهم " ويروى. " أقيلوا ذوى الهبات زلاتهم " .

وروي عنه عليه السلام أنه قال : " المؤمن كريم ، والفاجر لئيم

" .
قال جعفر بن محمد : قال الله عز وجل : أنا جواد كريمٌ ، لا يجاورني في جنتي لئيم.
قيل للأحنف : ما الجود ؟ قال : بذل القرى ، وكف الأذى. قيل : فما البخل ؟ قال طلب اليسير ومنع الحقير. وقد روى هذا من كلام أكثم بن صيفي والله أعلم.
سئل الخليل بن أحمد عن الجود ، فقال. بذل الموجود.
قال بعض الحكماء : من أيقن بالخلف جاد بالعطية.
قال أحمد بن أبي دواد : من نال دنيا فلم يرفع وليا ،ولا وضع عدوا فليس بكريم.
قال شعيب بن حرب :ليس السخى من أخذ المال من غير حله فبذره ، وإنما السخيّ من عرض عليه ذلك المال فتركه ، أوجمع من حق ووضع في حق.
كان زياد بن أبيه يقول :من منع ماله سبل الحمد أورثه من لا يحمده.
قال إبراهيم بن أبي عبلة : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز ،يقول : أف للبخل والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوبا طريفا ما لبسته.
قال معاوية بن أبي سفيان لأبي مسلم الخولاني : إنكم معشر العباد فيكم النكاح والحدة والسماح. قال : أما النكاح فإنا لا نعدل عن أهلينا ، وأما الحدة فإن قلوبنا ملئت خيراً فلا موضع فيها للشر ، وأما السماح فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى.
قال سفيان بن عيينة : ما استقصى كريمٌ قط ، ألم تسمع إلى قوله الله تعالى : " عرف بعضه وأعرض عن بعض " .
قال أسماء بن خارجة : لو لم يدخل على البخلاء في بخلهم إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان ذلك عظيماً.
قال زهير :

ومن يك ذا فضلٍ فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

وقال محمد بن يسير :

كم مانع نفسه لذاتها حـذراً ... للفقر ليس له من ماله ذخر
إن كان إمساكه للفقر يحذره ... فقد تعجل فقراً قبل يفتقـر

وقال آخر :

ما أعلم الناس أن الجود مدفعةٌ — للبخل لكنه يأتي على النشب

وقال ابن مطير الأسدي :

وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى — ولكنه خيم الـرجـال وخـيرهـا

وقال آخر :

إني امرؤ أجزى الكريم بـوده — وأصد عن وصل اللئيم وأقطع

وقال منصور الفقيه :

جهلوا القياس للطفه فتوهمـوا — أن البخيل وكلـبـه مـثـلان

والكلب يحفظ أهله ويقـيهـم — ويكف طارقهم عن العـدوان

والنذل يوحش أهله ويجيعهـم — ويحض ناصرهم على الحذلان

فها ومن جعل الكلاب أعـزة — والـبـاخـلـين أذلةً ضـدان

قال أردشير : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبر نفوساً ، واللئام أصبر أجساماً.

قال الشاعر :

إن ذا اللؤم إذا أكرمـتـه — حسب الإكرام حقا لزمك

وأخا الفضل إذا أكرمتـه — لم يصغرك ولكن عظمك

قال أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته — وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقال آخر :

أراك تؤمل حسن الـثـنـا — ء ولم يرزق الله ذاك البخيلا

وقال آخر :

تريدين أن أرضى وأنـت بـخـيلة — ومن ذا الذي يرضي الأخلاء بالبخل

وقال آخر :

ندبتكم لنفعي أن قدرتـم — فلم أر فيكم حراً كريما

ومالي عندكم ذنب أراه — سوى أني عرفتكم قديما

وقال زيد بن عمرو النخعي :

لقد كذب المعاشر حين قالوا علـيٌ والمخـارق سـيدان
هما حجران من جبل صلودٍ إذا قيل ارشحا لا يرشحان
فلولا البخل إن البخل عـارٌ أبا عمرو إذا أعجبتمانـي

وقال ابن أبي فنن :

وإن أحق الناس باللوم شـاعـرٌ يلوم على البخل الرجال و يبخل

وقال الحطيئة :

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا فسيان لاذم عليك ولا حمـد

وقال منصور الفقيه :

زاد البخيل إذا مضى لسبيلـه ذم العدا وقطـيعة الـوراث
وأخو السماحة فحظه من أهله ومن الغريب مدائحٌ ومـراث

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أما رغيف بني السلـي ل فمن حمامات الحرم
ما إن يحس ولا يمـس ولا يذاق ولا يشـــم
فإذا نزلـت بـدارهـم فانزل بشدقٍ ملتـثـم
حتى تعيش مسـلَّـمـاً يا من يعيش بغير فـم

ولمنصور الفقيه أيضاً :

إذا تغدوا ربطوا قطهـم بخلاً بما تطرحه المائدة
ما عرضت قطٌّ لهم تخمةً ولا تشكوا معدة فاسـدة

قال الحسن بن هانئ :

وباخل جـئتـه فـقـدّم كسرة خبز وعينه عبرى
فقال ما تشتهي فقلت لـه قطعة جبنٍ وكسرةً أخرى

وله أيضاً :

على خبز إسماعيل واقية البـخـل فقد حل في دار الأمان من الأكـل
وما خبزه إلا كـآوى يرى ابـنـه ولم ير آوى في الحزون ولا السهل
وما خبزه إلا كعنـقـاء تصور في بسط الملوك

مـغـربٍ وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير أن يروا سوى صورةٍ ما إن تمر ولا تحلى
وما خبـزه إلا كـلـيب بـن وائلٍ ليالى يحمى عزه منبت الـبـقـل
وإذ هو لا يستب خصمان عـنـده ولا الصوت مرفوعٌ بجدٍّ ولا هزل
فإن خبز إسماعيل حل بـه الـذي أصاب كليباً لم يكن ذاك عن بـذل
ولكن قضاءٌ ليس يسطـاع دفـعـه بحيلة ذي ذهنٍ ولا فكر ذي عقـل

قلت : أراد بقوله : وإذ هو لا يستب خصمان عنده قول مهلهل :

أودى الخيار من المعاشر كلهم واستب بعدك يا كليب المجلس
وتنازعوا في أمر كل عظيمةٍ لو قد تكون شهدتهم لم ينبسوا

وكليب هذا هو الذي أراده النابغة الجعدي بقوله :

كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

قال عُبيد الله بن عكراش ، ويروى لأبي يعقوب الخريمي :

وإني لأرثي للكـريم إذا غـدا على طمع عند اللئيم يطالـبـه
وأرثي له من وقفةٍ عند بـابـه كمرثيتي للطرف والعلج راكبه

وقال جرير :

إن الكرية ينصر الكرم ابنها وابن اللئيمة للئام نصـور

وقال آخر :

إن من عضت الكلاب عصاه ثم أثرى فمعجزٌ أن يجـودا

وقال منصور الفقيه :

قل للكرام اعرفوا حقَّ للئام لـكـم إن اللئام لهم عـنـد الـكـرام يد
لولا اللئام لما عـدوا الـكـرام ولا بانوا بفضلٍ إذا ما حصل الـعـدد
لكنهم جنحوا للنقص وزاد غيرهم فضلاً بما

فانتـقـصـوا اعتـقـدوا
جادوا فسادوا وضنَّ الآخرون فما يغدو على والد من لـؤمـه ولـد
قد ساء ظني بما قد كنت أخـمـده لما رأيت جميع الناس قد فـسـدوا
تدارسوا البخل حتى دقَّ مذهبـهـم فيه ودانوا بإخلاف الـذي وعـدوا
فاستعقلوا كل من أصغى لبخلـهـم واستجهلوا كل من واسى بما يجـد
فصار للبخل حق الجود بـينـهـم وألزموا الجود عار البخل لا رشدوا

وقال آخر :

فإن سمعت بهلكٍ للبخيل فقـل بعداً وسحقاً له من هالكٍ مودى

قال محمود الوراق :

إذا أعطاك قترّ حين يعطـى وإن لم يعط قال أبي القضاء
يبخلّ ربّه سفهاً وظـلـمـا ويعذر نفسه فـيمـا يشـاء
تنقّل عن فعال الخير جهـلا مخافة أن يضرّ به العنـاء

وقال الحسن بن هاني :

رأيت الفضل متكـئاً يناعي الخبر والسّمكا
فقطّب حين أبصرني ونكس رأسه وبكـى
فلما أن حلفـت لـه بأني صائمٌ ضحكـا

ولمنصور الفقيه أيضاً

أتيت عمراً سحـراً فقال : إبّي صـائم
فقلت : إني قاعـدٌ فقال : إنـي قـائم
فقلت : آتيك غـداً فقال : صومي دائم

قال جحظة :

دخلت على باخل بالطـعـام فمات من الخوف لمّا دخلت
فقلت له : لا يرعك الدخول فما جئت بيتك حتى أكلـت

وقال أبو نواس :

أبو نوح دخلت عليه فغدّاني برائحة الطـعـام

يومـاً

فكان كمن سقى الظمآن آلاً	وكنت كمن تغدى في المنام

وقال منصور الفقيه :

إن لم يصبك من الكـر	يم الحرّ وابله فطلّـلـه
إن الكريم لـه عـلـى	معرفة نفـسٌ تـدلّـه
يبدي مكارمـه كـمـا	يبدي فرند السّيف صقله

قال آخر :

وإن جمع الآفات فالبخل شرّهـا	وشرّ من البخل المواعيد والمطل

وقال منصور الفقيه :

إذا كان في بخله محـكـمـاً	وحلّ من المجد أعلى الدّرج
وجاءك يخـطـب زنـجـيةً	مشوّهة الخلق فيهـا هـوج
فلا تحفلـنّ بـه خـاطـبـاً	ولا تفرحنّ ولا تـبـتـهـج
وإن كان سمحاً جميل الفعال	كريماً جواداً فإنّ الـحـرج
وإن القطيعة في صـرفـه	ولو جاء يخطب إحدى المهج
بغـير صـداق لإعـسـاره	وما عسر منتظر للـفـرج

قال حمّاد عجرد ، وتروى للعتّابي :

إن الكريم ليخفي عنك عسرتـه	حتى تراه غنيّاً وهو مجـهـود
وللبخيل على اموالـه عـلـلٌ	رزق العيون عليها أوجهٌ سود
إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم	تقدر على سعةٍ لم يظهر الجود
أورق بخير ترجّى للنوال فـمـا	ترجى الثمار إذا لم يورق العود
بثّ النوال ولا تمنعك قـلـتـه	فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمـود

وقال منصور الفقيه :

ما بالبخيل انتـفـاعٌ **ولكلب ينفع اهلـه**
فنزّه الكلب عـن أن **ترى أخا الكلب مثله**

أخبرنا عبد الوارث ،قال :حدثنا أبو عيسى ،قال :انشدني ابن المعلم لعلى بن الجهم :

وإذا الكريم أتيتـه بـخـديعةٍ **ألفيته فيما تـروم يسـارع**
ليس الكريم كما ظننت بجاهلٍ **إن الكريم لفضله يتـخـادع**

قال آخر :

لا تطلبن إلـى لـئيم حـاجةً **واقعد فإنّك قائماً كالقـاعـد**
يا خادع البخلاء عن أموالهم **هيهات تضرب في حديدٍبارد**

قال آخر :

طعامه النجم لمن رامـه **وخبره أبعد من أمـسـه**
كأنّه في جوف مـرآتـه **يرى ولا يطمع في لمسه**

قال آخر :

إن كنت تطمع في كلامه **فارفع يمينك عن طعامه**
سيّان كـسـر رغـيفـه **أو كسر عظمٍ من عظامه**

وقال دعبل بن على الخزاعي :

لئن كنت لا تولى يداً دون إمرةٍ **فلست بمولٍ نائلاً آخر الدّهر**
وأىّ جواد لم يجد في مـلـمةٍ **وأي بخيل لم ينل ساعة الوفر**

وقال منصور الفقيه :

راجى البخيل وضيعٌ **كما البخيل وضيع**
وما يقول سـوى ذا **في ذين إلاّ رقـيـع**

للعرزمي ويروى لأبي الأسود الدؤلي :

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً **فلقاؤه يكفيك والتسـلـيم**
وإذا طلبت إلى لئيم حاجة **فألحّ في رفق وأنت مديم**

وقال آخر :

إذا سست قوماً فاجعل الودّ بينهم **وبينك تأمن كلّ ما تتـخـوّف**

فإن خفت من أهواء قومٍ تشتّتـاً فالبالجود فا جمع بينهم يتألّفـوا
فإن كشفت عنك الملمات عورةً كفاك غطاء الجود ما يتكشف

قال ابن شهاب :الكريم لا تبخله التجارب.
ويروى عنه أنه قال :إن الكريم لا تحكمه التجارب.
وسئل الحسن بن علي رضى الله عنهما عن البخل ،فقال :هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلفاً ،وما أمسكه شرفا.
قال طاووس :البخل أن يبخل الإنسان بما في يديه ،والشّح أن يشح بما في أيدي الناس ،ويحب أن يكون له ما في أيديهم بالحلّ والحرام ولا يقنع .
وقال أبو العتاهية :

وإن امرءا لم يربح الناس نفعه ولم يأمنوا منه الأذى للـئـيم
وإن امرءًا لم يجعل البّر كنزه وإن كانت الدنيا له لـعـديم

باب المروءة والفتوة

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " حسب المؤمن دينه ، وكرمه تقواه ، ومروءته عقله " .
ويروى نحو هذا من كلام عمر أيضاً.
وروى عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ، أنه قال لرجل من ثقيف : " ما المروءة قال الصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة ، وسخاء النفس ، وصلة الرحم. فقال عليه السلام : " هكذا هي عندنا في حكمة آل داود " .
تذاكروا المروءة عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فأكثروا فيها ، فقال : " أما مروءتنا فأن نعفو عمن ظلمنا ، ونعطى من حرمنا ، ونصل من قطعنا " .
قال منصورالفقيه :

أعلن وهبٌ كـرمـه في وصله من صرمه
وعفوه عن كل من أسخطه أو ظلمه
وبرّه بنـفـسـه وماله من حرمه
فما يراه معـظـمٌ للحق إلاّ أعظمه
أبقى عليه اللّه ما أبقاه فينا نعـمـه
وزاد فيها عـنـده وحاطه وسلمـه

من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رفع إلى عمر بن الخطاب رجل في جرم ، فأراد أن يعاقبه ، فأخبر أن له مروءة ، فقال : استوهبوه من صاحبه.
سئل عبد الله بن عمر ، عن المروءة والكرم والنجدة. فقال : أما المروءة : فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعته ، وحسن المنازعة ، وإفشاء السلام ، وأما الكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال ، والإطعام في المحل. وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر في المواطن ،

والإقدام على الكريهة.
وفي رواية أخرى ، أن معاوية قال في مجلسه يوماً لمن حضره : من يخبرني عن المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد اللّه بن هاشم بن عتبة ، وكان بعده عفوه عنه يحضر مجلسه : قال : يا أمير المؤمنين! أما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح في المال ، والمحاماة عن الجار. وأما النجدة فالجرأة على الإقدام ، والصبر عند ازورار الأقدام.
قال طلحة بن عبيد اللّه : جلوس الرجل ببابه من المروءة ، وليس من المروءة حمل الكيس في الكم.
سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقه في الدين ، وبرّ الوالدين ، والصبر على النوائب.
ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءة لكذوب ، ولا أخ لملول ، ولا سؤدد لسيئ الخلق.
سئل ابن شهاب الزّهري عن المروءة ، فقال : اجتناب الريب ، وإصلاح المال ، والقيام بحوائج الأهل.
سئل إباس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تعرف فالتقوى ، وأما حيث لا تعرف فاللّباس.
وقال الزهري أيضاً : الفصاحة من المروءة.
قال إبراهيم النخعى : ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق.
قال غيره : من كما المروءة أن تصون عرضك ، وتكرم إخوانك ، وتقيل في منزلك.
قال منصور الفقيه :

من فارق الصبرّ والمروءة أمكن من نفسه عدوّه

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة. فالمروءة في السفر : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط اللّه. المروءة في الحضر : إدمان الاختلاف إلي المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في اللّه عزّ وجلّ.
وفي رواية أخرى عن ربيعة أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق. وأما التي في الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج.
قيل لبعض الحكماء : من يجب لذى المروءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قدر ما يرى من نفاق المروءة وكسادها.
كان يقال : صن عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، وبجدتك بترك الحياء ، وجهدك بالإجمال في الطب.
أخبرنا عيسى بن سعيد ، حدثنا مقسم ، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان ،حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد اللّه بن العباس بن عثمان بن شافع بن السّائب ، عن عبد يزيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثني عمي عن إبراهيم بن محمد بن العباس ، قال : سمعت سفيان بن عيينة ، وقد سئل عن المروءة ماهي ؟ فقال : الأنصاف من نفسك ، والتفضل على غيرك ، ألم تسمع قول اللّه تعالى " إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان " لاتتمّ المروءة إلاّ بهما ، العدل هو الإنصاف ، والإحسان

التفضل.
روى عن الفضيل بن عياض رحمة الله ، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال : الكامل من برّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه ، وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأنفق من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته.
قال الشاعر :

إذا الفتى جمع المروءة والتقـى — وحوى مع الأدب الحياء فقد كمل

قال رجل من بني قريع :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً — فمطلبها كهلا علـيه شـديد

قال جعفر بن محمد : لا هين لمن لا مروءة له.
قال أحمد بن العدل : زعموا أن الأحنف بن قيس لم يسمع له شعرٌ غير هذين البيتين ، وهما :

فلو مدّ سروى بمال كثير — لجدت وكنت له بـاذلا
فإنّ المروءة لا تستطاع — إذا لم يكن مالها فاضلا

وقال آخر :

رزفت لباً ولم أرزق مروءته — وما المروءة إلا كثرة المال
إذا أردت مساماة تقعـدّنـي — عما ينوّه باسمى رفة الحال

وقال منصور الفقيه :

كلّ من فارق المروءة عاشا — ونمـا وفـره وزاد رياشـا
وأخو الفضل والمروءة والدّي — ن مقلٌ أموره تـتـلاشـى

وقال سفيان الثورى : من لم يحسن يتقرّا.
ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه اللّه ، فقال : ليست بالفسق ولا الفجور ،ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد : طعام موضوع ، وحجابٌ مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف.
قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفاً ، وأنشد لا بن هرمة :

ولرب ليلة لذة قد نلتهـا — وحرامها بحلالها مدفوع

وقال صريع الغواني :

وما ذمى الأيام أن ليست حامداً — لعهد ليلليّ التي سلفت قبـل
ألا رب يومٍ صادق العيش نلته — بها وندامای العفافة والبـذل

وقال منصور الفقيه :

فضل التقى أفضل من — فضل اللّسان والحسب

إذا هما لم يجـمـعـا إلى العفـاف والأدب

وقال آخر :

وليس فتى مـن راح واغـتـدى لشرب صبوح أو لشرب غبـوق
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضرّ عدوّ أو لـنـفـع صـديق

وقال جحظة :

ألا يأهل بـغـداد جـمـيعـاً عصيتم في المروءة من براكم
تذمون الزمان بـغـير جـرمٍ وما بزمانكم عيبٌ سـواكـم

باب امتحان أخلاق الرّجال

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " الأرواح أجنادٌ مجنده ، فما تعارف منها ائتلف : وما تناكر منها اختلف " .
أخذه بعض الشعراء فقال :

إن القلوب لأجـنـاد مـجـنـدةٌ للّه في الأرض بالأهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتـلـف وما تناكر منها فهو مختـلـف

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم : " الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة " .
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " إن الأمير إذا تجسس على الناس أفسدهم " .
قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم : " وجدت الناس اخبر تقله " . وقد روى هذا مرفوعاً عن أبي الدراء.
وفي خبر آخر : " إن الناس سواسيةٌ كأسنان المشط " .
كان يقال : لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا تساووا هلكوا قال الشاعر :

سواءٌ كأسنان الحمار فلا تـرى لذي شيبة منهم على ناشئ فضلاً

قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه :الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم قال على بن أبي طالب رضي اللّه عنه : خالط المؤمن بقلبك ، وخالط الفاجر بخلقك.
كان يقال : يمتحن الرجل في ثلاثة أشياء : عند هواه إذا هوى ، وعند غضبه إذا غضب ، وعند طمعه إذا طمع.
قال أبو عمرو بن العلاء : إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده.
قال سفيان الثورى : إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فاجتنبه.
قال الفضل بن عباس بن عتبه بن أبي لهب

إذا أردت وداد امـرئٍ فسل كيف كان لإخوانه
فإمّا رضيت فأحببـتـه وإما ترغبت عن ثيانه

قال الأحنف بن قيس : ما كشفت أحداً قط إلاّ وجدته دون ما كنت أظن قال تأبط شرّاً :

لتقرعنّ على السّنّ مـن نـدم إذا تذكرت يوماً بعض أخلاق

وقال آخر :

إنّ المودة بـالـتـجـارب قضتّ من النّاس المـآرب
لم تترّك لـي صـاحـبـاً أصبو إلـيه ولا أعـاتـب
متـفـرداً بـتـوحّـدي دون الأباعـد والأقـارب
ارغب إلـى الـلّـه الـذي يعطى الجزيل من المذاهب
باللّه تـتـسـع الـفـجـا ج إذا تضايقت المذاهـب

كان سفيان الثوري يتمثل بهذه الأبيات :

ابل الرجال إذا أردت إخاءهـم وتوسمنّ أمورهم وتـفـقـد
وإذا ظفرت بذى الأمانة والتقى فبه اليدين قرير عين فاشـدد
ودع التذلل والتخشّع تبتغـي قرب الذّي إن تدن منه يبعد

وقال آخر :

أهلكني بـزيادٍ ثـقـتـي وظنونٌ بزيادٍ حـسـنـه
ليس يستوجب شكرا رجـلٌ نلت خيراً منه من قبل سنه

وقال يزيد بن محمد المهلبي :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبـه

وقال آخر :

إن الرجال إذا اختبرت طباعهم ألفيهم شتى على الأخـبـار
لا تعجلنّ إلى شريعة مـوردٍ حتى تبين صفحة الإصـدار

وقال آخر :

اترك مكاشفة الصـديق إذا غطّى على هفواته سـتـر
وتجاف عنه بلا مصـارمةٍ فلنعم صائن عرضك الصبر

وقال آخر :

لا تحمدن امرءاً حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب

وقال محمود الوراق :

لا يغلبنك غالب الـحـرص … **واعلم بأن النّـاس نـقـص**
والبس أخاك على تصنعـه … **فلرب مفتضحٍ على النّـص**
ما كدت أفحص عن أخي ثقة … **إلا ذممت عواقب الفحـص**

وقال آخر :

إذا أنكرت أخلاق الصـديق … **فلست من التحيز في مضيق**
طريقاً كنت تسلكه سلـيمـاً … **فأسبع فاجتنبه إلى طـريق**

وقال آخر :

لا تحمدن امرءاً حتى تجربه … **فربّما لم يوافق خبره خبره**

وقال آخر :

إذا أنت لم تستقبل الأمر لم تجد … **لكفّك في إدباره متعـلّـقـا**
إذا أنت لم تترك أخـاك وزلةً … **إذا زلها أوشكتما أن تفرّقـا**

قال آخر :

قد كنت أحمد أمرى فيك مـبـتـدئاً … **فقد ذممت الذي أحمدت في صدري**
فاذهب فأنت امـرؤٌ لا شـك أوّلـه … **حلوٌ وآخره مرٌّ علـى الـخـبـر**

قال معاذ بن جبل : إذا أحببت أخاً في اللّه ، فلا تماره ولا تشاره ولا تسل عنه أحداً ، فلربما أخبرك بما ليس فيه ، فحال بينك وبينه.

قال الشاعر :

أردت لكيمـا لا تـرى لـي زّلةٌ … **ومن ذا الذي يعطي الكمال فيكمل**

أجمعوا على القول بأن اللّه تعالى تفرّد بالكمال ، ولم يبرئ أحداً من النقصان.

قال أبو بكر بن دريد :

إذا تصفحت أمور النّـاس لـم … **تلف امرءا حاز الكمال فاكتفى**
من لك بالمهذب النّـدب الـذي … **لا يجد العيب إليه مخـتـطـا**
كم من أخ مسخوطةٍ أخلاقـه … **أصفيته الودّ لخلق مرتضـى**

وقال النابغة الذبياني :

ولسـت بـمـسـتـبـقٍ أخـاً لا تـلـمّـه على شعثٍ أيّ الرجال المهذّبوقال ابن وكيع :

من لـم يكـن مـؤاخـيـاً إلاّ الــذّي لا عيب فـيه عـاش فـردا فـي الـورى

وقال آخر :

ما بالمنازل من ضيقٍ ومن ضجر بل الطّبائع منها الضّيق والضّجر

وقال آخر :

كل خليل كنت خاللتـه لا ترك اللّه له واضحه
كلهم أروع من ثعلـب ما أشبه الليلة بالبارحه

وقال آخر :

كل امرئ صائرٌ يوماً لشيمته وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين

وقال عباس بن الأحنف :

وما مرّ يومٌ أرتجى فيه راحةً فأخبره إلا بكيت على أمس

وقال آخر :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأبى دونه الخلق
ولا يواتيك فيما ناب من حدث إلا أخو ثقةٍ فانظر بمن تثق

وقال زهير بن أبي سلمى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقال نصيب الأصفر ، مولى المهدى :

إن البقاع إذا استسر بها الندى أنس النبات بها وطاب المربع
وإذا جهلت من امرئ أخلاقه وقديمه فانظر إلى ما يصنع

وقال محمود الوراق :

ذممتك أولا حتّـى إذا مـا بلوت سواك عاد اللوم حمداً
ولم أحمدك من خيرٍ ولكـن رأيت سواك شرّاً منك جداً
فعدت إليك محتملا خلـيلا لأني لم أجد من ذاك بـدّا

كمجهودٍ تحامى أكلِ ميتٍ فلما اضطرّ عاد إليه شدّا

وقال أيضاً :

لم أبك من خبث خلّ إلا بكيت عـلـيه
ولم أمل عن صديقٍ للزّهد فيمـا لـديه
إلى سواه فأبـلـو إلاّ رجعـت إلـيه
كلّ امرئ مستـبـد بحفظ ما فـي يديه

ذكرا بن مقسم ، حدثنا محمد بن يحيى النديم ، قال : حدثنا المبرد ، قال : كان بين عمارة بن حمزة وبين إسماعيل بن عليّ مودة ، ثم تنافرا. فكتب إليه عمارة :

سأترك ما بيني وبينك سـاكـنـا فإن عدت عدنا والوصال سـلـيم
ولو قد خبرت الناس حق اختبارهم رجعت إلى وصلى وأنت ذمـيم

أخبرنا عبد الوراث ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : أنشدنا عيسى الأعمى ، قال أنشدنا ابن المعلم لعلى بن الجهم :

الناس إخوانـك حـتـى إذا عرضت للخوان بالـدّرهـم
ساءك ما سرك من خلقهـم وصرت وسط الحلق كالعلقم

وقال آخر :

عتبت على سلم فلما فقـدتـه وجربت أقواماً بكيت على سلم

وقال آخر :

لم أبك من زمن لم أرض خلته إلا بكيت عليه حين ينصـرم

وقال آخر :

متى تحسب صديقك لم يقلوا وإن تخبر يقلّوا في الحساب

وقال آخر :

ونعتب أحياناً عليه ولو مضـى لكنّا على الباقي من الناس أعتبا

وقال آخر :

سبكناه ونحسبـه لـجـيـنـاً فأبدى الكير عن خبث الحديد

وقال آخر :

ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه إلى النفس خيمها

وقال آخر :

إذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم فرش والتمس نفع الذّي بهم ترمى

وقال محمود الوراق :

أتمّ الناس أعرفهم بنقصه وأقمعهم لشهوته وحمصه

فدان على السّلامة من تدانى ومن لم ترض صحبته فأقصه

وخلّ الفحص ما استغنيت عنه فكم من جالب غيظا بفحصه

ولا تستغل عافيةً بشئ ولا تستر خصنّ أذى لرخصه

وقال آخر :

ارض من المرء في مودته بما يؤدّي إليك ظاهره

من يكشف الناس لم يجد أحداً تصح منهم له سرائره

وقال آخر :

يكفيك من قومٍ شواهد أمرهم فخذ عفوهم قبل امتحان السّرائر

فإن امتحان القوم يوحش بينهم ومالك إلا ما ترى في الظواهر

وإنك إن كشفت لم تر طائلا وأبدي لك التكشيف خبث الضمائر

وقال آخر :

ولا خير في ودّ إذا لم يكن له على طول مرّ الحادثات بقاء

وقال منصور الفقيه :

إذا جمع الفتى حسبا ودينــاً فلا تعدل به أبداً قريناً

ولا تسمح بحظك منه بل كن بحظك من مودّته ضنينا

وقال آخر :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرةٍ ولكنّ إخوان الثقاب الذخائر

وقال ابن الرومى :

إذا شئت تعرف أصل أجل لحظ طرفك في

الفتـى منظره
فإن لم يبن لك فانظـر إلـى أفاعيله فهي من جـوهـره
فإن غاب عنـك بـهـذا وذا فلا تطلبن سوى محضـره
فإن المحاضر سرّ الرجـال بها يعرف النذل من خـيّره
بلوت الرجال وأفعـالـهـم فكلٌّ يعود إلى عـنـصـره

وقال ربيعة الرّقى :

إن اللئيم وإن خـلـتـه كريماً يذودك عن عرفه
ويرجع محصول أخلاقه إلى أصله وإلى صنفه

باب التودّد إلى الناس

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " مداراة الناس صدقه " .

وقال صلى اللّه عليه وسلم : " أمرني ربي بمداراة الناس ونهاني عن ملاحاتهم " .

روى عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال : " رأس العقل بعد الإيمان باللّه التودد إلى الناس " .

وقد روى في خبر مرفوع : " التودّد إلى الناس نصف العقل ، وحسن التدبير نصف المعيشة ، وما عال من اقتصد " .

قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : إنّ مما يصفى لك ودّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس.

قال بعض الحكماء : رأس المداراة ترك المماراة.

وفي الحديث المرفوع : " إذا أحب اللّه عبداً أحبّه الناس " . أخذه الشاعر فقال :

إذا أحبّ اللّه يوماً عـبـده ألقى عليه محبةً في الناس

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " ألا أنبئكم بشراركم " ? قالوا : بلى يا رسول اللّه. قال : " من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة. ألا أنبئكم بشر من ذلكم " قالوا : بلى. قال : " من يبغض الناس ويبغضونه " .

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيباً خاليا ، فأوحى اللّه إليه : مالى أراك خاليا ? قال : هجرت الناس فيك. قال : أفلا أدلّك على شئ تبلغ رضاي? خالق الناس بأخلاقهم ، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك.

كان يقال : من رضى من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم.

قال أكثم بن صيفي : من تشدّد فرّق ، ومن تراخى تألف ، والسرور في التغافل.

قال علي رضى اللّه عنه : شرط الصحبة إقاله العثرة ، ومسامحة العشرة ، والمواساة في العسرة.

قيل للعتّابي : إنك تلقى الناس كلهم بالبشر! قال : دفع ضغينةٍ بأيسر مؤونة ،واكتساب إخوان بأيسر مبذول.

قال محمود الوراق :

أخو البشر محمود على كـلّ حـالةٍ ... ولن يعدم البغضاء من كان عابسـاً
ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للعرض حارساً

قال أعرابي يمدح رجلا بساماً هو زياد الأعجم يمدح عبد اللّه بن عامر ابن كريز.

أخ لك ما تراه الدّهـر إلاّ ... على العلات بساماً جواداً
سألناه الجزيل فما تلـكـا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنـا ... فأحسن ثم عدت له فعادا
مراراً ما أعـود إلـيه إلاّ ... تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

وقال آخر :

ولي صاحبٌ كالموت يوم فراقه ... تغيّر والأيام جمّ عـجـيبـهـا
أريد له هجراً لبعض خـلالـه ... فتعطفي أخرى له فأجيبـهـا

وقال آخر :

أخ لي كأيام الحياة إخاؤه ... تلون ألواناً كثيراً خطوبها
إذا عبت منه خلّةً فهجرته ... دعتني إليه خلّة لا أعيبها

وقال ابن وكيع :

من لم يدار الناس عن علم بهم ... انصرفوا وكلّهـم لـه عـدا

وقال كثير :

ومن لا يغمّض عينه عن صـديقـه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبع جـاهـداً كـل عـثـرةٍ ... يجدها ولا يسلم الدّهر صـاحـب

وقال آخر :

وكم من أخٍ لم يحتمل منه خلّةً ... قطعت ولم يمكنك منه بـديل

ومن لم يرد إلا خليلاً مهذبـاً **فليس له في العالمين خلـيل**

قال آخر :

وأحبب إذا أحببت حبّاً مقـاربـاً **فإنك لا تدري متى أنت نـازع**

وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً **فإنك لا تدري متى أنت راجـع**

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع : " أحبب حبيبك هوناً ما فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما " .

وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية :

قل لمن يعجـب مـن **حسن رجوعي ومقالي**

ربّ صـدّ بـعـد ودّ **وهوى بعد تـقـالـى**

قد رأينـا ذا كـثـيراً **جارياً بين الـرجـال**

أنشد حبيبٌ للفند الزّمّاني وقال الجاحظ لا أظنها له :

صفحنا عن بنى ذهل **وقلنا : القوم إخوان**

عسى الأيام أن يرجع **ن قوما كالذي كانوا**

قال آخر :

وكنت إذا صبحت رجال قوم **صحبتهم وشيمتي الـوفـاء**

فأحسن حين يحسن محسونهم **وأجتنب الإساءة إن أساءوا**

وأبصر ما ينقصني بـعـين **عليها من عيونهم غـطـاء**

وقال آخر :

ما نالت النفس على شهوة **ألذ من ودّ صديقٍ أمـين**

من فاته ودّ أخٍ صـالـحٍ **فذلك المغبون حقّ اليقين**

قال آخر :

استوحش الناس عليّ جدّا **ولا أرى لي من أناس بدّأ**

إن لم أعاشرهم بقيت فردا وقال آخر :

أغمض للصديق عن المساوى **مخافة أن أعيش بلا صديق**

قال آخر :

أغمّض عيني عن **كأنّي بما يأتي من الأمر**

صديقي تغافلا جاهـل
وما بي جهلٌ غير أن خليقـتـي تطيق احتمال الكره فيما يحـاول
متى ما يربني مفصل فقطعـتـه بقيت ومالي في النهوض مفاصل

وقال آخر :

وكنت إذا الصديق أراد غيظي فأشرقني على حنق بريقـي
غفرت ذنوبه وصفحت عنـه مخافة أن أعيش بلا صـديق

وقال آخر :

إذا ما خليلي رابني بعض خلقه ولم يك عما ساءني بمـفـيق
صبرت على أشياء منه تريبني مخافة أن أبقى بغير صـديق

وأنشد ابن الأنباري عن أبيه :

إذا ما صديقي ساءني بـفـعـالـه ولم يك عما ساءنـي بـمـفـيق
صبرت على الضَّرَّاء من سوء فعله مخافة أن أبقى بـغـير صـديق

" قالوا :لا خير في الناس ،ولابد من الناس "

باب الاستيحاش من الناس والفرار منهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خير الناس منزلةً يوم القيامة ، رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه " . وفي رواية أخرى : " حتى يموت أو يقتل ، والذي يليه رجل معتزل في شعب من الشّعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويعتزل شرور النّاس " .

قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه الطمع فقرٌ واليأس غنيٌ ، والعزلة راحةٌ من جليس السوء ، وقرين الصدق خير من الوحدة.

قال أبو الدرّداء : نعم صومعة الرجل المؤمن بيته ، يصون دينه وعرضه ، وأياكم والأسواق ، فإنها تلغي وتلهي.

قال مكحول :إن كان في الجماعة فضل ، فإن في العزلة سلامه.

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس في معايشكم ، وزايلوهم بأعمالكم.

قال أبو الدّرداء : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه.

يقال : إن فيما أنزل اللّه في الإنجيل على عيسى عليه السلام. كن وسطاً وامشي جانباً.

قال ابن المقفع : وحشة الانفراد أبقى على المرء من أنس التلاقي.

قال بعض العلماء العزلة عن الناس توقي العرض ، وتبقي الجلالة ، وترفع مؤونة المكافأة في الحقوق اللازمة ، وتستر الفاقة.

قال أوس ابن حجر :

وإنّي رأيت الـنّـاس إلا أقـلـهـم خفاف العهود يكثرون التّـنـقّـلا
بنى أمّ ذي المال وإن كان عبداً سيّد

الكـثـير يرونـه القوم جحـفـلا
وهم لمقلّ الـمـمـال أولاد عـلّةٍ وإن كان محضاً في العمومة مخولا
وليس أخوك الدائم العهـد بـالـذي يسوءك إن ولّي ويرضيك مقـبـلا
ولكن الأخ النّائي إذا كنـت آمـنـاً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضـلا

وقال الحسن بن عبد الرحمن.

توحشـت ولـكـنّـي أسرّ بالوحشة أحـيانـا
وفي الوحـشـة مـا يؤ نس من صحبة من خانا

وقال أيضاً :

يا حبّذا الوحشة من أنـيس إذا خشيت من أذى الجليس

وقال أبو العتاهية :

برمت بالناس وأخلاقهـم فسرت أستأنس بالوحـده
ما أكثر النّاس لعمري وما أقلّهم في حاصل العـدّه

كتب شيخ من أهل الرّى على باب داره : جزى اللّه عنا من لا نعرفه ولا يعرفنا خيراً ، وأما أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم اللّه خيراً ، فإن لم نؤت إلا منهم.
قال سفيان وما وجدت من يغفر لي ذنباً ، ولا يستر لي عيباً ، فرأيت في الهرب من الناس السّلامة.
قال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري : دلّني على رجل أجلس إليه ، قال : تلك ضالّة لا توجد.
قال أكثم ابن صيفي : الانقباض عن الناس مكسبه للعداوة ، وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء.
وقال سهل الوراق :

ألا ما لذا الناس قد بدّلـوا فهم كذئاب عليهـا ثـياب
تواطئوا على كلّ مستقبـحٍ فما لقبيح لديهم مـعـاب
وخانوا الأمانة ما بينـهـم وهل بالأمانة توفى الذئاب

قال الأضبط بن قريع :

أذود عن حوضه ويدفعـنـي يا قوم من عاذري من الخدعه

أنشد الخريري لنفسه :

مخالط الناس في الدّنيا على خطر وفي بلاءٍ وصفو شيب بالكـدر
كراكب البحر إن تسلم فليس يسلم من خوف

حشاشتـه ومن حذر

وقال قدامة بن إبراهيم الجمحى :

العجز ضعف ومالجزم من ضررٍ وأحزم الحزم سوء الظنّ بالناس

لا تترك الحزم في أمر تحـاذره فإن أصبت فما بالحزم من بـاس

أنشدني عبد الرّحمن بن أبان ، عن عثمان ، قال : أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى لنفسه :

أشعرن قلبـك ياسـا ليس هذا الناس ناسـا

قد مضى الإبريز منهم وبقوا بعد بـحـاسـا

سامـريين يقـولـو ن جميعاً مـسـاسـا

لهلال بن العلاء :

لما عفوت ولم أحقد على أحـدٍ أرحت نفسي من هم العداوات

إني أحيّى عدّوى عند رؤيتـه لأدفع الشرّ عنّى بالتـحـيات

وأحسن البشر للإنسان أبغضه كأنه قد ملا قلبي محـبّـات

ولست أسلم ممن لست أعرفه فكيف أسلم من أهل المودات

وقال ابن الرومى :

يا ذا الذي منه التغي ر والتّنكر والنـبـوّ

إن كان أدر كك الملا ل فقد تداخلني السّلوّ

وقال آخر :

قد كنت عبداً والهوى مالكـى فصرت حرّا والهوى خادمى

وصرت بالوحدة مستأنـسـاً من شـرّ أولاد بـنـي آدم

ما في اختلاط الناس خير ولا ذو الجهل بالأشياء كالعالـم

يا عاذلى في تركهم جاهـلا عذرى منقوش على خاتمي

وكان في خاتمه منقوشاً : " وما وجدنا لأكثرهم من عهد " وقال منصور الفقيه :

نفرت من كلّ من وثقت به إذ كلهم خانني ولم أخـن

من لان لي جانباه لنت ومن أبي أن يلين لم

لـه	ألـن

وقال آخر :

هذا زمانٌ ليس إخـوانـه	يامعشر الناس بـإخـوان
إخوان سوءٍ كلّهم فـاسـقٌ	له لسـانـان ووجـهـان
يلقاك بالبشر وفي قلـبـه	داءٌ يواريه بـكـتـمـان
حتّى إذا ما غبت عن وجهه	رماك في الغيب ببهتـان
يأيها المرء فكـن واحـداً	فرداً ولا تأنس بإنـسـان

منصور الفقيه :

الناس بحرٌ عمـيقٌ	والبعد منهم سفينه
وقد نصحتك فانظر	لنفسك المسكينـه

طرفة بن العبد :

كلّ خليل كنت خاللتـه	لا ترك اللّه له واضحه
كلهم أروغ من ثعلـب	ماأشبه الليلة بالبارحـه

وقال منصور الفقيه :

يا أخا الدّهـر إن وفـا	وأخا الدهر إن غـدر
كن من الناس كيف شئ	ت على غاية الحـذر

كان يقال : صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار وقال ابن وكيع :

فسد الناس كلّهم وانقضى الودّ	فما في الورى أخٌ ذو صفاء
وأرى طالب الفرار من النـا	س ومرتاد مربهم في بـلاء
ذاك بالانقباض يكسب المـق	ت ويعزى به إلى الكبـرياء
وأخو الانبساط يخشى انقلابـاً	من صديق يضيع حق الإخاء
وإذا ما الصديق عـاد عـدواً	فهو مستفرهٌ مـن الأعـداء

وقال منصور الفقيه :

في الناس خيرٌ كثـيرٌ	والشرفى الناس أكثر
وقد نصحتك جهـدى	فانظر لنفسك واحذر
فإن وثقت بقـولـي	فيهم وإلا فـغـرر

وله أيضاً :

إنما النـاس فـزعـةٌ	ليس في الناس مفزع

ذم من شئت منهم فهو للذمّ موضع

ولما حضرته الوفاة ، قال : أستغفر اللّه من هذين البيتين.

قال سويد بن منجوف :

قبلغّ مصبعاً عنّي رسولا وهل تجد النصيح بكل واد

تعلّم أن كثر من تناجى وإن ضحكوا إليك هم الأعادي

أنشد الزبير لأبي هممهة :

إخوة ما حضرت سرّون برّو ن فإن غبت فالسّباع الجياع

با ينوي حتى إذا عانيوني بان منهم تضاؤلٌ واجتشاع

فهم يغمزون مني قناةً ليس يألون عمزها ما استطاعوا

ما كذا يفعل الكرام ولكن هكذا يفعل اللئام الوضاع

قال أبو غسان مالك بن الله غلام أبي العتاهية :كنت عند أبي العتاهية قبل موته بثلاثة أيام ،وإنه لشديد العلّة لما به ،فرفع رأسه إلى وقال :يا أبا غسان!

للـه درّ أبيك أيّ زمان أصبحت فيه وأيّ أهل زمان

كلٌّ يوازنك المودة دائباً يعطى ويأخذ منك بالميزان

لإغذا رأى رجحان حبة خردلٍ مالت مودته مع الرّجحان

في كلّ يومٍ منه تبدو قصّةً تنعي إليك مودّة الإخوان

وقال منصور الفقيه :

أيّ زمان نشأت فيه كذي ضلالٍ بأرض تيه

ما شئت من عالم خبيثٍ فيه ومن جاهلٍ سفيه

وقال أبو العتاهية :

إن الزمان يغرّني بأمانه ويذيقني المكروه من حدثانه

فأنا النذير من الزمان أمسي وأصبح وائقاً

لكلّ من بزمانـه
ما الناس إلا للكثير المـال أو لمسلّط ما دام في سلطانـه
فإذا الزمان رماهما بمـلـمّةٍ كان الثّقات هناك من أعوانه

قال إبراهيم بن العباس الصولى :

بلوت الزمان وأهل الزمـان فكلّ بـذم ولـوم حـقـيق
وأوحشني من صديقي الزمان وآنسني بالعـدوّ الـصـديق

وله أيضاً

وربّ أخ ناديته في ملمةٍ فألفيته منها أجلّ وأعظما

أنشدني محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

تطلّب سبيل الهدى جـاهـداً ودع عنك مشتبهات السّبـل
وأصبح من الناس مستوفـزاً فأكثرهم راصدٌ لـلـزّلـل
وأجبن من قد ترى منـهـم لعمرك يردى الشجاع البطل
وتصمى المقاتل أقوالـهـم بألسنةٍ وقعهـا كـالأسـل
ومن حكّم الناس في عرضه فمن جار أكثر ممن عـدل

وقال آخر :

وإذا دعوت أخا إخائك عند نـائبةٍ تـنـوب
ألفيته أحد الخطـوب إذا تتابعت الخطوب

وهذا كله عندي والله أعلم مأخوذ من قول القائل :

كنت من كربتي أفر إليهم فهم كربتي فأين الفرار

منصور الفقيه :

تبارك من لو شاء ملكنـي نـفـسـي وصيّر في الإيحاش من خلقه أنسـي
وباعد داري عـاجـلاً عـن ديارهـم كعبد مغيب الشمس عن مطلع الشمس
لعلّى أن أمسي مـن وأصبح مسروراً بذاك

الشر آمنا كما أمسي
فما نكّد الدنيا على طيب ظلها وقرب جناها العذب شئ سوى الإنس

قال أعرابي ،وهو جابر بن ثابت ،ويعرف بتأبط شرا :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت أنسان فكدت أطير
درى الله أني للأنيس لشانئٌ وتبغضهم لي مقلةٌ وضمير

وقال آخر :

قد بلوت النّاس طرّا لم أجد في الأرض حراً
صار أحلى الناس في عيني إذا ما ذيق مرّا
ووجدت الحلو منهم عندما جرّبت صبرا

وقال منصور الفقيه :

إن بني دهرنا أفاع ليس لمن ساورت طبيب
فلا يكن فيك بعد هذا لواحدٍ منهم نصيب

وقال آخر :

قد لزمت السّكوت من غير عىّ ولزمت الفراش من غير علّه
وهجرت الإخوان لما أتتني عنهم كلّ خصلة مضمحلّه
فعلى أهل ذا الزمان جميعاً ضعف قطر السّماء من لعنة الله

وقال آخر :

لا تعرفن أحداً فلست بواجدٍ أحداً أضرّ عليك ممن تعرف
أما نظيرك فهو حاسد نعمةٍ أو دون ذاك فذو سؤال ملحف
أو فوق ذلك حال دون لقائه بواب سوءٍ واليفاع المشرف

وللشافعي الفقيه رحمه الله ،وقيل إنه تمثل بها ،وهي :

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني بإذن الله